تحت راية الطوفان

خَنْدَقُ خَبَّاب

بِقلم الشَّهِيدِ المجَاهِد

مُحَمَّد زَكِي حمَد





بسم الله الرحمن الرحيم



تحت راية الطوفان

(خَندَقُ خَبَّاب)

بقلم الشهيد المجاهد/
محمد زكي حمد

مراجعة وتحقيق/
د. عبد الرحمن زكي حمد

تصميم وتنسيق/
أ. سعيد زكي حمد
أ. علي عبد الرحيم حمد

تقديم وتقريظ/
د. نواف تكروري
أ. محمد إلهامي
د. محمد الجوراني

الطبعة الأولى 1447 هـ – 2025 م



إهداء

مَا معنى أن أُهدِيَ العطَّارَ وردةً؟!

أو أُهْديَ السَّحابَ مَطراً؟!

وأيُّ إضافةٍ أمنحُها للنَّهرِ إن سَكبتُ فيه إبريق ماء؟!

وما معنى أن أَهبَ الغنيَّ ديناراً؟!

أحْسُب أنَّ فكرة الإهداءِ صارت مُستهلكة...

فلمن أُهدي هذا الكتاب؟!

للشهداءِ الذين فَعَلُوا الخير، فَعَلَوا علينا كثيراً...

أَمْ لمدرسة الصبرِ أبي وأمي اللَّذين لم أرهما منذ 14شهراً...

أم للمجاهدين الذي بَصَّرُونا بوجهتِنا وقِبلتنا...

أم لزوجتي المصون التي سَرقَت حِبرَ كِتابي من دُموع عَينيها...

أم للدُّعاة الصادقين الذين جَاهدوا بعلمهم جهاداً كبيراً...؟!

إليكم جميعاً، ولِكُلِّ عاملٍ لعزِّ دينه ومَجد أُمَّته، أهدي هذا الكتاب...

ومَن نَام عَن نُصرةِ دينه فلا نَامت عَينُه.

محمد زكي حمد



التعريف بالشهيد

بقلم الدكتور/ عبد الرحمن زكي حمد

الحمد لله القويِّ الحقِّ المجيد، والصلاة والسلام على النبيِّ المجاهد الشهيد، وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم الوعيد، وبعد:

فإنَّ الحديث عن الشهادة والشهداء حديثٌ ذو شجون، يثير مشاعرك ويُفيضها رغماً عنك، وخاصةً إذا كان من تتحدث عنه يربطك به قُرْبٌ وصلةٌ وثيقةٌ، وعِشتَ معه أجمل لحظات حياتك، فالشهيد محمد زكي حمد -رحمه الله وتقبله- لم يكن لي مجرد أخٍ شقيق، بل كان أخاً، وصاحباً، وحِبًّا، ورفيق درب، وأنيس قلب، ومنافساً في الخير، وسبَّاقاً يجعلك تغبطه على هِمته، فقد جمع الله له من التميُّز في أبواب الخير ما قلَّ نظيره في هذا الزمان، ولا أُبالغُ إن قلتُ: «كنَّا نحسبه صحابياً يعيش بيننا»، وقد راسلني أحد الأحباب المقربين منه بعد استشهاده قائلاً: «كنتُ أقول له دائماً لو كتب الله لك طول العمر فإني أرى فيك عَالِمَ فلسطين، وسيصدح اسمك في ربوع العالمين، ولكن يبدو أنَّه قد استراح مبكِّراً، ولعله أَخذ بعُمرٍ قليل أجر كبار العلماء، أردناه عالِماً، وأراده الله شهيداً، اللهم لا اعتراض على إرادتك».

لعلي شَوَّقتُكم بهذه الكلمات للتعرف على صاحب هذا الكتاب الذي بين أيديكم، فإليكم شيئاً من سيرته العطرة، وبعضاً من لفتات حياته النَيِّرة، ليكون قدوةً للقارئ بفعله قبل قوله، وبسعيه قبل لفظه.

هو محمَّد بن زكي شحادة حمد (أبو زكي)، وُلِدَ في الأوّل من يوليو عامَ 1994م، في مدينة بيتِ حانون شمالَ قطاعِ غزَّة، ونشأ وترعرع فيها، ودرس في مدارسها، وكان من الأوائل والمتفوقين في تحصيله الدراسي، وبدتْ عليه عَلامَاتُ النَّجابَةِ منذ صغره، فكان ذكِّياً قويَّ



الحافظة، أتمَّ حِفْظَ القرآن الكريم كاملاً في سنٍّ مبكرة، وبدأ بطلب وحفظ العلم الشرعي وهو ما يزال في الابتدائية، فحفظ الأذكار وكثيراً من الأحاديث، وبدأ بتعلُّم التجويد والتفسير والحديث والسيرة والفقه، وطاف على مشايخ بلده من شمال القطاع إلى جنوبه، ينهل منهم ويُحَضِّرُ دروسهم ومجالسهم، حتى برع في هذه الفنون مع سنوات الطلب، وحاز فيها مراتب عليا، وكان من مشايخه الذين أخذ عنهم العلم (الشيخ رامي الدالي، والشيخ بسام الصفدي، والشيخ يونس الأسطل، والشيخ محمد محمد الأسطل، والشيخ الشهيد وجدي أبو سلامة، والشيخ زكريا شحادة) -جزاهم الله جميعاً خير الجزاء-، وقد كان يحرص على حضور مجالس العلم الدورية للمشايخ، ويتعنّى لها، فكان يذهب من أقصى شمال القطاع لأقصى جنوبه ويقطع مسافة أربعين كيلو متر تقريباً، لِيُحَضِّرَ درساً واحداً في التفسير أو الفقه لشيخٍ من المشايخ، وظلَّ على هذا الحال يطلب العلم ويتعلم ويُعلِّم حتى آخر يوم من حياته.

وأما عن تعليمه الأكاديمي فبعد أن أنهى شهيدُنا دراسته في المرحلة الثانوية انتقل إلى التعليم الجامعي، فدرسَ في كلية أصول الدِّينِ بالجامعةِ الإسلاميّة بغزّة، وتخرّج منها، ثم واصلَ دراساتَه العُليا في قسم التفسير وعلوم القرآن، وحصلَ على درجةِ الماجستير في تفسيرِ القرآنِ الكريم وعلومه، وكان بحثُه ورسالتُه العلمية بعنوان: (القيم الإعلامية في الخطاب القرآني)، وقد كانت رسالةً علميةً قويةً وفريدة، أثنت عليها لجنة المناقشة بالإجماع، وأوصت باهتمام طلبة العلم بها.

وأمَّا عن حاله مع القرآن الكريم، فله حالٌ عجيب، فقد حَفِظَ القرآن كاملاً منذ الصغر وثبَّته، وكان أوّلَ من سنَّ سُنّةَ سَردِ القرآنِ كاملاً على جلسةٍ واحدة في بيتِ حانون، وكان من أوائل الساردين على مستوى قطاع غزة، ثم بذل جهده مع طلابه لِيُدرِكُوا تلك المنزلة، فتخرَّجَ



على يدَيه عشرةٌ من الساردينَ المُتقنين، وأقامَ كلُّ واحدٍ منهم حلقةً يتولّاها، وتتابعَ الحافظُ تِلوَ الحافظِ على أيديهم، فكان له نصيبٌ من كلِّ آيةٍ تتُلى وتُرتَّل من هؤلاء الحُفَّاظ وطلابهم، وقد شاركَ في مشروع صفوةِ الحُفَّاظ بنُسختَيه الأولى والثانية، وكان من المشرفين على هذا المشروع العظيم، ونحسبُه من خِيرةِ خِيرةِ الصَّفوة.

وقد أكرمه الله تعالى بتحصيل القراءات القرآنية، فقرأ على أميز وأمهر المقرئين في قطاع غزة، منهم الشيخ حميد أبو وردة، والشيخ رائد المدهون، والشيخ هاني العلي، والشيخ بلال عماد، وغيرهم، وقد كان يذهب لمشايخه خارج مدينة بيت حانون بعد صلاة الفجر صيفاً وشتاءً، وفي البرد والمطر والعتمة، ويقطع عدة كيلو مترات، ليقرأ على الشيخ محفوظه بضبطٍ وإتقان، وأحياناً يأتي موعد الدرس بعد ليلة رباطٍ طويلة أو كمينٍ متقدم أو حفرٍ في الأنفاق، ورغم ذلك لم ينقطع أو يعتذر عن درسه ولو لمرةٍ واحدة، فأكرمه الله بالتَّميُّز في هذا الفنِّ وإتقانه، ثم أكرمه الله بعد ذلك بأن كان ضمن لجنة الضبط والتحكيم والاستماع لتسجيل القرآن الكريم كاملاً في استديوهات دار القرآن الكريم والسنة بغزة، فكان يتابع التسجيل مع القراء أولاً بأول، واستمع لعدة ختماتٍ من القراء المتقنين أثناء تسجيلها، وأدى الأمانة على أكمل وجه.

ومما أكرمه الله به في مجال العمل القرآني أيضاً أنه ترأَّسَ أكاديميّةَ دارِ القرآنِ الكريمِ والسُّنّةِ الإلكترونيّة، وأدار برامجها المتعددة، وكان يُحاضر ويُدرِّس فيها، فانطلقتْ كلماتُه تُعلِّمُ القرآنَ وأحكامَه وتفسيره في مشارقِ الأرضِ ومغاربها، فبورِكَ له في علمه وعملِه، وجعل اللهُ له سهماً عظيماً في هذا الثغر المبارك، ونجح في ذلك نجاحاً باهراً، فخرَّجتْ الأكاديمية الآلاف من الحفاظ والمجازين وخريجي البرامج الشرعية في أكثر من مئة دولة

حول العالم[1].

وأما عن حبه للكتب والقراءة، فقد كان الشهيد قارئاً نهماً، وكانت عنده مكتبةٌ عامرةٌ في بيته، فيها صنوف الكتب الشرعية في مختلف الفنون، وكان أحياناً يسهر على القراءة حتى أذان الفجر، يقرأ على ضوء مصباحٍ صغير أو ضوء الشموع بسبب انقطاع الكهرباء، يسهر يقرأ ويراجع ويحقق ويستزيد علماً ويُجَهِّزُ لدورةٍ يُعطيها أو محاضرة يُلقيها، وكان لا يكتفي بالرجوع إلى كتابٍ واحد، بل يتقَصَّى الكتبَ التي تكلمتْ عن الموضوع ويتتبعها، فمثلاً في دورة السيرة النبوية كان يُحضِّر المادة من أكثر من عشرة كتب من كتب السيرة القديمة والمعاصرة، كسيرة ابن هشام، وفقه السيرة للغزالي، والرحيق المختوم للمباركفوري، وغيرها، وفي دورة شرح الفقه الشافعي، كان يرجع في تحضيرها إلى متون وشروح وحواشي الفقه الشافعي، مثل كتاب الأم للشافعي، ومختصري المزني والبويطي، ومنهاج الطالبين والمجموع للنووي وشروحهما، وجمع الجوامعِ للإسنوي وشروحه، ومتن أبي شجاع وشروحه، وغير ذلك، لِيَخرُجَ بِشيءٍ مَوثوقٍ قويٍّ جَامعٍ، وَكُنتُ كثيراً ما أتواصل معه نراجع مسألة من المسائل، أو أَدُلُّه على كِتابٍ فَيصدِمُني أنَّه مَرَّ عليه وقرأه ولَخَّصَه.

وأما عن خطابته للجمعة، فقد كان خطيباً بليغاً مُفوهاً، فتح الله عليه بحسن المنطق، وبلاغة اللفظ، وجمال الأسلوب، فكان الناس يأتون من كلِّ مكان يستمعون خطبته ويستفيدون من طرحه الواعي.

وأما عن عبادته وتَبَتُّلِه، فقد كان شهيدنا -رحمه الله- عابداً متبتلاً قوَّاماً صوَّاماً، لا يتركُ قيام الليل، ولا يتركُ صيام الأيام الفاضلة، ويحبُّ الاعتكاف في المسجد، في رمضان وفي

(1) وقد رآه أحد الإخوة في رؤيا عجيبة، حيث رأى وكأن هناك احتفالاً لتكريم الشهداء في قاعة كبيرة جداً، كل من فيها شهداء، وموجود على المنصة عدد قليل جداً من الشهداء الحفاظ، يرتل كل منهم القرآن بصوت جميل جداً كأنهم في مسابقة، ثم جيء بالشهيد محمد زكي، ووضع في مقدمة ومنتصف الشهداء الحُفّاظ، وأخذ يقرأ القرآن. وهذه رؤيا خير، وعلامة خير وقبول وكرامة ورفعة بإذن الله.



غيره، ولا يترك اعتكاف العشر الأواخر من رمضان كلَّ عام، ويشهدُ له كلُّ مَن عرَفَه أنّه كان تقيّاً، عابداً، زاهداً، مُحبّاً للخيرِ والنَّاس، حريصاً على هدايتهم، وقد استقامَ بلِينِ موعظتِه ونُصحِه الكثير الكثير، فقد كان طيِّبَ القلب، كثيرَ التَّبسُّم، تَعرف في وجهِه الصَّلاحَ لمجرد رؤيته.

وأما عن برّه بوالديه، فقد كان شهيدنا من أبرِّ الناس بوالديه، يتفنن في برِّهما وإسعادهما، حتى قالت لي الوالدة يوماً: «لم يغضبني محمدٌ يوماً من الأيام، ولم أرَ منه ما يحصل من كل الأولاد في صغرهم من بعض المخالفة أو التعب»، وكانت له عند والديه حَظوةٌ ومكانةٌ مميزة، كما عُرف عنه أنه كان واصلاً لأرحامه، مُتَفَقِّداً لهم، مُبَادراً بذلك، بل كان يُذكِّر ويحفز إخوته على ذلك، وكانت أخواته المتزوجات يحببنه حُبَّاً جَمَّاً، ويترقَّبن زيارته ويأنسن بها كثيراً.

وأما عن مسؤوليته باتجاه مجتمعه ومحيطه، فقد كان الشهيد ﵀ قائداً حركياً، وأميراً للمسجد الذي يرتاده مئات الشباب، فكان يقودهم ويدير أمورهم، ويتابع لجانهم ومهامهم، حتى أصبح مسجد العجمي في بيت حانون عَلَماً من أعلام المدينة، يَقصِدُه النَّاس من كلِّ مكان، لحفظ القرآن، وحضور مجالس العلم، ومصاحبة أهله وشبابه، وقد كان الشهيد ﵀ يعتبر هذا المسجد بيته الأول قبل بيته، ويمكث فيه الأوقات الكثيرة، فقد كان هو إمام المسجد وخطيبه، وكان يختم القرآن الكريم فيه في الصلوات الجهرية باستمرار، فقد كان يقرأ من حفظه قراءة متواصلة في صلاة الفجر والمغرب والعشاء ويكمل حتى يختم القرآن كَامِلاً، ويدعو بهم دعاء الختم، ثم يرجع لختمة جديدة، وهكذا، فيكون المصلون خلفه قد سَمِعُوا القرآنَ كلَّه، وأما في رمضان فقد كان يَؤُمُّ النَّاس بالتراويح، ويقرأ جزءاً من القرآن في كلِّ ليلةٍ حتى يختم



بهم القرآن كاملاً، هذا غير صلاة التهجد، وكان رحمه الله لا يفتح المصحف أثناء الإمامة، ويقرأ من حفظه وصدره، ومن كثرة حُبِّه للمسجد واستشعاره لأمانة القيام برسالته، كان يقتطع جزءاً من راتبه ودخله الشهري، ويجعله لأنشطة المسجد وبرامجه، وكان يقتطع جزءاً آخر كذلك من راتبه ويتبرع به للمجاهدين شهرياً، ويقتطع جزءاً ثالثاً لكفالة حلقات القرآن الكريم، ويعيش على الكفاف بما تبقى من راتبه البسيط.

وقد عُرف عن الشهيد رحمه الله أنّه كان يحب مساعدة الناس، ويسعى في قضاء حوائجهم وحلِّ مشاكلهم، وهذه خصلةٌ تحتاج لجهدٍ كبير، وعقل وحكمة، ولا يستطيعها كثيرٌ من الناس، بل الأعجب أنه كان يفرح إذا قصده أحدٌ لِحَلِّ مشكلةٍ وقع بها، ويحمد الله على ذلك، ويشكر من جاءه وطلب منه العون بأن رآه موضعاً لثقته وأملاً لِحَلِّ مُشكِلَتِه، وفَتَحَ له باب الخير والأجر الذي سيتحصل عليه.

وقد كان الشهيد -رحمه الله- كذلك حنوناً رؤوفاً عطوفاً، يحبُّ الأطفال ويُلاعِبُهم ويلعب معهم، ويعقد لهم الأنشطة والمسابقات، ويُعلِّمُهم أحكام الطهارة والصلاة، ويغرس فيهم معاني العِزَّة والكرامة، ليصنع منهم جيلاً واعياً في زمنٍ سيطرت فيه التفاهة على عقول الكثيرين[1].

وأما عن فكره الحركي، وسعيه في بناء الوعي، فقد كان الشهيد -رحمه الله- سابقاً لعمره بكثير، فكان رجل فكرٍ وعقيدة، يحمل عقلاً أُممياً، ويعيش لدينه وأمته، لا لنفسه، وستلمس ذلك جليًّا من خلال قراءتك لِما سطَّره في هذا الكتاب، وستشعر وكأنك تقرأ للشيخ الغزالي أو المودودي أو سيد قطب، أو تستمع للشيخ عبد الله عزام، أو الشيخ حازم صلاح أبو إسماعيل، وقد مَهَرَ الشهيد كلامه بدمه، فانتفضت كلماته حيَّةً، فعاشت بين الأحياء.

(1) وقد رآه أحد أصدقائه المقربين في المنام بعد استشهاده وهو يعلِّم الأطفال القرآن والرمي.



ومن اهتمام الشهيد بفكر الشباب ووعيهم وأوقاتهم، أنه كان أثناء جولاته على الشباب في الحرب وقبلها، لا يُحِبُّ أن يراهم فارغين بلا شغل، فقد كان يأتيهم بالكتب والسلاسل المصورة لبعض المشايخ، ويعقد لهم الدورات العلمية، ويشغل وقتهم بالنافع المفيد، فبعضهم يشاهد، وبعضهم يقرأ، وبعضهم يساعده في تخريج حديث أو قولٍ مشهورٍ لصحابي أو عالمٍ من العلماء،... وتراهم كخلية نحل، يبنون مجداً ويصنعون عزاً.

وأما عن أثره وتراثه العلمي الذي تركه من بعده، فقد أعطى الشهيد رحمه الله مئات الدروس والمحاضرات والدورات وخطب الجمعة في مساجد غزة، وكثيرٌ منها مسجَّلٌ بحمد الله، بعضها دروسٌ عامةٌ متنوعة، وبعضها دروسٌ منهجيةٌ في الفقه والتفسير والسيرة، مثل سلسلة (نداءات القرآن)، وسلسلة (السيرة النبوية)، وسلسلة (فقه العبادات والمعاملات في الفقه الشافعي)، وكَتَبَ عدة سلاسل علمية، مثل سلسلة (القربات في المهن والصناعات)، وسلسلة (أزمة كيان)، وسلسلة (في أروقة رمضان)، وغيرها، وكَتَبَ ثلاثةً من الكتب المُطوَّلة، وهي على الترتيب:

1- كتاب (القيم الإعلامية في الخطاب القرآني) وهو رسالة الماجستير للشهيد.

2- كتاب (غيث اليراع في شرح متن أبي شجاع) في الفقه الشافعي، وهو كتابٌ متقنٌ في شرح الفقه الشافعي، وقد أعطى الشهيد عدة دورات في شرح هذا الكتاب، ونعمل حالياً على مراجعته وتجهيزه للطباعة، ونسأل الله العون والتمام على خير.

3- كتاب (تحت راية الطوفان.. خندق خباب) وهو هذا الكتاب الذي بين يديك، وهذا الكتاب آيةٌ من آيات الله عز وجل، فقد كتبه الشهيد بخط يده على أوراقٍ كان يحملها معه في جعبته العسكرية في نقاط الرباط وكمائن الموت وأنفاق العز، وصبغه بقلبه وروحه ومداد عرقه ودمه، وقد عشتُ

مع هذا الكتاب أثناء مراجعته وتحقيقه كلمةً كلمةً وحرفاً حرفاً، وكنتُ كثيراً ما أتوقف أثناء القراءة وأسرح فيما هو مكتوبٌ وأبكي، أبكي على نفسي التي حُرِمَتْ كلَّ هذا الأجر، وأبكي فرحاً بفتح الله ومدده لهم، وأبكي حزناً على حالهم وخذلان الأمة لهؤلاء الأبطال الذين يندر أن يجود الزمان بمثلهم، ولو طُلب مني أن أُسمِّيَ هذا الكتاب اسماً آخر لسمَّيته: (منهاج المسلم في زمن الغربة)، وأزعم أنَّ هذا الكتاب كفيلٌ بتغيير حياتك وإصلاح حالك، ومراجعتك لكثيرٍ من التفاصيل والأفكار والقناعات والتَّصوُّرات التي حاول البعض زراعتها بداخلنا لنتَّبعَ ديناً مُشوَّهاً غير دين الإسلام الذي نزل على محمد ﷺ، ونكونَ أمَّةً تابعةً ضعيفةً ذليلةً، لا أمَّةً حاكمةً قويةً عزيزةً، فاقرأ هذا الكتاب بتركيز، وانوِ بقراءته العلم والعمل، واقتفاء أثر الشهداء والصالحين، والله الموفق، وهو خير معين.

وأمَّا عن جِهادِ الشهيد ورِباطِه، فقد كان الشهيد رحمه الله أسدَ معاركٍ وليثَ نِزال، شجاعاً مقداماً، لا يهاب الموت ولا الصعاب، جاهد في سبيل الله أربعة عشر عاماً متواصلة، فقد التحق بالمجاهدين وعمره سبعة عشر عاماً، وقد ملك عليه حبُّ الجهاد نفسه وجوارحه، فكان لا يتأخر عن ميادين الإعداد والتدريب ومواطن الرباط وساحات القتال، وكان يغيب في الإعداد والجهاد والمعارك أحياناً بالأيام والأسابيع، وينقطع التواصل معه، حتى يُظَنُّ أَنَّه قد استشهد، فيخرج من بين أنياب الموت، ويرجع قوياً صلباً ويُكمِل جهاده، وقد أثبت الشهيد كفاءته وجدارته وشجاعته على مدار الأعوام المتلاحقة والحروب المتتالية، وأبلى فيها بلاءً حسناً، وفتح الله عليه بفتوحاتٍ كثيرة، جعلته موضعاً للثقة عند القيادة، فتمَّ تكليفه قبل معركة طوفان الأقصى بقيادة فصيلٍ من فصائل الكتيبة[1]، فقام على أمانته حقَّ القيام، وتجهَّز مع شبابه ليوم الكريهة،

(1) وهذه صورة للشهيد بزيه العسكري في ليالي الرباط وميادين الإعداد:
https://drive.google.com/file/d/1yjiZAvbqrJDlV1IbiY0ay30FMz4lFCAy/view?usp=sharing



فلقَّنَ أعداءَ اللهِ ما يكرهون، وأثخنَ فيهم أيَّما إثخان، وآلَمهم أشدَّ إيلام، وله اليومَ فضلٌ يُذكَرُ على كثيرٍ من الشباب الذين يحملُون لواءَ الجهادِ من بعدِه[1].

وأما عن خاتمته وشهادته فقد استشهد -رحمه الله وتقبله- مساء يوم السبت الموافق 2025/7/12م إِثرَ عملية اغتيالٍ جبانةٍ من العدو الصهيوني، بعد أنْ أرهقهم في ميادين القتال، ونال منهم ما نال، وقد أعلن العدو عن تصفيته واغتياله، وأنَّه كان نائب قائد سريةٍ في كتيبة بيت حانون.

لقد أدَّيتَ أمانتك يا أبا زكي، ووفَّيتَ بعهدك، ومضيتَ إلى الله شهيداً سعيداً بإذن الله[2]، من محاريب الصلاة وموائد القرآن ومجالس العلم وميادين الجهاد إلى جنة الرحمن، ومقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر.

(1) جنازة الشهيد: https://drive.google.com/file/d/1OntHpqZlUmDY1cYP1yrcFUVnbjdR0jt4/view?usp=sharing
(2) تجديد العهد مع الله في جنازة الشهيد: https://drive.google.com/file/d/1YzwAEh8RWyh4CLTotw_XQow1Y8ZJ27I7/view?usp=sharing



فرحماتُ الله عليك تترًا أيها الزكِّيُ التَّقيُ، فكم أحييتَ بحياتك وشهادتك قلوباً ونفوساً، فتقبَّل الله شهادتك، وأعلى درجتك في الفردوس الأعلى، وجزاك عنا وعن الإسلام وأهله خير الجزاء، وجعلنا من السالكين لدربك، الحاملين لسلاحك، وجمعنا بك في زمرة نبينا محمد ﷺ في الجنان، اللهم آمين، والحمد لله رب العالمين[1].

د. عبد الرحمن زكي حمد

رئيس قسم غزة والضفة

بهيئة علماء فلسطين



(1) وَقَد رأيتُ أَخِي الشَّهيد محمد زكي في المنام في مكانٍ فسيح، وكان سعيداً، وكنتُ أعرف في المنام أنه مستشهد، فسألته عن حاله وايش صار معه عند ربنا؟، فقال لي:

«في عطاءٍ من الله،

في عطاءٍ من الله،

في عطاءٍ من الله».

فاحتضنته وبكيتُ فرحاً وشوقاً، ثم استيقظتُ بعدها، واستغربتُ من إجابته، فبحثتُ عن كلمة (عطاء) في القرآن الكريم، فوجدتُها وردت في ثلاثة مواضع عجيبة تتحدث عن النعيم:

1- قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: 108].

2- قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ١٩ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: 19-20].

3- قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ٣١ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ٣٣ وَكَأْسًا دِهَاقًا ٣٤ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ٣٥ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ: 31-36].

فاللهم ارفع درجته في الفردوس الأعلى، وثَبِّتنَا بعده، وأكرمنا كما أكرمته يا أكرم الأكرمين.



المقدمة الأولى

بقلم د. نواف تكروري

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن سار على نهجه القويم إلى يوم الدين.

أمابعد:

فهذا كتابٌ مباركٌ -(تحت راية الطوفان)-وجهدٌ عظيمٌ لروحٍ مباركةٍ ومصطفاة، لأخٍ كريمٍ اختاره الله تعالى شهيدًا، نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدًا، وأسأل الله أن يتقبله في عليّين، وأن يكرمه برفقة النبي المصطفى ﷺ وصحبه الكرام، وأن يجمعه بمن سبقه من الشهداء والأحباب في مستقرِّ رحمته.

لم أكن قد تشرفتُ بمعرفة الأخ الشهيد -بإذن الله- محمد زكي (أبو زكي)، لكن حين حَدَّثَني عنه شقيقه، أخي الحبيب الدكتور عبد الرحمن حمد -أبو عبد الله- دخل إلى قلبي دون استئذان، وأيقنتُ أنّي أمام شابٍ عالمٍ مجاهد، عميقِ الوعي، راسخِ الفهم في دينه، عظيمِ التضحية، كاملِ الفداء؛ شابٍ نسي نفسه فتذكّر أمَّته، وغفل عن دنياه فاستحضر آخرته، وقد أدركتُ حينها بمَن تُواجِه غزةُ العدوانَ والإجرام، إنّها لا تواجهه بقلوبٍ هزيلةٍ، بل بأفذاذٍ عَظُم أمرُ الله في قلوبهم، فهانتْ عليهم الدنيا طلبًا لرضاه.

حين شرّفني الأخ عبد الرحمن بطلب تقديم هذا الكتاب، الذي خَلَّفه أخوه الشهيد المجاهد القائد العالم الحافظ المُربِّي محمد زكي، كان من الوفاء والواجب أنْ أقرأ الكتاب بنفسي، فهذه عادتي في التقديم؛ أنْ أمرَّ على الكتاب كلِّه ولو مرورًا سريعًا، وكانت عندي نسخة إلكترونية من الكتاب على الهاتف، وبحكم أنَّ القراءة عبر الهاتف ترهقني هممتُ أن

أتصفحه تصفحًا عابراً لحين طباعته ورقيًا، لكنَّ المفاجأة كانت أنني ما إنْ بدأتُ حتى وجدتُ نفسي مشدودًا إلى كلِّ سطر، كأنَّ الكلمات تُمسك بي وتأبى أن تتركني، فقرأتُ في جلسةٍ واحدةٍ من الهاتف نحو (120 صفحة)، مع أنني لا أذكرُ أنِّي قرأتُ مثل هذا العدد من الصفحات عبر الهاتف يومًا من الأيام، وذلك وحده شاهدٌ على أنَّ هذا الكتاب ليس نصًّا عابرًا، وإنّما هو أثرٌ صادقٌ خرجَ من روحٍ صَدَقتْ الله، فَصَدَقَها الله.

فهذا كتابٌ مبارك، بيِّنُ العبارات، جليلُ المعاني، صادقُ اللهجة، لا يساورك فيه ريبٌ وأنت تطالع صفحاته أنّك أمام شابٍ غيورٍ على دينه وأمّته، بصيرٍ بواقعه، نافذِ النظرة في مجريات الأمور، عارفٍ بعدوِّه، واعٍ بمكائده، قد باع نفسه لله تعالى طلبًا لرضاه، لا يبتغي متاعًا زائلًا ولا مدحًا عابرًا، كلماتُه تنضح بالإيمان، وتغمرها الثقة المطلقة بالله سبحانه، مضمَّخةٌ بالعنفوان، ملتهبةٌ بصدق المشاعر، عامرةٌ بالحبّ لإخوانه وشركاء دربه، وللوالدين والزوجة والخِّلان والمحيط.

إنْ نظرتَ إلى الشهيد محمد زكي إنسانًا، رأيتَ كمال الإنسانية يتجسّد في شمائله: في لطفه مع إخوانه، ووفائه لأسرته، وتواضعه في حضرة من حوله، وإنْ نظرتَ إليه مجاهدًا، ألفيتَه أسدًا هصورًا، رابطَ الجأش، شديدَ العزم، صلبَ الإرادة، وإنْ كان لا يُكثِر الحديث عن نفسه، بل يَفيضُ قلبُه بالكلام عن إخوانه، يرفعهم في ميزان الوفاء، ويُشيد بعطائهم وبذلهم وفزعتهم للجهاد، حتى يُخيَّلَ إليك أنَّ كلَّ سطرٍ يكتبه إنَّما هو وسامٌ على صدورهم.

تقرأ لمحمد زكي، كأنك تقرأ لابن النحاس الدمياطي، كلاهما جمع بين علم الرباط ومقاليد الجهاد، ونسج من القناعات النظرية مشروعًا عمليًا حيًّا في الميدان، وإذا كان ابن النحاس قد ترجم فقه الجهاد إلى بذل الدم في سبيل الله، فإن محمدًا بن زكي قد أعاد هذا



المسار، وسلك ذات السبيل، ولكنْ في سياق غزة الحديثة، وتحت قصف الأعداء وحصار السنين.

وهو وإنْ أخفى نفسه تواضعًا في سطور الكتاب إلا أنَّه يتجلَّى فيها جَليًّا، في مقدمة الصفوف، وفي طليعة الهيعات، وفي نداء البدايات، كما عرفه كلُّ من زامله، أو تَخَرَّج من تحت يديه؛ فهو يروي عن أحد طلابه: «قرأ عليَّ القرآن صيفًا وشتاءً، سلماً وحربًا، فوق الأرض وتحتها، في ليالي الرباط، وفي محاريب المساجد»، لقد حَمَلَه القرآن على كلِّ معاني الإقدام والفداء، فلم يشغله الجهاد عن القرآن، ولا القرآن عن الجهاد، ولسان حاله يصرخ فينا: «بئس حامل القرآن مَن أُتيَ المسلمون من قِبله».

لقد سَطَّر الشهيد لنا في كتابه كلماتٍ تُبكي القلوب وتعصر الأرواح، ومن ذلك ما كان يردّده: «إنَّ الدرجات المئة التي أعدها الله للمجاهدين كفيلةٌ بأن نترك من أجلها كلَّ نعيم الدنيا»، ويقول أيضًا بعبارة تمزق قلب الأب وحنو الأبوة، ولكنها تزرع في القلب غرس الآخرة: «مع طول الحصار وضغط القصف والدمار والمعارك، نسيتُ أشكال أولادي، أحاولُ جاهدًا أنْ أُغمض عيني لأتذكرهم!!، للأسف: لا نتيجة، نسيتُ أشكالهم واللهِ، ولعلَّ هذا من لطف الله، لئلا يضعفَ المجاهد ويفرَّ ويرجعَ إلى الدنيا ويركنَ إليها».

في هذا المزيج المذهل بين إنسانيةٍ راقية، وجهاديةٍ عارمة، وبين علمٍ راسخ، وفداءٍ نادر، تشعر أنك أمام نموذجٍ يُجسِّد توازن الإسلام، ويُعيد سيرة الجيل الأول، ليس في الروايات وإنَّما في الميدان نفسه، حتى لكأنك أمام «حذيفةَ العَصر»، أو «خبابَ زمانِه» رضي الله عنهم.

إنّ هذا الكتاب يُحدِّثُك بقلمٍ كَتبَ من قلب الميدان، لا عن رواياتٍ سمعها، وإنّما عن مشاهداتٍ عايشها، ولا عن مسائلَ نظريةٍ طُرحت في المجالس، ولكن عن معاناةٍ حقيقية، ووقائعَ حيَّة، خاضها بنفسه، أو عاشها مع إخوانه وشركائه في الجهاد والميدان، وعند تفسيره وتأمله في

آيات القرآن فهو لا يُفسِّر النصوص القرآنية بنقلٍ محضٍ لأقوال القدماء أو المعاصرين، ولكنّه يربط الآية بالواقع، ويربط الواقع بالنص، فيشهد للنص ويستنطقه، دون أن يغفل عن أقوال أهل العلم، بل يستحضرها إفادةً وتأصيلًا.

وفي إهداء الكتاب تلمس روح الوفاء رقراقة، تَفيضُ حُبًّا وإجلالًا، وتنبضُ بصدق العلاقة مع الرفاق والمربين والمجاهدين والآباء والأمهات، وفي التمهيد -بين يدي الكتاب- ترى أمامك خباب بن الأرتّ ﵁ عنوانًا، وكأنّ الشهيد يفتتح حديثه من مدرسة الصبر الأولى، المدرسة التي اعترف بها الفاروق ﵁، وروى لنا خباب عن سيده وسيدنا ﷺ ما يُطمئنُ القلوب في البلاء، ويُثبِّتُ الخطى في أعتى لحظات المحنة حين قال ﷺ: «كان الرَّجُلُ فِيمَن قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ له في الأرْضِ، فيُجْعَلُ فِيهِ، فيُجَاءُ بالمِنْشَارِ فيُوضَعُ علَى رَأْسِهِ فيُشَقُّ باثْنَتَيْنِ، وما يَصُدُّهُ ذلكَ عن دِينِهِ، ويُمْشَطُ بأَمْشَاطِ الحَدِيدِ ما دُونَ لَحْمِهِ مِن عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وما يَصُدُّهُ ذلكَ عن دِينِهِ، واللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هذا الأمْرَ، حتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِن صَنْعَاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ، لا يَخَافُ إلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ علَى غَنَمِهِ، ولَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[1].

إنَّه حين يجعلُ شابٌ من زماننا سيدنا خبابًا عنوانًا ومفتاحًا لكتابه، وهو يعيش مشهدًا حيًّا من مشاهد الابتلاء والمواجهة، تدرك أيَّ يقينٍ يسكن قلبه، وأيَّ إيمانٍ يملأ صدره؛ إنّه لا يستحضر خبابًا باعتباره رمزًا تاريخيًا ماضيًا، وإنّما مثالًا يُعاد حضوره في زمننا، ومقامًا تُستدعى همَّتُه في الجبهة، فيستصحب سيرته لا للتسلية، ولكن للتأسِّي والاتباع، فهو في قلب الحدث، في ذات المحنة، وعلى ذات الطريق، ومتى رأيتَ هذا الشاب يستظلُّ بظلِّ خباب، أيقنتَ أنَّه من نسل الإيمان الصافي، وأنَّه ممن صدقوا فسبقوا، وجعلوا من البلاء سُلَّمًا للثبات، ومن الحصار منبرًا، ومن الموت حياةً، ومن الشهادة ميثاقًا مع الله لا يُنكث، فكم ابتُلِي هؤلاء الإخوة بشدائدٍ تعجز

(1) صحيح البخاري، حديث رقم 3612.



الجبال عن حملها، حتى إنّ أحدهم ليمكث ساكنًا لا يستطيع أن يتحرَّك من مكانه من فرط القصف والحصار والجراح، ثمَّ ينهضُ فجأةً متحدِّيًا كلَّ الأخطار، ليفعل فعلاً يُربك العدو ويُرعبه، ويُغيِّرُ مسار المعركة، ويُثْبت أنَّ الإيمان إذا استقرَّ في القلب لا تحبسه الأسلاك، ولا تمنعه الجراح.

كم هي عظيمةٌ تلك اللحظات التي يُيسِّر الله تعالى فيها لهؤلاء المجاهدين كميناً مُوفَّقاً أو رشقةً صاروخية تقلب المعادلات، وتُدخِل الرعب إلى قلوب المعتدين، وتُربك حساباتهم، وتُؤكِّد أنَّ زمام الفعل بيد الله، يؤتيه من يشاء، ويمنعه عمن يشاء.

وتتعجب كيف يَخرُجُ أحدُهم من تحت أنقاض بيته المُدمَّر، وجراحُه لم تندمل بعد، وجوعُه لم يُسَد، ليقدِّم روحه فداءً لدينه وأمته في أحلك الظروف وأشد اللحظات؟!، وكيف ينهض حين يظنُّ الناس أنَّه لا أحد سيقوم؟!، أتتذكَّر يوم الخندق، حين وقف رسول الله ﷺ يعرض على أصحابه مهمةً صعبةً جداً، وفي ظروفٍ مرعبة، فقال: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بخَبَرِ القَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَومَ القِيَامَةِ؟، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قالَ: أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بخَبَرِ القَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَومَ القِيَامَةِ؟، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قالَ: أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بخَبَرِ القَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَومَ القِيَامَةِ؟، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقالَ: قُمْ يا حُذَيْفَةُ فَأْتِنَا بخَبَرِ القَوْمِ، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إذْ دَعَانِي باسْمِي أَنْ أَقُومَ»[1]، فانظر إليهم كيف تُخيِّم رهبة الموقف عليهم، فلا يتقدَّم أحدٌ حتى يندب النبي ﷺ حذيفة، وهو يعلم أنَّ ما يدعوهم إليه ميدانٌ للموت، ولكنَّه أيضًا معراجٌ إلى الجنة، واليوم، نرى هؤلاء المجاهدين يتسابقون إلى ميادين أشدَّ خطرًا، في زمنٍ لا نبيَّ فيه، ولكنّهم ساروا على سُنَّته، واقتفوا أثره، وآمنوا بما جاءهم به من الكتاب والحكمة، حتى صاروا وإن تأخر الزمان صورةً متجددةً من الجيل الأول.

(1) صحيح مسلم، حديث رقم 1788.

ألا وإنَّ فيهم تصديقًا عمليًّا لقول رسول الله ﷺ: «**تركتُ فيكم أَمْرَيْنِ لن تَضِلُّوا ما تَمَسَّكتُمْ بهما: كتابَ اللهِ وسُنّةَ نبيِّهِ ﷺ**»[1]، فقد تمسكوا بهما فثبَّتوا، وساروا فسبقوا، فكانوا آيةً تمشي على الأرض، وشاهدًا على أنَّ الدِّين إذا خالطتْ بشاشتُه القلوب، فلا تحجبه الفجوات، ولا تُطفئه الهجمات.

يُحدِّثُك الشهيد المؤلّف في هذا الكتاب عن المشاهد كما رآها بعينه، وعاشها بجسده وروحه، بدءًا من يوم السابع من أكتوبر، ذلك اليوم الذي دوَّى في ذاكرة الأمة كأحد أعظم أيام هذا الزمان، حين اندفعتْ كوكبةٌ من المجاهدين تقتحم الأسوار، وتعبر السياج، وتفتح صفحةً جديدةً من ملحمة العزِّ والجهاد.

يحدّثك عن فداء الشباب، وعن الإقدام الذي لا يعرف التردُّد، وعن الجهاد الذي خُطَّتْ ملامحُه بالدم قبل أن يُسجَّل على الورق، ويظلُّ معك في هذا السرد الوثيق حتى قُبيل استشهاده بأيامٍ معدودات، كأنّه يناولك الشعلة الأخيرة وهو واقفٌ على حافة الخلود.

يمضي الكاتب في وصف المواقف والبطولات التي حَفلتْ بها تلك الشهور الثقيلة، فيكتب عن رجالٍ أقبلوا على الموت بقلوبٍ مطمئنّة، وصدورٍ عامرةٍ باليقين، وعن ثباتٍ لا تزعزعه القذائف، وصبرٍ لا تحدُّه الجراح، وعن تضحياتٍ تُطأطئ لها جبهةُ التاريخ ناصيَتها.

ومع كل هذه المعاني العظيمة، لم يُغفل المؤلِّف رهافة الشعور، إذ تحدَّثَ بحُرقةٍ عن تحسُّر المجاهدين لدخول شهر رمضان دون أن يتمكَّنوا من الصلاة في مساجدهم، وقد دُمِّرت وسُوِّيت بالأرض، وكان هو نفسه قد ذهب ذاتَ يومٍ وصلَّى على أنقاض مسجده المُهدَّم، ولعلَّ أكثر ما أوجعه في ذلك الشهر المبارك أنَّ الأمة لم تتحرّك، ولم تنتفض، ولم تتحوَّل مساجدها إلى ميادين ثورةٍ ورفض، كما كان يرجو من علماء الأمة أن يقودوا الشعوب إلى غضبةٍ تُوقظ

(1) موطأ الإمام مالك، حديث رقم 1874.

الغافلين، خاصةً مع دخول رمضانٍ ثانٍ والمعركة لا تزال مشتعلة، والإبادة مُستمرَّة.

هذه المشاهد ليستْ مجرد تأريخٍ لأحداثٍ ماضية، إنَّها شهادةُ رجلٍ عاش اللحظة بكلِّ تفاصيلها، وكتبها كما تُكتب الوصايا الأخيرة، قبل أن يرتقي إلى مقام الصِّدِّيقين والشهداء.

وفي هذا الكتاب، يحدّثك مؤلِّفُه أيضاً عن قضايا ومعانٍ وتفاسيرَ وأحكامٍ التصقت بروحه، وتشرَّبتْها نفسُه، وسكنَ إليها قلبُه، فغدتْ جزءًا من كيانه، وحكايةً من روحه، ولم يَحُلْ اشتغالُه في خِضمِّ معركةٍ فاصلة دون أن يغوص في أعماق القرآن تدبُّرًا، وفي شِعاب الفقه تأمُّلاً واستنباطًا.

فهو -وهو يحمل سلاحه- لم يغفل عن حمل القلم، يذود به عن فكرٍ أسَّسه الجهاد، ويستنطق به النصوص بعيون الميدان، فتراه بين هدير المعركة ووقع القذائف، يغرس بذور الهدى في أرضٍ مزَّقتها النار، ويرفع راية التفسير في ميدان الجهاد في سبيل الله تعالى، وإذا تابعتَ نظراته في آيات الله، وتوقُّفَاتِه عند مواطن التدبّر، وتأمّلاته العميقة فيما خصَّه من آياتٍ وسورٍ بالبيان والدرس، أدركتَ بيقينٍ أنَّك أمام عقلٍ علميٍّ بصير، واسعِ الاطلاع، راسخِ القدم في العلم، دقيقِ النظر، شديدِ الملاحظة، متينِ المَلَكة، قادرٍ على الاستنباط الحيِّ من النص، والربط بين غايات القرآن وسنن الواقع.

وقدأفرد في كتابه تأملاتٍ لافتةٍ في بعض سور القرآن المكي، فوقف طويلاً عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ من سورة الفجر، يربطها ببأس الله القادم الذي لا يُغفِل ظالمًا، كما رأى في سورة الضحى دفءَ العناية الربانية التي لا تتخلى عن المؤمن، حتى في أشد اللحظات حُلكة، وفسَّر سورة القلم بنَفَسِ مجاهدٍ أدرك المعركة بين القيم والانحراف في أشد صورها، فكان بيانه تعبيرًا عن وعيٍ قرآنيٍّ متجذِّر، وَوَقَفَ عند قصة يونس عليه السلام، ليستخرج منها



درسًا بليغًا في طريق الداعية حين يعجل أو يضيق صدره من قومه، فربط بين نجاة يونس وتسبيحه في الظلمات، وبين نجاة الداعية حين يسكن قلبه التوحيد في لُجّة الابتلاء.

كلُّ ذلك يجعلك تشهد أنَّ أمامك عالمًا لا يكتفي بالتقعيد، ولكنّه يربط العلم بالحياة، ويستنطق النص القرآني تحت وميض البرق ودويّ القصف، ليصوغ منه مشروعًا للهداية والجهاد.

إنّ الشهيد رحمه الله قد جمع في آنٍ واحدٍ بين ميدانَيْنِ لا يجتمعان إلا في القليل من الرجال؛ ميدان العلم والدعوة، وميدان الجهاد والمقارعة؛ فكان صوتُه في المنبر لا يَقِلُّ حدَّةً عن هدير سلاحه في الثغور، وكانتْ كلماتُه في حلقاتِ الدرس والوعظ تُوازي رصاصاتِه في ميادين الاشتباك، فهو يُؤدِّبنا جميعًا، ويُعلِّمُ علماء الأمة قبل طُلّابها كيف يكون للعلم أثر؟، ومتى تثبت قيمته؟، وكيف تُزهر ثمرته في الجيل؟، إذ إنَّ الحديث وحده لايكفي، والتنظير وحده لا يُغيِّر، وإنَّما العبرة بمن ينسج الجسر بين القول والفعل،ويجعل العلم عرقاً ودمًا في ساحات المواجهة وميادين الفداء، حيث يُختبرُ كلُّ شيء، وتسقط الزخارف التي لا تصمد أمام دم الشهداء.

لقد تجلّتْ همته في عاداته العلمية حتى في أحلك الظروف، فلم يكن اشتغاله بالجهاد مانعًا له من الاشتغال بالمعرفة، بل لعله أورثه توقًا أشدَّ للعلم، فتراه في قلب المعركة بين الغارات والقصف يقرأ ويتأمّل، يستبصر ويستزيد، يتتبع دلالات السور ويعيد اكتشاف النصوص، فقرأ في ذلك الجو اللاهب كتاب «نحو تفسيرٍ موضوعيٍ لسور القرآن» للشيخ محمد الغزالي، يتأمل فيه المعاني الكلية والهدايات المنهجية في سور القرآن، كما قرأ كتاب «نزار ريان محدثًا ومجاهدًا» يستلهم من سيرته التمازج النادر بين النص والسيف، وقرأ أيضًا كتاب «الإسلام بين الشرق والغرب» لعلي عزت بيغوفيتش، حيث الفلسفة الروحية العميقة، والمعركة الحضارية الكبرى بين إنسان الإيمان وإنسان المادة.



لقد كان شهيدنا يوقن أنَّ من يحمل بندقية يجب أن يحمل كتابًا، وأنَّ من يرابط في الثغور لا يُعذر في التخلّي عن نور الفكرة ووهج المعرفة، فكان الجهاد عنده تكميلًا للعلم، والعلم تزكيةً للجهاد؛ وهذا هو الجمع الرباني الذي يجب أن تتربى عليه الأجيال، وتُبنى به الأمم، وتُجدد به دماء الرسالة في العروق المتعبة.

وما إنْ ترى الأجيالُ الناشئةُ عالمًا أو طالب علمٍ قد غمس نفسه في ميدان الجهاد، وتقدَّم الصفوف دفاعًا عن دينه ومقدساته، مع ما أوتي من تميُّزٍ علميٍّ حتى تتهافت الأرواح على دعوته، وتجدُ في خطابه صدقاً وقبولاً، وفي مشروعه منهجًا للتطبيق، لأنَّ من صدَّق قولَه بفعله أُودعتْ كلماتُه في القلوب، وارتفعتْ فوق الأعناق، وسار خلفه الناس دون تكلُّفٍ أو زينةٍ دِعائية، أمَّا إذا أشبعهم القول سنين، حتى إذا جدَّ الجدُّ تأخّر وتخلّف، وقال لهم من بعيد: «سأراقبكم وأدعو لكم»، أو طعنهم بمواقفه النظرية الباردة، وتبريراته المترفة، كما يفعل بعض المتقاعسين اليوم، فإنهم لا يلبثون أن ينفضُّوا عنه، ويطووا صفحته، ويغلقوا دونه أبواب الاستجابة، لأنَّه باختصار خان مقام العلم، وتنكّر لوظيفته الكبرى بأنْ يكون منارةً في الظلمة، لا زينةً في الرخاء، ويا ويل صاحب العلم حين يُخالفه العمل.

لقد وضع شهيدنا يده على الجرح النازف، حين قال كاشفًا عن عمق الأزمة: «نحن في دعواتنا نُعدُّ المسلمَ ليتعايش مع الواقع الموجود،لا ليصنع الواقع والسياق كما أراده الله»، إنَّها الكلمات التي تفضح التحوُّل الخطير؛ من دعوةٍ تُعيد تشكيلاً لحياة على هدى الوحي، إلى خطابٍ يُعلِّم الخضوع والانسجام مع واقعٍ مهزوم!، ومن مشروعٍ ربَّانيٍ يصنع الرجال إلى برامج بشرية تُروِّض الأرواح على التكيُّف والتسويات، وكأنَّ الإسلام لا يصلح إلا في الزوايا المظلمة التي لا تحتك بالواقع.



يُحدّثك الشهيد في هذا الكتاب عن إخوانه المجاهدين ويضعك أمام مشاهد حقيقيةٍ ووقائع دامغةٍ، تفرض عليك الإذعان لعظمة هؤلاء الرجال، وتدفعك دفعًا للتساؤل: مِن أيِّ أرضٍ خرجوا؟، وأيّ تربيةٍ صيّرتهم إلى هذا المقام؟، ولايتركك في الحيرة وإنَّما يأخذ بيدك لتشهد مشاهد التلاوة، والتعلّق بالمساجد، وقيام الليل، وصدق المناجاة مع الله، ثم يلفت نظرك إلى طبيعتهم البشرية، فيُريك ضعف بعضهم، وتردد فئةٍ منهم، ليُريك الحقيقة الكاملة لا الخيال المُصفَّى.

يتحدَّث الكاتب عن الشهداء بحبٍّ ووفاء، عن طاعتهم لله، وعن تفانيهم في الفداء، وعن روحهم الجماعية التي ما كانت تقف عند ذواتهم؛ فلو كُلِّف أحدُهم أن ينقل جبلًا لنقله، كانوا يُقدِمون على الموت المحتوم بإيمانٍ وثبات، وكان أبناء القيادات في طليعة المجاهدين لا في الصفوف الخلفية، يستسيغون التضحية كما يستساغ الماء الزلال.

في هذا الكتاب، يطلُّ عليك مجتمعٌ أصيلٌ، وجيلٌ مقدامٌ، صابرٌ، منتمٍ بصدقٍ إلى أمّته، مستنصرٌ بها، مشفقٌ على حاضرها، وقلقٌ على مستقبلها، وعاتبٌ على خذلانها، إذ خذلته حين نهض لأجلها، وثار مستنهضًا همَّتَها، مستحضرًا مجدها، متألّقًا بشرف الانتماء لها.

وعطفاً على كل ما سبق فهذا كتابٌ عظيم الشأن، فريدُ المنزلة، جمع بين التفسير العميق لآيات الكتاب، والقصِّ المؤثّر لمشاهد الجهاد، وتحليلٍ للواقع بعينٍ قرآنيةٍ وبصيرةٍ تربوية، وأحثُّ القارئ على طول الصحبة مع مادة الكتاب، ومعايشة صفحاته، والتأمُّل في عناوينه وتفاصيله، واقتنائه وقراءته، ثم الرجوع إليه تكرارًا، حتى تُحفَظ عباراتُه، وتُستَصحَب نظرات مؤلفه، وتُصبغ بها الحياة، وتستنير بها القلوب.



وأدعوك أيها القارئ الكريم أن تُقبِل على هذا الكتاب بهمّة التتلمذ لا بهَمِّ الفُضول، وبعزمٍ على اقتفاء الأثر لا مجرد التصفُّح، فلا تدخل صفحاته لتبحث عن معلومةٍ عابرة، وإنما لتبحث عن سبيل صناعة الإنسان، وعن ثمرات اقتران العلم بالعمل، وعن رؤيةٍ ناضجة، ونظرةٍ منصفة، وسبيلٍ قويم، فهذا كتابٌ نادرُ المثال، عميقُ الدلالة، نابضٌ بالحكمة والإيمان، مشبعٌ بالعلم وروح الإقدام، كتابٌ تتداخل فيه أنفاس العقيدة الصافية، ولمحات الفكر الثاقب، وتجليات البطولة الميدانية، ويترقرق بين سطوره صفاء التزكية وصدق الانتماء.

وإنّي لا أملك ختاماً إلا أن أدعوك إلى قراءة هذا الكتاب بنيّةٍ صادقةٍ: طلبًا للعلم، واستلهامًا للجهاد، وتحصيلًا للبصيرة، واكتشافًا لأسرار صناعة الإنسان المجاهد، والمجتمع المقاوم، والأمة الحيّة، وستجد بين صفحاته كنوزًا من الخير، ونماذج ناصعة من الوعي، ومواقف مبهرة من الفداء والرجولة والاقتداء، سترى جيلًا تربّى على معاني العزَّة، واستنشق هواء الفداء، وتشرّب روح البلاء في سبيل نصرة أمّته، جيلًا لم يكن حكايةً، بل كان مدرسةً تنبض بالعزَّة، وتُنبت أجيالًا من الصدق.

إنَّ هذا الكتاب مما ينبغي أن يُدرَّس في مدارس التزكية صفاءً وزهداً وهمّة، وفي جامعات العلم فقهًا وتفسيرًا وعقيدةً، وفي الكليات الحربية صناعةً وإقدامًا وتكتيكًا ومباغتة، وفي حلقات الذكر ومجالس الترتيل، وفي كليات الطبِّ أيضًا؛ لتعرف من هو الطبيب الذي يحيا لمبدأ ويحمل رسالة، ومن هو الذي يحمل الشهادة بلا روحٍ ولا وعيٍ ولا معنى، لقد كتب المؤلف عن كلِّ هذا، وهو يحمل على عاتقه همَّ الأمّة في كلِّ ميدان، بلا تكلُّفٍ ولا تصنُّعٍ، وإنما صدقٌ مشهود وواقعٌ معيش.

فأسأل الله تعالى أن يتقبله في الشهداء، وأن يرفعه في عليين، وألا يحرمنا هذا السبيل، ولا يمنعنا الشهادة في سبيله، وأن يثبتنا على طريق الحق حتى نلقاه، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

د. نواف تكروري

رئيس هيئة علماء فلسطين





المقدمة الثانية

بقلم أ. محمد إلهامي

مهما طالت الحياة فإنها تساوي على الحقيقة تلك اللحظات التي يختزنها صاحبها في ضميره، لا ينساها مهما تطاولت السنون، ويتذكرها مهما باعدتها الأيام، فالحياة هي اللحظات المؤثرة.. ولذلك ترى الناس كلهم يشعرون أنَّ أعمارهم قد انقضت سريعا، وأنَّ أيامهم قد مضت كلمح البصر!.

وقد كان نبينا الأعظم ﷺ في أواخر عمره وهو بالمدينة المنورة، وقد قامتْ دولة الإسلام وترسختْ وانتصرتْ بعد أهوالٍ وأهوال، يتذكر مواقف مكة القديمة، تسأله خديجة رضي الله عنها عن أشدِّ ما لقيَ في حياته، فلا يذكرُ يومَ أحد، بل يذكرُ يوم طُرد من الطائف، وكيف هام على وجهه مهموماً فلم يستفق إلا في قرن الثعالب، المنطقة التي تبعد عن مكة نحو ستين كيلو مترا، أي أنه مشى تسع ساعات لم يشعر بها من شدة الهم.

كذلك فإنه لما تُذكر أشدُّ الكروب عليه ﷺ، لم يكن شيءٌ من ذلك في الهجرة أو في المدينة، بل كانتْ جلسة التحقيق التي نصبها له كفار قريش لمَّا أخبرهم أنه قد أُسْريَ به، يقول: فكُربتُ كُربةً لم أُكرب مثلها قط!.

أتذكر ذلك الآن، لأنَّ واحدة من تلك اللحظات التي لستُ أنساها، كانت حين وصلتني رسالةٌ من الشهيد القائد محمد زكي، صاحب هذا الكتاب، وكان ذلك صبيحة عيد الفطر (1445هـ = 2024م)، ولم أكن أعرفه ولا بيننا اتصال قط.. غير أنَّي لقيت أخاه أبا عبد الله –حفظه الله ووفقه– عدة مراتٍ في اسطنبول ضمن فعاليات ومؤتمرات، وحتى في ذلك كان الحديث بيننا قليلاً.

أرسل إلي أبو عبد الله رسالةً من أخيه، يهنئني فيها بعيد الفطر، وهي رسالةٌ مصورةٌ كتبها في أنفاق بيت حانون، أي على خط المواجهة الأول في أقصى شمال قطاع غزة!!، وقد غمرتني الرسالة بطوفانٍ من المشاعر؛ أشدُّها عليَّ وأعظمُها عندي العَجبُ من أنَّ رجلا في بيت حانون -بين المعارك والأشلاء والكرِّ والفر- يتذكر رجلاً مثلي مُنعَّماً مُمتَّعاً في اسطنبول!!، فشكرتُه ما أسعفتني لغتي في الشكر، ثم صرتُ أرسل بالاطمئنان عليه بين الفينة والأخرى!.

ثم ما لبثّ بعدها شهوراً، -حين انعقدت الهدنة التي بدأت في يناير 2025م- أنْ أتحفني بأمرٍ هو أعز وأغلى وألذ وأحلى.. فقد أخبرني أبو عبد الله أنَّ أخاه أبا زكي كتب كتاباً بين الأنفاق والعُقَد القتالية، سمَّاه «تحت راية الطوفان».. دَوَّن فيه بعض ما رآه في هذا الطوفان من عجائب وكرامات ومن شدائد ومحن!!، فطلبتُ إليه أن أقرأ الكتاب قبل نشره، لشدَّة حرصي على تتبع أخبار الرجال الذين لا يظهرون على الإعلام، ولا يبثون مشاعرهم حتى على مواقع التواصل، فوافق مشكورا مأجورا..

وأخبرني أبو عبد الله أنَّ أخاه القائد الشهيد كان يتابعني، بل لقد كان يُدَرِّس بعض كتبي للشباب معه في جبهات القتال!، وقد علم الله، لشأني في نفسي أحقر من هذا وأدنى وأهون.. ولَأَن يجري اسمي على لسان مجاهدٍ لهو شَرَفٌ عزيز، فكيف بهذا المقام؟!.

وبينما كنتُ أقرأ الكتاب -الذي هو الآن بين يديك- وألتهمُه، وأتشرَّبُ ما فيه من رائحة الأنفاس وصهيلها، وهدير المعارك ولهيبها، وما تثيره من المعاني في القلوب والعقول، وما تثيره من الغبار في الأنوف والصدور.. إذ فوجئت بصاحبنا يذْكرني في كتابه بثناءٍ حسن.. فصرتُ في بحرٍ من الحَيرة، لا أدري من أيِّ شيءٍ أعجب، ولا على أيِّ شيءٍ أتحسر.. وأسأل الله أن يسترنا بستره الجميل.. غير أنَّ ثناء المجاهد لا يعدله عندي ثناءٌ، مهما عَظُم صاحبه في شأن الدنيا!!، ولك أن تتخيل



حال رجلٍ مثلي، عاجز في مكانه، آمن في سربه، معافى في بدنه، عنده أقوات يومه وغده وبعد غده.. كيف يكون حاله إنْ جاءه ثناءٌ من رجلٍ تُرفرف روحه فوق رأسه، يخوض أشرف معارك الأمة؟!!. وقد كنتُ حينها أمرُّ بكَربٍ شديدٍ، فأطمعني هذا الكرم الحاتمي السيَّال، فأرسلتُ إليه أطلب دعاءه ودعاء من في الثغور، لينفكَّ هذا الكَرب، فما أقرب أن يستجيب الله لهؤلاء.. فكان كما هو أهله: أجابني برسالةٍ صوتية، وبدعائه الشجي الندي، وقد شاء الله بفضله وكرمه وانحلَّ الكَربُ بأمرٍ يشبه المعجزة.. فما أحسبُ إلَّا أنَّ هذا كان من كراماته!!.

ومضتْ الأيام، وبعد شهورٍ إذا به يرسل إليّ يطلب مني أن أكتب مقدمةً لكتابه «تحت راية الطوفان»، بعد أن أضاف إليه شيئا من أخبار تجدد القتال بعد انهيار الهدنة في مارس الماضي.. ومن ذا يتخلى عن مثل هذا الشرف؟!.

ثم ما هي إلا أربعة أيامٍ بعدها حتى جاءني نبأ استشهاده... فلما عرفتُ اسمه ورأيت صورته وسمعت مقاطع نشرت له، عرفتُ بعين اليقين ما كنتُ شعرتُ به حين قرأتُ الكتاب بعلم اليقين.. ذلك سمتُ شهيد!، طال الوقت أم قصر!!.

إنَّ في الكتاب روحاً من صاحبه، وفي الكتاب ترى رجلاً ناهلاً من القرآن، متعلقاً به، يحسن الاستشهاد منه على المعنى الذي يريده، حركياً عملياً، متعاملاً مع نفوس الناس وما يصدر عنها حين الشدة من أوجه ضعفٍ أو خوفٍ أو تردد، فقيهاً يتكلم في عبادات المجاهد: كيف يصلي وكيف يتطهر، بل كيف يُعيد بناء المسجد الذي تهدَّم في المنطقة التي أُبيدت، لكي يُثبِّتَ قلوب الناس، وُيعيدَ بثَّ الحقِّ والخير فيهم.

فإذا سمعتَ صوته ورأيت صورته -كما في المقاطع التي نُشرت له- رأيت شاباً قد أقام القرآن فصاحة لسانه، وللقرآن أثرٌ في لسان قارئه المُدمن له، يُعرف من مواضع ترقيقه وتفخيمه

ومدِّه وقصره ونحو هذا.. وإذا رأيتَ ثَمَّ رأيتَوجهاً منيراً، وسمتاً مريحاً، وإلفاً محبوباً!!.. ما كان مثلُ هذا ليكون إلا شهيداً..

ولقد شاء الله ألَّا يكون استشهاده آخر فضائله علي.. فلقد أرسلتْ زوجُه الكريمة -أفرغ الله على قلبها السكينة والرضا- تقول: «كان يحب الشيخ محمد إلهامي، فأخبروه أن يدعو له!!»، فيا لله، كيف أدعو أنا لمن كان غاية أملي أن أُرزق شفاعته من بين سبعين؟!!، ثم وصلني بعد ذلك فرحته وثناؤه حين علم بأني سأكتب المقدمة لكتابه.. ومضى قبل أن يعلم أنَّ فرحتي بذلك أعظم وأشد.. وذلك هو الأليق والأكرم، فإنَّما يسعد مثلي ويشرُف بأن يخدم مجاهداً في أشرف معركة!!

هذا عن الشهيد وفضله عليّ.. وبقيتْ كلمةٌ في شأن الكتاب نفسه!، وهي أنَّه مهما تابعنا الأخبار وحرصنا عليها، فإنَّ القائم في قلب المعركة يعرف منها ما لا نعرف، ويرى فيها ما لسنا نراه..

لَمَّا قرأتُ الكتاب، وقد قرأتُه مرتيْن، كان أشدَّ ما لفتَ نظري كلمتُه هذه: «لم يُقْتَل أحدٌ من المجاهدين في كتيبتنا جراء الاشتباك مع قوات العدو الراجلة، كلُّ شهدائنا العِظام ارتقَوا إلى الله بسبب القصف الجوي»، وصاحبنا الشهيد نفسه قد قضى أيضا بالطيران..ومعضلة الطيران هذه لا بُدَّ أن تكون على رأس أولويات العاملين المخلصين في أمتنا، كلٌّ في مجاله وفي ثغره.. ولو قد كان بيدي أمرُ هذه الأمة، فلربما جعلتُ نصف مقدَّراتها لحلِّ هذه المعضلة وحدَها، فمعضلةُ الطيران هذه هي التي تسببَّتْ في هزائمنا طُوال هذا القرن الماضي، ولو تخيلنا تاريخ هذه الأمة المعاصر والمعارك التي نشبت فيها، وحذفنا منها الطيران لكُنَّا الآن نكتبُ تاريخاً آخر تماماً!.



إنَّ رجال أمتنا في كلِّ معركةٍ مقاومة يثبتون أنَّهم على قِلَّتهم وضعف عتادهم قادرون على الصمود لجيوشٍ هائلةٍ من عدوهم، لولا هذا السلاح اللعين الذي يرمينا بحممه من السماء، ولا نستطيع له دفعا!.

ونعم، إنَّ معضلة الطيران هي فرعٌ واحدٌ من معضلة الأنظمة الخائنة التي تحكم بلاد العرب والمسلمين، فأولئك هم الذين أخضعوا الأمة وأذلُّوها، ومنعوها أنْ تتقدَّم، وحرسوا تخلفَها، ليزداد العدو تفوقاً، فهم أصلُ كلِّ بلاء، وجذر كلِّ نكبة، وبذرة كلِّ مصيبةٍ تعيشها أمتنا.. نعم، المعضلة الكبرى في تاريخنا المعاصر هي الأنظمة الحاكمة الخائنة التي خانت الله ورسوله والمؤمنين، ومَكَّنتْ العدوَّ منَّا.. ولن نتقدم شبرا قبل أنْ نتعامل مع هذه الأنظمة باعتبارها أنظمة احتلالٍ أجنبية، مهما بدا أنَّهم من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا.

أقول: إنَّ معضلة الطيران هي فرعٌ من هذه المعضلة الكبرى، لكنَّها على الحقيقة أشدُّ هذه المعضلات وأخطرها في الباب العسكري.. ويحتاج هذا الأمر تفكيراً مُطولاً، وعملاً مضنياً ومُخلَصاً من سائر العاملين لحلِّها.. ونعم، إنَّ الحل الجذري الأول هو إسقاط هذه الأنظمة الحاكمة الخائنة، ولكنْ حتى بعد إسقاطها وقبله وإلى أن نتمكن من ذلك، فيجب أنْ يبدأ تفكيرٌ ونقاشٌ وعملٌ طويل في حلِّ هذه المعضلة!، ولستُ متخصصاً في شيء من هذه المجالات العلمية، ولكنْ أذكُرُ هذا لإثارة الأفكار:

إنَّ من واجب المهندسين والكيميائيين والفنيين وأمثالهم: العمل على تطوير طيرانٍ مكافئٍ للعدو، فإنْ لم يمكن فتطوير سلاحٍ مضادٍ للطائرات يصدُّه، فإنْ لم يمكن فتطوير طيرانٍ يستطيع أن يُمثل رادعاً، فإنْ لم يمكن فتطوير سلاحٍ آخرٍ يمكن أن يصيب من عدونا مثلما يصيبون منا، فيتحقق توازن الردع إنْ لم يتحقق توازن القوة!.

ومن واجب المبرمجين والقراصنة الإلكترونيين وأمثالهم: بذل غاية الجهد والوُسْع في العمل على اختراق أنظمة الطيران وإفسادها وإتلافها وتضليلها، أو اختراق قواعدها أو أبراج مراقبتها، أو الرسائل المشفرة المتبادلة بين الطيارين والقواعد الجوية!، ومن واجب هؤلاء القراصنة وأمثالهم اختراق الأنظمة وقواعد البيانات، والوصول إلى بيانات الطيارين أو العاملين في القواعد الجوية أو نحوهم، ممن يمكن عبر الوصول إليهم بالاختراق أو الاستمالة أو التحييد، أن يتعطل شيءٌ من سلاح الطيران!.

ولا يقتصر الأمر على أبناء العلوم التطبيقية البحتة والتقنية والفنية، بل حتى العلماء والفقهاء والدعاة والمتخصصون في علم النفس والاجتماع والقانون وغيرهم، كلُّ هؤلاء ينبغي أنْ يُفكِّروا كيف يمكن أنْ يخدموا الأمة في حلِّ معضلة الطيران هذه..

هذا المتخصص في علم النفس، هل يستطيع أنْ يستخرج لنا صفاتٍ نفسيةً خاصةً تتكون لدى الطيارين والعاملين في سلاح الجو، ويقترح علينا أساليب التعامل معها، فنأخذها منه ونوصلها للمختصين ليستفيدوا منها في مواجهتهم، وهذا المتخصص في علم الاجتماع، هل يستطيع أنْ يستخرج لنا أو يفيدنا بأنماطٍ ينبغي أنْ نفهمها أو نتعامل معها في بيئة الطيارين والعاملين في سلاح الجو، فنبثها عنه على ألسنة الدعاة والإعلاميين والمؤثرين، بحيث نستطيع كفَّ عادية هؤلاء من خلال نبذهم اجتماعيا أو إشعارهم بالعار؟!.

ألا ينبغي أن يتداعى العلماء إلى مؤتمرٍ فقهيٍّ جامعٍ، يجمعون فيه المسائل المتعلقة بالطيران وواجبات الأمة فيه، بدايةً من واجبات التصنيع والتطوير التي هي على الحكام والدول والمؤسسات، مروراً بواجبات المتخصصين في كلِّ فن، وتوجيه أبناء المسلمين لدراسة هذه التخصصات والتميز فيها، وإصدار الفتاوى للطيارين المسلمين والعاملين في سلاح الجو وفي



الدفاع الجوي، حول تفعيل ما يملكون من وسائل دفع العدو، سواء بإذن قادتهم أو بغير إذنهم، وفي وجوب وضرورة نشر تقنية الطيران تعليما وتصنيعا وترويجا وحثا، بل وفي ضرورة نشر ثقافة تضليل الطيران المعادي، وكيف يمكن للناس أن يساعدوا المجاهدين في ذلك، وفي حث الناس على التبرع والتطوع والوقف لتطوير هذا المجال.. إلخ!.. إنَّ نازلة الطيران هذه يجب أن ينهض لها كلُّ عاملٍ مُخلِصٍ ليرى ما الذي يمكنه أن يفعله ليغير المعادلة!.

وعوداً على بِدء، أرجع للكتاب والكاتب، فهذا الكتاب يُعدُّ من الردود العملية الشافية للضلالات الفكرية المنحرفة التي تظهر في عصرنا، والتي يحملها منتسبون إلى المشيخة، فمنهم الفاسقون، ومنهم الضالون، ومنهم الذين اشتروا الدنيا بالآخرة.. أولئك الذين يطعنون بعقيدة المجاهدين -زعموا- وأنها لم تكن نقية، وأنها راياتٌ ملتبسة.. وكذبوا والله!، فالعقيدة كما تظهر في فلتات ألسنة هؤلاء المُضلِّين هي الاقتصار على ركن التصور النظري الرابض في زاوية علم الكلام، وعلى القضايا التي لم تُثر في عصر الصدر الأول أصلا.. وأما العقيدة كما تظهر في فعالهم فهي متابعة هوى السلطان مهما كان خائناً ومتخاذلاً، بل مهما ظهر منه الكفر البواح!، وبئس المنتسب إلى العلم من يطعن في العمالقة المجاهدين..

ومن الردود النافعة على هذا الانحراف والضلال مثل هذه الكتب.. التي تنقل حياة المجاهدين وزوايا نفوسهم، فترى فيها هذا النَّفس العالي في فهم الإيمان وقضاياه، وفي التعلق بالقرآن واستنباط معانيه، وفي الحرص على العبادة والطاعة في فروع الفقه عند المجاهدين، وفي هذه الشفافية الرقيقة في التعامل مع خطرات النفس ووساوسها..

تأمَّلْ مثلا هذه العبارات المنقولة من هذا الكتاب:

- «يظن من يقرأ أخبار المجاهدين أنَّ مقابلة العدو هي البلاء الوحيد في الميدان، والحقيقة أنَّ الميدان طريقٌ مليءٌ بالبلايا، فبالرغم من قسوة المعركة ووعورة المسير، هناك عقباتٌ أخرى، قد تكون من قبيل المخمصة والعطش وأوامرَ لا توافق الهوى، وهذا ما تُقرِّره الآيات، وكلُّ هذه الاختبارات وظيفتُها تهيئة النفوس وإعدادها، فعلى مثل هذا فلتوطِّن النَّفْسَ أيها المجاهد».

- «النياتُ تتقلب على المجاهد، وهنيئاً لمن تفقد نيته».

- «اعلم أنَّك إذا جرَّدتَ القصد له تعبداً، فيلزم أن تصبر لما يختاره لك، فقد تحبُّ الخشوع بلا كُلفة، فيختار لك عبودية المجاهدة، ويبتليك بالشواغل وفقد اللذة ونحوها، حتى تُجرِّد قصدك له، وتصطبر لعبادته، ثم سيفيض عليك بلطفه ورحمتهولو بعد حين».

- «سورة إبراهيم سورة الفتوحات، عاهدتُ ربي أن أتلوها وأنا في طريقي لغزوة مباركة، ففتح الله بالفتوحات الكثيرة».

- «إنَّ تغيير السياسات وأسلمة المجتمع له ضريبةٌ باهظة، وأعداؤنا يعرفون هذاجيداً، فلقد سمع الكبير والصغير أنَّ من أهداف الحرب عند اليهود هو إنهاء حكم حماس في غزة، ويعتقد كثيرٌ من الناس أنَّه لا ينبغي لنا طلب الحكم، وأنَّ سبيلا لأنبياء هو الدعوة فقط».

- «رجال الله في غزة لو قادهم سين من العلماء لعلَّمهم التوحيد على مقاييسه النظرية، ولو قادهم سين آخر لعلَّمهم البدعة وخطرها على العقيدة،ولو قادهم سين ثالث من العلماء لعلَّمهم آداب الحديث وعدم رفع الصوت علىالأجانب وأخلاق النبي المتواضع الحنون، ولو قادهم سين من الناس لعلمهم التوبة من الذنوب، وأنه ينبغي ترك جهاد الشوكة حتى نجاهد أنفسنا، ولو قادهم خامسٌ لفصَّل لهم في الفِرق الضالة وبيَّن لهم خطرها عليهم وأنَّ معركتنا الحقيقية



معهم لا مع العدو الكافر الصائل المجرم، هذا غاية ما سيضيفونه على قاموس رجال الله العاملين المجاهدين».

وأكتفي بذلك..

وأقول ختاماً: إنَّ الذين يتكلمون في شأن المجاهدين من أولئك القاعدين المترفين، هم الذين نتشكك حقاً في عقيدتهم، ليست العقيدة بمعنى التصور النظري الكلامي، بل بمعنى حب الله وخشيته ورجائه وتولي أوليائه والتبرؤ من أعدائه.. إلى آخر هذه الأصول الكبرى التي ضلّوا عنها وأضلوا!، فصاروا ينطقون بكلام المنافقين -لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قُتِلوا-.. فهم أولى بالطعنِ وبالشكِّ، فسَمْتُهم ولسانُهم يُنْبِيءُ عن منافقين، لا عن متشرعين ومتفقهين!.

رحم الله حبيبنا القائد الشهيد أبا زكي محمداً بن زكي حمد.. وتقبله في الصالحين، ورفع درجته في عليين..اللهم آجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيرا منها!، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا: إنا لله وإنا إليه راجعون..

محمد إلهامي

4 ربيع الثاني 1447هـ

اسطنبول 26 سبتمبر 2025



المقدمة الثالثة

قَبَسٌ مِن نُورِ الشُّهداء

بقلم د. محمد يوسف الجوراني

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد..

فهذا الكتاب قبسٌ مباركٌ، فيه ومضاتُ نورٍ نافعة، وإشاراتُ وصايا راشدة، وهداياتُ أعمالٍ صالحة، وشذراتُ فقهٍ حكيمة، ورشقاتُ جهادٍ مباركة؛ مستضيئةٌ بعِلْم الوحي، ومهتديةٌ بالأثر النَّبويِّ، ومتزنةٌ بآداب الكُمَّلِ من صفوة الرِّجال، مع فهمٍ صائبٍ، وعقلٍ راجحٍ، فانتظمتْ محاسنُ خيراته، ومُثُلُ كمالاته في قلبِ ورُوحِ عالِمها ومُقيِّدها حين عاشها بروحه ودمه ودمعاته حقًّا وصِدْقاً، وتقلَّب مع صرير حروفه وكلماته تَوْقاً وشوقاً!.

هذا التوفيق الرباني ما قاد لفضائله، ووفَّق لمكارمه، وترقَّى لمعاليه إلَّا قلوبٌ معلَّقةٌ بربِّها، فوَعَت عنه خيرَ وعيٍ، قلوبٌ عَرفتْ معنى صدقِ المَلْجأ إلى الله قولاً وعملاً، وصدقِ الاستعانة به استكانةً وذُلًّا، مع تحقيقٍ عالٍ لعبوديةِ جمع القلب على الله، وحُسْنِ الالتجاء إليه، واستمطارِ النَّصرِ منه... حتى استنار لها السَّبيلُ المُوصِلُ لرضوان الله؛ فالْتزمُوه خيرَ التزام، وتعاهدوا عليه باستقام، وتمسَّكوا به ومسَّكوا فيه كلَّ راغبٍ صادق؛ فيا سَعْدَهم في صدقهم مع الله، وحبِّهم وخوفِهم ورجائِهم له، وحُسْنِ ظنِّهم به مع استفراغِ جُهدهم، باذلين الغالي والنَّفيس في تحقيق أوامره ونيل مراضيه!، فأيُّ رجالٍ أولئك؟!، وأيُّ قومٍ هم؟!، قلوبٌ آثرت العمل في خفاء، تبتغي الأجر مِن ربِّها، لم تُلْهِها فقاعات الشُّهرة الكاذبة، ولا زخرفات المظهريَّة الجَوْفاء، فكانوا في كلِّ ميادينهم المباركة على تعاهدٍ شديدٍ لضبط القلب وتصحيح وُجْهته نحو الله والدَّار الآخرة، فحملوا نفوسهم على تثبيته مِن تقلُّباتِ وفَلَتاتِ حبِّ الدُّنيا وزينتِها، يفرُّون منها فرارهم مِن



الأسد؛ خَشيةَ معرفةٍ أو مَحْمَدةٍ عاجلةٍ تهوي بهم في رياءات الدُّنيا وسفالاتها !!، فعاشوا وَجَدُّوا وجاهدوا وكابدوا المشاقَّ في خَفاء، وسارعوا وبذلوا وقدَّموا وتفانوا في العطاء؛ يَصدُق فيهم قول نبيِّهم ﷺ: (إنَّ اللهَ يُحبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ، الغَنِيَّ[1]، الْخَفِيَّ)[2]، فرفعةُ الصادقين في إخلاصهم، وبلوغُ الواصلين مِن خفائهم .. واتِّخاذُ الشُّهداء يجمع ذلك كلَّه.

إنَّما فَضْلُ هذا القَبَسِ الآسر .. أنَّه شاهدُ حقٍّ، وناقلُ صدقٍ لِمَنْ عاش في دروبه، وذاق أنواع كُروبِه، عاش إعداده ورَصْده وجهاده حتى استشهاده؛ فأدَّاه كما عاشه، وبلَّغه كما شاهده وسمعه، إذ هو نَسمةٌ مِن رياح الصَّادقين، وقطفةٌ مِن نزالات المجاهدين، وبركةٌ مِن يقين المرابطين على معالم الدُّنيا والدِّين، تنزَّلتْ عليهم رحماتُ ربِّهم في معاقدهم، وحفَّتهم ملائكُ خالقهم في بسالتهم، فأيُّ نعيمٍ عاشوه، وأيُّ ملاذٍ ذاقوه!، وأيُّ نصرٍ حقَّقوه؟!.

عشتُ مع هذا القَبس المُرشِد المبارك منذ بداية تقييده الأوَّل، فتلقَّفه بشوقٍ عقلي وقلبي قارئاً مُتلهِّفاً مُتعطِّشاً لكلِّ خبرٍ وكلِّ كلمةٍ فيه، أقرأ تارةً واقفاً، وتارةً قاعداً، وتارةً في الطَّريق، وتارةً قبل النوم.. وهكذا، قرأتُه ثلاثَ مراتٍ وما شَبعْتُ منه، أُسارق الوقت لمُعاودتِه مرةً بعد مرة، وأُمَنِّي النَّفسَ العيشَ في أحداثه، ودخولَ مشاهدِ أجوائه، فَتَعجَبُ نفسي مرةً، وتفرحُ تارةً، وتحزنُ أخرى، وتبكي مُرًّا!، وتطير بفكري سِرًّا !.

أيُّ شيءٍ هذا الذي يحدث؟، وأيُّ رجالٍ هم؟، وأيُّ عِيشةٍ عاشوها؟، سبحان ربي جلَّ شأنُه في سُنن كونه، كيف يُدبِّرها ويُنزِّلها على أحسن تقدير، مع رعايةٍ حفيفةٍ لأوليائه، ومهانةٍ شديدةٍ بأعدائه!، واهٍ لفخامة هذه المشاهد والصُّور، يشدُّك كلُّ جزءٍ منها لشيءٍ، وأيُّ شيءٍ؟!.

---

(1) المراد بالغنى غني النفس، هذا هو الغني المحبوب، لقوله صلى الله عليه وسلم: «ولكن الغنى غنى النفس».

(2) صحيح مسلم، حديث رقم 2965.

مُذْ ترمُق عينُك عُنوانَه (تحت راية الطوفان) فيختلجُ قلبَك أنواعٌ مِن الفخر والعِزَّة والنَّشوة بنعمة وجود هذا اللَّفيف مِن الطائفة المباركة المنصورة في هذا الزمان، وتُحدِّثُ نفسَك بحَزمٍ وعَزمٍ: (يا ليتني كنتُ معهم فأفوزُ فوزاً عظيماً)، فإذا ما دلَفْتَ إلى مكنون الكتاب، فإذا بِكَ ترى ويا نِعْم ما ترى، مِن عجائب الأخبار الصادقة، ومَكْرُماتِ الأحداثِ الشاهدة مِن سِيَرِ هذه العملية المباركة التي قلبت العالَم رأساً على عَقْب، وحُقَّ لها ذلك!.

تقرأ حالَ أهلَ الإيمان، وصحبةَ القرآن في ميادينَ شتَّى، في الرَّخاء والشِّدة، في السِّلْم والحرب، فتبصرُ الحرصَ الشَّديد، والمسؤوليةَ العالية، والهِمَّةَ الوقَّادة في دروبِ العلم والدَّعوة والخير والعبادة؛ فإذا ما هَبُّوا لمواجهة عدوِّهم فبأحسنِ إعداد، وتفنَّنوا في ضُروبِ الجهاد، فكانتْ نِزالاتُهم مِن عجائب أهوال القتال، وزَفَّت معاركُهم بشائرَ أخبارِ الرِّجال، وهم في طاعةٍ تِلو طاعة، نورٌ على نور، يهدي الله لنوره من يشاء.

وتغوص في الكتاب أكثر فتفهم دائرة الصِّراع بين الحقِّ والباطل، وكيف هو جَلَدُ الكافر والفاجر وأعوانِهم وخُدَّامِهم بالمَكر لهذا الدِّين!، فيكونُ لزاماً عليك أن تكون على عِلْمٍ وفطنةٍ بأحوالهم، ببصيرةٍ مُنيرة، وَوعْيٍ عالٍ كبيرٍ في رصْدهم وصَدِّهم ومُواجَهَتِهم، والسعيِ في القضاء على مؤامراتِهم؛ حمايةً للدِّين وصيانةً لِنَشْءِ المسلمين.

وتقرأُ أكثر: ويعتصر قلبُك، وتمطر عينُك مِن الحُرقة والغصَّاتِ على حالنا مع حالهم، وتكاد تختلف أضلاعُ صدرِك لِصُعوبةِ تحمُّلِهم المشاقَّ، وما ذاقوه في سبيل نُصرة الدِّين ورفعِ رايته وإعزازِه ومجده، مع بذلِ أرواحهم رخيصةً في سبيل الله ومحاربة أعدائه ، هذا جانبٌ، وجانبٌ أشدُّ ألَماً وأوجعُ وقعاً، وهو خِذلان كثيرٍ مِن أمة الإسلام لهم، وتَخَلِيْهِم عن نُصرتهم بما هو في مُكْنَتِهم وقُدْرَتِهم، ولكنَّه الخوفُ والجُبنُ وحبُّ الدنيا...



وتُكمل القراءة: ويسعدُ قلبُكَ لِمَا في هذا القَبَسِ من جميلِ الفقه، وحُسْنِ الفَهم لمسائل الدِّين النَّازلة بأصحاب الثُّغور والميادين، وكيف أنَّ الله تعالى أفاء على هذا العالِم العامِل نِعمةَ الفِقه، وَجَودةَ الفَهمِ، وحُسنَ تنزيلِه وتكييفِه على نَوازلِ دِيارِهم وواقِعِهم.

وتستمرُ في القراءة مُترنِّماً بجميل اللَّطائف القرآنية، والوصايا الإيمانية، والمواعظِ القلبية، والإشاراتِ التربوية، مع تذكيرٍ أخَّاذٍ بحسنِ بيانٍ، وأصدقِ لسانٍ.

ثُمَّ تقرأُ وتقرأُ، وستجد كلَّما قرأتَ معارفَ جديدةً، وإشاراتٍ سديدةً، غَفِلْتَ عنها في مَرَّتِكَ الأُولى!، فَتَفَقَّدْ مَكانَزها، وانظر صلاح قلبِك ونفسِك في كَلِماتِها، والْزَم نُصحَها وهِداياتِها.

وأهْمِسُ لكَ خِتاماً بَهمسٍ خَفيٍّ وبَوحٍ شَجيٍّ: هذه الصَّولاتُ والجولاتُ مع بني صِهيون لن تكونَ الأخيرة، وسُنَّةُ الله ماضيةٌ في قِتالنا لهم حتى قيامِ الساعة؛ فانظرْ رَصْدَ نفْسِك لنَفْسِك، واكتسب وأعدَّ القوةَ في يومِك، وانوِ أن تردعَ بها عدوَّك في غَدِك؛ عسى أنْ يبعثك ربك يوماً موعوداً، ومَشْهداً محموداً، وقد نصحتُك ونفسي!.

تقبَّل الله هذا العالِم المبارَك والمجاهدَ الشهيد -بإذن الله-، وأَخْلَفَ على أهلِه وزوجِه وذريتِه والمسلمينَ وأرضِ الرِّباطِ والثغورِ بخير، ونفعَ بجهودِه العلميةِ والعمليةِ خيرَ نفعٍ، وثَقَّلَ به ميزانه يوم العرضِ عليه والوفودِ إليه، وجَعَلَهُ شَفيعاً لأهلِه وإخوانه وأحبابِه في جنَّاتِ الخُلودِ مَعَ النَّبيِّينَ والصِّديقينَ والشُّهداءِ والصالحينَ، وحَسُنَ أولئكَ رفيقاً.

مَهَرَهُ وَكَتَبَه بِدمْعِه قَبلَ قَلَمِه

د. محمد بن يوسف الجوراني العسقلاني









من كلمات الشهيد

1- «واللهِ لَنَثْأرَنَّ لكلِّ شابٍ قُتل، ولكلِّ بيتٍ هُدِم، ولئن قَصُرتْ أعمارُنا فلنتركنَّ خلفنا كتائبَ لا تتوانى عن نصرة الحق، وأسأل الله أن يجعل لِقَسَمِنَا هذا برًّا».

2- «واللهِ لو نَعَقَ أشباه المُتعالمين بألفِ بيانٍ وألفِ منشورٍ وتفصيلٍ وتَفَيقُهٍ، مَا ضَرَّنا ذلك، لأنَّنا رأينا الحقَّ عينَ اليَقين، وأُحدِّثُكم لاحقاً بما يسرُّ القلب ويشفي الصدر».

3- «لقد كانت دماءُ العزِّ في غزة هي شعلةُ الحياة لهذه الأمة، وإنْ لم نرَ هذه الحياة الآن فسيراها الجيل القادم بإذن الله».

4- «نُجدِّد عهدنا مع القرآنِ الكريم، هذا الكتاب العظيم الذي كان معنا طِيلةَ هذه الجولة العظيمة، هذا القرآن الذي أدارَ المعركةَ منذُ لحظةِ انطلاقتها، نُجدِّدُ عهدنا مع القرآن الكريم أنَّه هو روحُنا وحياتُنا، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾، والذي ليس في قلبه شيءٌ من القرآنِ فهوَ كالبيتِ الخَرِبْ، فلا تقطعْ عهدَك مع القرآنِ يا مُسلم، ولا تقطعْ حبلَ الله الممدودِ من السماء إلى الأرض».

5- «هذه الدنيا سَتَفنَى، وسنفرحُ فرحاً عظيماً في جنَّة الله تبارك وتعالى، ونتعانقُ جميعاً، ونباركُ لِبعضنا أنَّ الله قد قَبِلَ صبرَنا، وأنَّ الله قد أبدلنا الفردوسَ الأعلى، وكلُّ جوعٍ قد ذُقناه سيُعوِّضنا الله تبارك وتعالى عنه ماءً سلسبيلاً، وسيُذيق عدوَّنا طعاماً ذا غصةٍ وعذاباً أليماً».



بين يدي الكتاب[1]

يقول سيدُنا عمرُ بن الخطابِ ﷺ مُخاطباً سيِّدَنا خَبَّاب بن الأَرَت ﷺ: «ادْنُ، فَمَا أَحَدٌ أَحَقُّ بِهَذَا الْمَجْلِسِ مِنْكَ»[2]، وقد كان سيدُنا عمر بن الخطاب ﷺ يُقرِّب منه السَّابقين وكبار الصحابة، وهذا من الفقه.

كان يُرجَّح أن سيدنا خباباً ﷺ أُوذي وعُذِّبَ أكثر من سيدنا بلال ﷺ، فقد كان خبابُ ﷺ سادسَ ستةٍ دخلوا في دين الإسلام، وهو أوَّل من أظهر إسلامه، وكانت أم أنمار تُعذِّبه عذاباً شديداً، فكان يُلفُّ بالحصير، ويوضع على النار، وما يُطفئ النارَ تحته إلا وَدَكُ ظهره، وحين تُذكرُ معاناتُه أمام رسول الله ﷺ كانَ يقولُ: اللهُمَّ انصر خَبَّاباً[3].

ضَاقت الأرضُ بسيدنا خَبَّاب ﷺ فجاء يستفهم مَرَّةً عن النصرِ وطبيعتِه، وعَنِ البَلاءِ ومُدَّتِه، وعن الباطل وشَرَاسَتِه؟، ما هُوَ، وإلى مَتَى، وكيف ستنتهي هذه الشَّدائِد؟!، عَنْ خَبَّابٍ ﷺ، قَالَ: أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟، فَجَلَسَ مُحْمَرًّا وَجْهُهُ[4]، فَقَالَ: (قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْمِنْشَارِ فَيُجْعَلُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُجْعَلُ فِرْقَتَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عَظْمِهِ مِنْ لَحْمٍ وَعَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَحَضْرَمُوتَ مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ تَعَالَى، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَعْجَلُونَ)[5].

(1) من هنا يبدأ كلام الشهيد حتى آخر الكتاب.
(2) سنن ابن ماجه، حديث رقم 153.
(3) انظر: سيرة ابن هشام (252/1)، السيرة النبوية لابن كثير (496/1)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للشامي (359/2)، فقه السيرة للغزالي، ص112.
(4) ما سبب غضب النبي ﷺ واحمرار وجهه؟ يقول شيخنا د. محمد الأسطل: لقد عدَّ النبي ﷺ سلوك خباب خروجاً عن فقه السنن فاحمرَّ وجهه غضباً من سلوك استعجال النصر قبل اكتمال الإعداد.
(5) أخرجه البخاري، حديث رقم 3612، وأبو داود في سننه واللفظ له، حديث رقم 2649.

أستشعرُ الحالةَ النفسيةَ لسيدنا خبَّاب ﵁، ذلك الصحابي الذِي تَفقَّه بِسُنَنِ الله، وارتبط بالإسلام بَعدَ المُعاناة والتضحية[1]، فقد خاضَ سَيِّدُنا خباب ﵁ تجربةً عمليةً خَلخَلَتْ أركان العقل الجاهليِّ القَديم، وأسَّستْ عَقلاً إسلاميًّا يُزايل الجِراح ويَتعَوَّدُ عليها!.

إنَّ العبادة العظيمةَ التِي تَفوَّق فيها سيدنَا خَبَّاب ليستْ قِيام الليل ولا حِفظَ المتون ولا صدقات التَّطوع ولا المشاريع الخيرية.... بل (استِقبَالُ القَرْحِ)، هذه هي عبادة سيِّدنا خَباب المميزة، هذه هي التي لن تنضج علاقتُك بِالله حَتَّى تَخوضَ فِيها!.

ثُمَّ مَا أَشبَه مَعركَتَنا هَذِه بِغزوةِ الخَندقِ، بِتداعياتِها، وشِدَّتِها، وأَحزَابِها... لذلكَ اخترتُ عنوان الكِتاب على اسم سيِّدِنا خَبَّاب ﵁[2]، وأشرتُ فيه لغَزوةِ الخَندقِ، وقَد كُنتُ أَخالُ أن سيِّدي خباب ﵁ يُرابطُ معي في الخندق، فأتعلمُّ مِنهُ دُروسَ السُّنَنِ الإلهية، وأَنقلُ عَنه تَجرُبَتَه الطَّويلة مَع البَلاء، وَرَحِمَ اللهُ سيدنا عَليًّا ﵁ الذِي قال: «رَحِمَ اللهُ خَبَّابًا، أَسلَمَ رَاغِبًا، وَهاجَرَ طَائِعًا، وَعَاشَ مُجاهِدًا، وابتُلِيَ فِي جِسمِه، وَلن يُضيعَ اللهُ أجرَ مَن أَحسَنَ عَمَلاً»[3]، وأسأل الله أن يجمعني وإياه مع سيدي رسول الله ﷺ في جنات الفردوس، ويُقال لنا: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡ﴾.



(1) سيدنا خباب بنى بيت الفقه من لبنات البلاء، وكلٌّ يتفقه بحال من الأحوال وباب من الأبواب، فقد ورد أن البعض تفقه بأحوال أخرى، وكلٌّ يتفقه بالطريق التي ييسرها الله.

(2) وأنا أكتب الكتاب استشهد صديقي المجاهد (خباب) مع ثلة من الشهداء، الذين بقيت جثامينهم في الخنادق المدمرة، ولم نستطع إخراجهم من تحت الأرض إلا بعد أربعة أشهر فصاروا جثثاً. انظر عنوان: (انتشال جثامين الشهداء).

(3) المعجم الكبير للطبراني (56/4)، حديث رقم 3618.



مدرسة الثلاثين يوماً

انطلقتْ شرارةُ حَرب طُوفان الأَقصى، وَقد سَجَّل المجاهدون نصراً حاسماً وفتحاً عظيماً في يومِ السَّابع من أُكتوبر، وقد وفَّق الله أن تَتمَّ مَراحلُ الهُجوم دُون أن يُسجَّل خرقٌ أمنيٌّ واحدٌ[1].

كَان مِنَ المتوقع أنْ يَرُدَّ العَدوُّ بشراسةٍ، ولَمَّا نَضعِ السِّلاحَ وَنلتَقِط أَنفاسَنا مِن أَعباءِ الهُجوم حَتَّى أخذنا في تَنفيذِ الخُّطةِ الدِّفاعيةِ تَحسُّباً لِهجومٍ قَويٍّ مِن العدو، أَخذ المُقاتلونَ بِكلِّ الأسبابِ المُمكنة، فَتحَصَّنُوا في الخنادق، وَجهَّزُوا الكَمائِن، وَقد كَانت تَنزِلُ عَلى رُؤوسِنا حِمَمٌ وَأطنَانٌ مِنَ المُتَفَجِّرَات، لَكنَّها كَانت مُتَوَقَّعَة! مَضت بِضعةُ أيامٍ، فَصارتْ الطَّائراتُ تَقصِفُ كُلَّ مَا يَتحركُ، لَيلاً أو نَهاراً، حتَّى قَتلت طَائِرَاتُهم العِملاقةُ أَكثَر مِن حِمارٍ كَان يَسيرُ في الطَّريقِ يَبحث عَن لُقمة.

لا يَفصِلُ بيننا وبين تَحشُّدَات العدوِّ سوى كِيلو مِترٍ واحد، وَلم يَتركوا مَكاناً إلا وَقصفُوه، خَرجنَا ذَاتَ يَومٍ لِنَرى مَاذا حَلَّ بِالمنطقة؟!، كَان صَوتُ طَائراتِ الاستِطلَاعِ وكأنَّها تَسيرُ عَلى الأرض، هَل نَتَحرَّك؟!، نَعَم سَنَتَحرَّكُ وَنتعامَلُ مَع وُجودِ الطَّيران[2]، عِلماً بأنَّ أيَّ خطأٍ سيضعُ في حِجرِكَ صَاروخاً يَذهبُ بِك للفِردَوسِ الأَعلى إن شَاء الله، لَكِنْ لَو بَقينَا في الخَنادِقِ وَلم نُتَمِّم تَجهيز كَمائِنِنَا عَلى الأرضِ فَسنموتُ في خَنادِقِنَا دُونَ أن نَفعَل شَيئاً، فَهُناكَ عُبُوَّات وَهُناكَ أَسلاكٌ وَرَصدٌ وغَير ذَلِك يَحتاجُ إلى تَجهيزٍ، أَمَّا إنْ خَرجنَا فاحتماليةُ الموتِ عَاليةٌ، وَلكن هَذا هُو السَّبيلُ الوحيدُ الذي نَملِكه لِصَدِّ العَدوِّ وَإعاقَتِه، ومَن آثرَ السَّلامةَ في كُلِّ شَيءٍ لَم يَنَل شَيئاً.

(1) ثمة فوائد أمنية وعسكرية ودينية من التخطيط للهجوم حريٌّ أن تُفرد بدراسة.

(2) هناك طرق معينة للسير تحت طيران الاستطلاع، لكنها خطيرة جداً، وأي استهتار ربما يودي بحياة المجاهد، وغالب المرات يلطف ستر الله.



تمَّ رَصدُنا واستهدافُنا مِنَ الطَّيران أَكثرَ مِن مَرةٍ، ولكنَّ اللهَ سلَّم، وَلم نُصب بأذىً، وتمَّ تجهيزُ كُلِّ مَا يلزم بِحمدِ اللهِ، وَبعدَها تمَّ تكليفُ أَحَد الإِخوةِ بِمُهمَّةٍ السَّاعة الثانية ليلاً!!، مَن هذا الذِي سَيَخرُجَ الآن في هَذا الوَقتِ، وَفي هَذا الظَّرفِ، وفي ذَلك المَكانِ الحُدودي المُوحش؟!، لَكِنَّه التَّوكُّلُ عَلى اللهِ، فَخرج البَطلُ وتَمَّ إِتمامُ المُهمَّة بِحمدِ اللهِ، وَكانت إِطلاقَ رَشقةٍ صَاروخِيَّةٍ عَلى مَدينة اسديروت، وَقد كَانت الرَّشقةُ تَبعُدُ نِصفَ كِيلو متر فَقط عَن تحشُّدات العَدو، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:17].

كُلُّ يَومٍ مَع طُلوع الشَّمس نَخرجُ مِن خَنادِقِنا لِنَطمئِنَّ عَلى المَيدانِ، الحمدُ للهِ بَقيت بَعضُ بُيوتِ المَنطقة لِكَي نَستطيع المُناورة مِن خِلالِها، والاشتِبَاكِ مَع العَدوِّ مِن دَاخِلها!!.

مَن يَسمعُ كَلمة الأَنفاقِ والخَنادِقِ يَظنُّ أَنَّنا في فُندق، تَالله إنَّ الجُلوسَ فِيها لا يُطاق، لكنَّها السَّبيلُ الوَحيدُ لتَنفيذِ الكَمينِ بَعد قَصفٍ لِلمنطِقة دَام أُسبوعَاً كَاملاً ليلاً ونهاراً، قصفٌ بِكُلِّ أنواعِ الصَّواريخ، لم تمر دقيقة دون قصفٍ ودمار.

عَدوُّنا يَملِكُ ذَخيرةً هَائلة، وَمِنها قُنبلة (GBU)، التِي تَختَرِقُ طَبَقات الأَرضِ لتَنفَجر دَاخِلَ النَّفَق، إِنَّه شيءٌ مُرعبٌ بالمصطلحِ الدرامي، بَدَأ القَصفُ يَزدادُ، وقُصفَ النَّفق الذِي كنَّا فيه، وَظَنَنَّا أنّها القَاضية، لَكِنَّ الله سَلَّم.

خَرجنا مِن خَنادِقِنا كَالعادةِ لِتَفقُّدِ المَيدانِ، لَم تُبقِ لنا يَهودُ بيتاً، لَقد مَسحُوا مُربَّعاً كَاملاً، لكنْ بِفضلِ اللهِ بَقيت البُيوتُ التِي فِيها عُيون الخنادق، مَا أعظمَ فَضل الله!، كَمِّيَّة الصواريخ التِي صُبَّت عَلينا هَائلة جداً، حتى قُلتُ في نَفسي: سَأَستيقِظُ غداً عَلى مِئة شَهيدٍ مِن رِجالنا!!، لَكن العَجَب والله أنَّه لَم يُصَب أحدٌ بأذى، لم يُخدش أحد بِحمد الله!!!.

إنَّ الحياةَ الحقيقيةَ هي في خَنادقِ الجِهاد، فَمن طَلب الموت وَهَبه اللهُ الحياة، إنَّ صوت القصفِ لا يقتلُ الرِّجالَ ولا يُغيِّر المبادئ، إنَّ كَميَّة القَنابل لا تُنقِصُ الأَعمار.

ها أنا أكتبُ هَذا الكتابَ بَعد مِئتين وَعشرينَ يوماً من الحَربِ، والذينَ قُتلوا مِن كَتيبتِنا مِئة شَهيد في سَبعةِ أشهرٍ، والصاروخُ الواحدُ فَقط قَد يَقتُلُ أكثر مِن مِئة شَخص، قال تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آل عمران: 111].

مَرَّت العِشرون يَوماً الأولى، وَقد كَانت الهِمَمُ بِعون اللهِ تُناطِحُ الكَواكِب في السَّماء، ثُمَّ جَاءت الأَخبارُ مِن المستوى الأَعلى: غداً قَد تَكونُ هُناك هُدنة، غداً قد تَنتهي الحَربُ، فَركنتْ النَّفسُ إلى الدُّنيا قليلاً، وَذهبت تَتَذَكَّرُ المَتاع والحَرث، ولعلَّها كَانت حِيلةً مِن اليَهودِ المَاكِرين، فَفِي نَفس الليلةِ التِي صَدَر فِيها خَبرُ الهُدنة، بَدَأَ الهُجوم البَرِّي عَلى قِطاعنا الحَبيب، وَوَجَّه لنَا العَدوُّ لَيلتَها ضَربةً بِأحزمةٍ ناريةٍ قَويَّةٍ جِداً، حَيث كَانت تِلك الليلة لوحدِها أَقسى من العِشرينَ يَوماً السَّابقة!!.

دَخَلَ الغَازُ السَّامُّ إلى الأَنفاقِ، فَاختنقَ المُجاهِدُون، وَانكَسَرَت مُعظم خُطوطِ الأَنفاقِ، وانقَطَعَ الاتِّصال مَعَ مُكوِّناتِ الجَيشِ المُجاهِدِ في مَنطِقَتنا، استُشهِد بَعضُ الإِخوةِ المُجاهدين، وَبَدَأَ الهُجوم البَرِّي الحَاقدُ على أرضِنا المُقدَّسَة، لَقَد خُضنا حُروباً سابقة، وَلم يَكُن دُخول العَدوِّ بِزخمٍ كَهذا، لَم يَكُن العَدوُّ يَتحركُ حَركةً في مَعركة الطُّوفان إلَّا بِتغطيةٍ ناريةٍ هائلةٍ (نيران المدفعية ورشاشات الآليات وقذائف الهاوتزر وغارات F16)، مَع أنَّنا نَنظُر إِليه مِن بَعيد، وَلم نُطلِق طَلقةً وَاحدةً بعد!، فَنقولُ: أَكُلُّ هَذا خوف، أمْ هُوَ رُعبٌ، أم ماذا؟!.

وَفَّق اللهُ أن نُؤلمهم وَأن نُؤذيهُم، فَقد خَرج المُجاهِدونَ مِن تحتِ البُيوتِ المُهدَّمة، وَمِن بين الأَراضِي المُجرَّفة، وَأذاقوا العَدوَّ الويلات، وَاللهُ غَالبٌ عَلى أمره ولكنَّ أكثرَ النَّاس لا يعلمون.



بسببِ القَصف الجُنوني المُستمر، لَم يَبقَ في المنطقةِ بيتٌ وَلا خزَّانُ مِياه وَلا حَتَّى قَارورة مَاءٍ، وَبِالطَّعامِ والشَّرابِ قَوامُ بَدنِ المُجاهِدِ، أمَّا الطَّعام فَكُنَّا قد جهَّزنا مؤنةً، لكنَّها لَيست كَمِّيةً كَبيرةً، فانتهت وَانقطعَ الطَّعام وَنفدَ الماءُ والزادُ، لكن مَا نفدتْ كَلماتُ اللهِ ومعونتُه.

أُصيب بَعضُ المجاهدينَ بالهُزال، وبَعضهم بالإمسَاك، وثَالثٌ بِالصداعِ الشَّديد، ورَابعٌ بالإِسهال والبَرد، ظُروفٌ لَم تَمُر مِن قَبل، لَا بُدَّ مِن البَحثِ عن الزَّاد!!، خَرجَ بَعضُ المُجاهِدِينَ المُخلَصين لَيبحثَ عن قَالونِ ماءٍ، فَعاد بِه مَليئاً عِشرين لِتراً!!، تَكبير فُرجتْ!!.

إنَّ الدنيا في أعيُنِنَا تُساوي شَربةَ مَاءٍ، صِرتُ أشربُ عَلى قَدرٍ (من سدَّةِ القَارورة)، وأُناول الشابَّ السَّدَّةَ لِيشربَها.

لَقد عِشنا عَشرة أيامٍ بلا زادٍ ولا ماءٍ إلا مَا يُبقينا على قيدِ الحَياة، وَهكذا مَضى مِن الحربِ ثلاثونَ يَوماً، لَقد نَسيتُ آلامها، لَكِنَّي لَم أنسَ دُروسها، لَقد خَتمنَا ثَلاث خَتمَاتٍ للقُرآن الكَريمِ، واجتمعنا لَحظةَ الخَتمِ كَما كَان يَجتمعُ سيدُنا أَنسُ بن مالك رضي الله عنه عِند ختمِ القُرآن، إنَّها مدرسةٌ عَظيمةٌ في الاعتمادِ عَلى اللهِ، مَدرسةٌ في تفويضِ الأمورِ إليه، مَدرسةٌ في عَدمِ خَشيةِ العَدوِّ، مَدرسةٌ في خَوفِ وَجُبنِ البَاطل مِن الحقِّ وأهله، مَدرسةٌ في الصَّبر، مَدرسةٌ في الإيثار، مدرسةٌ في الإعداد، مدرسةٌ في الابتلاء، مَدرسةٌ في ثَباتِ المجاهد، لَقَد قَطعَ اللهُ عَنِّي كُلَّ العلائِقِ والخَلائِق وَصرتُ أُناجيه مِن باطنِ الأَرضِ: «إلهي وَسَيِّدي وَمولَاي، أَنَا الهَباءَةُ فِي كَونِك، وأَنتَ الملجأُ والملاذُ، ربَّاهُ تولَّني فِيمن تَولَّيت»، لَقَدُ كُنتُ أقرأُ القُرآنَ وَكَأنَّي أَطعمُ الطَّعامَ وأتزوَّدُ بِالزَّاد، إنَّه غِذاءُ الرُّوح.

مـرَّت مَدرسـةُ الثلاثـينَ يَومـاً كَمـا يَسَّـرَ اللهُ لَهـا أن تَمُـرَّ، ولَـم يُخدش مِنَّـا أحدٌ ولَمْ يُصب مِنَّا أحد، لَقَد سُدَّت بَعضُ المخارجِ مِن القَصف الهَمَجي، وسِرنَا تَحتَ الأرضِ مَسافَاتٍ طَويلة نَبحثُ عن مخرجٍ، حَتَّى وَجَّهنا اللهُ للسَّبيل، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [سورة النحل:9].

التقيتُ بعد ثلاثينَ يوماً بِإخواني المُجاهدين، ظَننتُ أَنَّهم قُتلوا بسببِ القَصف الرَّهيب، لَكنْ وَجدتُهم أَحياءَ أشِدَّاءَ، قَد ذَبَلت أَجسادُهم وَتغيَّرتْ أَلوانُهم بِسبَبِ ضَغط المعركة، هُمُ الرِّجال لَا غَيرهُم والله، عُظماءُ في الملأ الأَعلى، لَا يعرفُهم النَّاسُ، لَكنْ حَسبُهم أنَّ اللهَ يعرفُهم!!.





الأوفياء ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ [1]

أرجو مِنك أن تَقرأ هذا الفَصل وأنتَ عَلى وُضوء، وإنْ كُنتَ نائماً فاعتدل[2].

إنَّ الأُمَّة التي تُحسُن صِناعة الموتِ، تُحسن صناعة الحياةِ... كُنَّا نُصاحبُ الشُّهداء، كُنَّا نُجالِسُ شُهداء، وَنسهرُ مَعهُم، لَكن لم نَكُن نَعلم أنَّهم شُهداء!، اللهُمَّ اغفر لَنا تَقصيرَنا تِجاهَهُم.

هَؤلاءِ الشُّهداء الذِين سَبقونا في طريقِ الجِهاد، أَحدُهم كَان ذا خُلقٍ عالٍ جداً، مَدرسة في الأخلاقِ والأَدَب، وَهو مِن قُدامى المجاهدين، وآخرُ شَهدتْ له بالإثخانِ سَاحاتٌ كَثيرة، وثَالثٌ أَصلحَهُ اللهُ بالجِهاد، ورَابعٌ شَابٌ نَشأ في طَاعةِ رَبِّه، وَخامسٌ أتلفَ جَسَدَهُ في سَبيل الله[3]، وغيرُه مُحبٌّ للمجاهدين خَتم اللهُ له بالشَّهادة، وحَصْرُ هَؤلاء عَسيرٌ، والخُلاصة أنَّهم أجدرُ النَّاس بالإكرام، وَوَصيَّتي لشباب الأمَّة أن يُطالِعُوا سِيرَ هَؤلاء الرِّجال، فَإنها تُحيي القُلوب، وتَبعثُ القَلب مِن جَديدٍ، وَهي أحبُّ إلىَّ من خَمسينَ مسألة في الفِقه.

سمعتُ كثيراً من إخواني المجاهدين يُلحُّ على اللهِ بأن يَرزقَه الشَّهادة في سَبيله، وَيَبكي حِينَها وَهُو يُناجي ربَّه، يَرجُو قِتلة في سَبيل الله، جَلستُ مَعَ أحدِهم قَبل استشهادِه، وَسألتُه وَألححتُ عَليه، فَحدَّثني عَن صَولاتٍ وجولاتٍ لهم في قِتالِ وقتلِ الجُنودِ في هَذه المعركة، وَبَعد أن حدَّثني بَكى واغرورقت عَيناه، وَقَال لِي: «أَهم شِيء رَبنَا يتقَبَّل مِنَّا»، فَقُلتُ في نَفسي: «هَذه واللهِ أَخلاقُ شَهيدٍ!»، وَقد استُشهِدَ -تَقبَّله الله- بَعد هَذه الحَادثة بِمُدةٍ لَيست طَويلة[4].

---

(1) عاهدتُ نفسي أن أنشر سيرتهم بين الأنام، وهذا أقل حقوقهم علينا.

(2) أُثر من كلام العلماء: (يَنبَغِي أن نَعتَدِلَ إذا ذُكِرَ الصَّالِحُون).

(3) أخي الشهيد أبو زكريا، رفيق الدرب، وصاحبي في الشدة والرخاء، من حسناته الجارية استقطاب الشباب للالتحاق بدورات المجاهدين، وقد كان موفَّقاً، فكثير من المجاهدين هم من حسناته إن شاء الله، فهنيئاً لك يا حبيب القلب، فقد كنتَ تصلني وأُقصِّر معك، وقد كنتَ أصدق مني في المحبة، وأقدر مني على طريق الجهاد، وأكرم مني يا صديقي الشهيد.

(4) أخي الشهيد أبو مسلمة، وقد رأيته في المنام يقول لي: لقد بنينا بيتاً، مُرَّ علينا!، فقلت له: إن شاء الله.

هَل تَعلَمونَ مَا هِيَ الشهادةُ في سبيل الله؟!

إنَّها أَعلى وِسامٍ تَنالُه بَعد شَهادةِ التَّوحيد، وَهي خَيرُ دَليلٍ عَلى صِدقِك، فتُصبح الحَياةُ بَعد ذَلك فَترةً قصيرةً بَين شهادَتَين.

اللهمَّ إنَّ لَنَا أَحبابًا قَد رَحلُوا إليك، وَحلُّوا ضُيوفاً بَين يديك، اللهمَّ لا تَفتِنَّا بَعدَهُم، وَلا تَحرِمنَا أَجرَهُم، واغفِر لنَا وَلَهُم، ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: 73].

إنَّني مَعَ رِجالٍ يَتمنَّى الواحِدُ مِنهُم أَن يَتبخَّر جَسدُه في سَبيلِ الله، هُم شُهداء لَكِن يَنتظِر الواحِدُ مِنهُم شَهادةَ الوَفاة، بَعضُهم يَرى الحُرِّيَّة في الموتِ في سَبيلِ الله، وَبعضُهم قَد اشتَاق لِلِقاءِ الله، فأحبَّ اللهُ لِقاءَه ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖ﴾ [العنكبوت: 05].

لَقد كُنَّا نَدعو الله أَن يَرزُقَنا الشَّهادة معاً، لكنَّ دَعوَتَهُم كَانت أَصدقَ مِن دَعوَتِي...

إنَّ شَابًّا لَم يَصحَب المُجَاهدِين ولا الشُّهداء، هُو في غَفلةٍ عَن المَطالبِ العَالِيَة، تَاللهِ إنَّ صُحبَتَهم حَياة، فَجزاهُم اللهُ خَيراً عَن الإِسلامِ، وَأجدرُ النَّاسِ بِالإكرامِ عبدٌ أَتلفَ نَفسَه لِيَحيَا دِينُه.

الأُمَّة لا تعرفُ شَيئاً عن رِجالها العُظماء، لَكنْ أَقولُ مَرَّة أُخرى: حَسبُهم أَنَّ اللهَ يعرفُهم، وشَأنُهم كَشأنِ مُؤمن آل يس، الذِي خَلَّد الله ذِكرَه في القُرآن، وقَصَّ عَلينا شَهادَتَه في سَبيلِ اللهِ ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [سورة يس: 26-27].





وطائفةٌ قد أهمَّتهم أنفسُهم

عَلى الجَانبِ الآخرِ تَماماً ثَمَّـةَ طَائفـةٌ تَعرف اللهَ معرفـةً جامدةً، يَظُنُّون بـاللهِ غَيرَ الحَقِّ ظَـنَّ الجاهليـة.

اعلَم يَا أخـي أنَّ الحـقَّ لَـه طَائِفَتـان: طَائِفـةٌ وفيَّـةٌ للحـقِّ، يُؤلمها أن يُصابَ الحقُّ بِأذى، وطَائِفـةٌ قَـد أهمَّتهُـم أنفسـهُم، كـلُّ هَمِّهـم أَن تُقبـل مُقترحاتُهـم، وتُسـمع وجهـاتُ نَظرِهـم، لا يـدورونَ إلا حَـول أَنفسـهم وذواتهـم.

كَانـت المَعـاركُ تَـدورُ بِكل شَراسـةٍ وَعلـى كُلِّ الجَبهـاتِ، وَهُـو يَمسـحُ عَارضيـه قَائـلاً: اقترحـتُ علـى القِيـادة كَـذا وكَـذا، ولمْ يَسـمعوا مِنـي، لَـو سَمِعُـوا مِنِّـي لما حَصَلَ كـذا وكـذا، وَهُـم مُخطِئُـون في قَـرارِ كَـذا، ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖ﴾ [آل عمـران: 66].

أُعيذُك أَخي أَن تَنشَغِل بِالتَّقييمات أَثناءَ تَعارك الحَقِّ مَعَ الباطلِ، بل اجتهد بِكُلِّ تَواضُعٍ لتَسُدَّ ثَغراً، وكُـن جُنديَّاً عِنـد إخوانِـك حَتَّـى وَلـو زَيَّنت لَكَ نفسُـك أنَّهم أَقلُّ مِنك قَـدراً، فَالأقدارُ عِنـدَ اللهِ وَليسـت عِنـدك، وإنَّ اللهَ إذا أَرادَ بعبـدِه خَيراً فتـحَ لـه بَـابَ العَمـلِ وأغلـقَ عَليه بَـاب الجَـدَلِ، وإنْ أَرادَ بِـه غَـير ذَلِـك شَـغَلهُ بِالجَـدَلِ، وأغلقَ عليـه بَـابَ العَمَـلِ.



انتشال جثامين الشهداء

قُصفَ أحدُ الأنفاقِ بثُلةٍ مِن خِيرة المُجاهدين، وانقطعَ بِهم الاتِّصالُ، فدعونَا اللهَ أن يُسلِّمهم، لَكنَّ القَدَر قَد سَبَق دُعاءَنا، وَتَمَّ تأكيدُ خَبَرِ استشهادِهم، وَظَلَّت أجسادُهم تَحتَ الأرضِ أربعةَ أَشهُرٍ، لَم نَستطِع الوُصولَ إليهِم، فَكلَّفتْ القِيادة مَجموعةً مِن المُجاهدينَ بِبَدء الحَفر عَليهِم، حَتَّى نُؤدِّي حقَّهم علينا، ونُواريَهم في قُبورهم، فاستغرَقَ الحَفرُ مُدَّةً طَويلةً، مَعَ مَا في ذَلِك مِن مُخاطرةٍ، وَقَد فَتحنَا ثَغرةً تُوصل لِمكانِهم، فَدَخَل أَحدُ المجاهدين[1]، ورَأى أَصعبَ مَشهدٍ في حياته، وَقصَّ علَيَّ مَا رأى، فَكان حَديثُ المجاهِد مَعي مَوعظةً بَليغةً، وَكَان فِيما قَاله: «لَقَد رَأيتُ جُثَّةَ أَبي جَعفر[2]، آه أبو جَعفَر الذِي كَان يُدرِّبُنا عَلى الأسلحة، أبو جَعفر الذِي انتَظَر عَلى بُندُقِيَّة ال 12.7 ثَماني سَاعاتٍ، لأجلِ قَنص الضَّابطِ في حَرب عَام 2014م، وَقَنصَهُ وأرداه قَتيلاً، أبو جَعفر الذِي سَبقَنا في الأدَبِ والزُّهد والتَّواضُع والهِمَّة، للهِ أنت يَا أبَا جعفر!، قَالَ لِي المجاهِدُ: «لَم أرَ مِن أبي جَعفر شَيئاً، لا وَجه ولا لِحية، وَلا حَتَّى عَيناه الجميلتَان، وَلا لِسانَه الذِي كَان يَصدحُ في مَيادينِ التَّدريب!!، لا يوجدُ أيُّ مَلامِح»، آهٍ مَا أحقرَ هَذه الدُّنيا، إنَّها دُنيا هَيِّنة خدَّاعة، فَأولياءُ اللهِ يُسامونَ فِيها العَذاب، وَأكملَ لِي صَاحبي كَلامَه قَائلاً: «لَن يَبقى مِن صِفاتِنا شَيء، كُلُّ مَا سَيُذكَرُ هُو أعمالُنا، وأنَا أَضعُهُ في الكِيسِ كُنت أقول: يَا الله لا تَجعَل هَذِه المَشاهد تُنسيني جَمالَ الأرواحِ في القَناديلِ المُعلَّقة بالعَرش»، ثُمَّ انتقَلَ إلى الشَّهيدِ خبَّاب، آهٍ مَا ألطفَه وأَصدَقَه، خَبابُ بن الأرَت الصَّحَابِيُ الذِي كَان يُلَفُّ بالحَصيرِ فيُدخَّن جَسدُه في النَّار، وَخَبَّابُنا اليومَ لفَّته الأرض، فاللهمَّ أكرِم نُزُله وَوَسِّع مُدخله، كَان خَبابُ يَأتيني في الخَنادِق، ويُحبُّ أن نَتَدارسَ سِيرة النَّبي ﷺ، رَجاؤُنا أنَّ خَباباً بِجانب نبينا الكريم ﷺ.

(1) وكانت مهمته: وضعهم في أكياس، وإخراجهم من فتحة النفق بواسطة حبل، وإرسالهم لمكان لنصلي عليهم وندفنهم.
(2) إن كنت نائماً فاعتدل، لأننا نتحدث عن خيرة صالحي زماننا.



وَبِجانب خَباب كَان الأخُ الذِي كُلَّما ذَكرتُه بَكى قَلبي، إنَّه الشَّهيدُ -بإذن الله- أَبو مَسلمة[1]، إنَّه العَامِل الذِي لَا يَكلُّ وَلا يَعتَذِرُ، لَو كَلَّفه الإخوة بِحمل جبلٍ لَفتَّته وَحمَله، الشَّابُ الخَلوقُ الهُمام، كُنتُ أتحَيَّنُ الفُرصة لِلجُلوسِ مَعَه، كَان يَتَحدَّثُ عَن العَمَل بَينما كُنَّا نَنشَغِلُ بالجَدل، كَانَ يَنشَغِلُ بالسُّكوت بَينَما كُنا نُكثر الكَلام، كَم كُنتُ أحبُّه، وكُنتُ أقولُ: هُوَ قُدوةٌ لِشبابِ الجِيل، لَكنَّه رَحَلَ وَلم نَعُد نَراه، وَلا شَكَّ أَنَّ مَا عِندَ اللهِ خَيرٌ مِمَّا عِندَنا، فَلا تُنسِني يَا أبا مسلمة، فَأنتَ عِندي مِصباحٌ مِن مَصابيحِ الطَّريق، وانتُشِلَ مَعهُم الشَّهيد صَاحِبُ الخُلق واللُّطفِ (إبراهيم)، ذَاك الهَادئُ الذِي سَبَقَ أَصحابَ الضَّجيجِ والصُّراخ، فَرحماتُ اللهِ عَليه.

وَمَعَهُم أَيضاً الشهيدُ (ياسر)، المِقدامُ الذِي كَان مُدرسِّاً في المَدرسة، لَكنَّه لَم يَترُك الثُّغورَ، وَكَانَ أَسَدَاً في الاشتِبَاكاتِ، فَكَان يَصدَحُ بِالتكبيرِ، وَلَهُ جُرأةٌ وَشجاعةٌ لَم نَتَوَقَّعها مِنه، فَقَدَّسَ اللهُ رُوحه، وَوَسَّعَ مُدخَله، وآخرُهم الشَّهيد (بِلال)، الذِي كَان يَقومُ عَلى خِدمة إِخوانه، وَكَان كالأمِّ الحَنون لهم، كُلُّ هَؤلاء لَيس لَهم مَلامحٌ ولا صفاتٌ، بِالكادِ تَعرَّفنا عَليهم، لَكنْ الحَمدُ لله الذِي جَعَل الحَياة بِالأرواحِ لا بِالأبدانِ، فَمَن صَانَ رُوحَه عَن الدَّنايا، صَان اللهُ رُوحه في جَوفِ طَيرٍ خُضرٍ تَسرَحُ في الجَنَّةِ حَيث شَاءت.



(1) ذكرتُ له موقفاً سابقا في فصل (الأوفياء فمنهم من قضى نحبه).

كَسرُ العدو

يَظنُّ كَثيرٌ مِن النَّاس أنَّ المقاومـة في غزَّة تَمنعُ العَدوَّ مِن التَّوغُّلِ والتَّقدُّم، وَهِي قَادرةٌ عَلى تَدميرِه بِالكَامِل، وَهذا رَاجِعٌ إلى ضَعف الخِبرة والمعرفةِ العَسكريَّة[1]، والتَّجارِب التَّاريخِيَّة للحُروب والمعارِك، والحَمدُ للهِ أنَّنا لَم نُكلَّف شَرعياً بِكسرِ العَدُوِّ، بَل نَحنُ مُكلَّفُون بِالإعدادِ وَصدِّه قَدرِ المُستَطَاع، وَلن يُحاسِبَنا اللهُ إذا فَشِلنا في تَدمِيره بِالكَامِل.

إنَّ مَناط الأَمر هُو الاستِجابةُ لأمرِ اللهِ بِالإعدادِ والجِهاد، وَلقد كَانت غَزوة تَبوكٍ أَعظم غزواتِ الإسلامِ، فَقد مَيَّزت الصَّفَّ إلى مُؤمِنٍ ومُنافق، وَحِين تَخلَّفَ ثَلاثةٌ عَن الغَزوةِ عَاقبهم النَّبي ﷺ عِقاباً شَديداً، مَعَ العِلم أنَّه لَم يَحصُل في غَزوةِ تَبوكٍ أيُّ قِتالٍ أو اشتِباك، إنَّ اللهَ يُريد مِنَّا أَن نستجيبَ له!، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠
تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١
يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢
وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصف: 10 – 13].

المعنى: جَاهِدوا أَصالـةً في سَبيلِ اللهِ لأجلِ اللهِ وَلأجلِ مَغفرةِ الخَطَايا، وَلِكي تَنالوا الفَوزَ العَظيمَ يَومَ القِيامـة، أَمَّا النَّصرُ العَسكريُّ وَكسرُ العدوِّ، فَهُو أمرٌ آخر، وهُوَ دُون الفَوزِ العظيم.

عَشراتُ المَراتِ التِي خَرجَ فِيها المُجاهدونَ لتنفيذِ مُهِمَّاتٍ وَلم تَتِم، مَرةً يَحصُل خَللٌ في القَاذِف، ومَرَّةً خَللٌ في القَذيفة، أَخذنَا بِكُلِّ الأَسباب، لَكن لَم يَشَأِ اللهُ أن تُطلق القَذيفة، ومَرةً لا تُحلِّق طَائرُتنا المُسَيَّرة، لَقد كُنَّا نَحزَنُ كَثيراً، وَرأيتُ بَعضَ المُجاهدينَ يَبكي بُكاءً شَديداً، وغَضِبَ مَرَّةً صَاحِبُنا حَتَّى انتفخت أَوداجُه، لأَنَّ العُبوةَ لَم تَنفجر، فَهَوَّنتُ عَليه وأخبرته أن أجره

(1) من الناحية العسكرية فإنَّ القدرات التي نملكها قادرةٌ بعون الله على إعاقة العدو وتأخيره واستنزافه، وليست لها القدرة العسكرية على إبادته وسحقه بالكامل.



قد كُتب كاملاً.

ولا ينبغي أن يُفهم من كلامي هذا، التقصير في الإعداد للقتال، بل يجب التجهيز الدائم والمستمر لكلِّ أدوات القتال، لكن لو لم يُقدِّر الله لك قتل العدو أو كسره ف ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: 128]، وهذا لا يَضرُّك ولا يعيبك، فما دمنا نحقق الاستجابة لأمر الله، فنحن على خيرٍ بعون الله.

ثم إنَّ السهم الواحد يدخل به ثلاثةٌ الجنة، كما قال ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ لَيُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ الثَّلَاثَةَ الْجَنَّةَ: صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ، وَالرَّامِيَ بِهِ، وَالْمُمِدَّ بِهِ)[1].

لكنْ ثمةَ شهوةٌ خفيةٌ في الرمي، وَمن ذَاقَ عَرف، لِذلك يَحصلُ التَّنازع عند الرَّمي، ويحرصُ الكلُّ عليه، لأنَّه خُلاصة الجُهد، ورأسُ الأمر، وفيه القُوَّة والإيذاء، لكنَّ مدار الأمر عند الله على النيَّات لا على الشهوات.

فالجهاد نِية، وربَّ صَانعٍ سبق الرامي، وربما نَالَ الحَامِلُ والنَّاقل للسِّلاح أعظم الأجور، فوجِّهوا أنظاركُم إلى النِّيات، فهي محل نَظَرِ الله، ولا يُفهم من هذا الكَلامِ التَّقاعُسُ في الرمي، بل هُو مِن التَّنافس المحمود، والله الرامي والموفق.



(1) سنن ابن ماجه، حديث رقم: 2811.

حصار مستشفى الشفاء (مُعجزة النِّضال)

رَوَّج العَدوُّ مُنذ بِدايةِ المعركةِ أنَّ مُستشفى الشِّفاء هُوَ مَقرُّ قيادةٍ للمقاومةِ، وأنَّها مَليئةٌ بِمخازنِ الأَسلحةِ وعُيون الأنفاق!!، وهَذه كِذبةٌ مُكرَّرةٌ، شَهدها إخوانُنا في العراق يومَ أن هَجمت عَليها أمريكا، التِي تنتهجُ قاعدة: (اكذِب واكذِب حَتَّى تُصدِّقَك الجَماهير)[1].

وَصل العَدوُّ المستشفى واقتحمَهَا وَلمْ يجد شَيئاً، غَادر المُستشفى وَعاد أَدراجه إِلى مَناطق التَّحشُّد، وفي شهر رَمضان في لَيلةٍ مِن الليالي، تَسلَّلَ العَدوُّ خِلسةً وبِشَكلٍ سريعٍ ومُفاجئٍ إلى مستشفى الشفاء، لِيحاصِرَ مَن فيها وَمَن حَولَها، وَكَان في المَنطِقَةِ بَعضُ الإِخوة وآلافُ النَّاس الذين يَتَّخِذونها مَأوى بسبب تدمير العَدوِّ للبيوتِ.

وَصل العَدوُّ للمستشفى بِقوةٍ نَاريةٍ هَائلةٍ، ثُمَّ حَاصرها مِن جَميع الجِهات، وَقصفَ أحد المَباني بِصاروخِ F16، وأخذ قَائد العمليةِ الصهيونِي يُنادي بالميكروفون: عَلى الجميع أن يُسلِّم نَفسه، أنتُم مُحاصرون!.

للأسف سَلَّم بَعض الموجودين أنفسهَم، وهم الآن في الاعتِقال -صبَّرهم الله ورَبَطَ على قلوبِهم-، ولَمَّا نُقل الخبَرَ عَبر الشَّاشات ونشرات الأخبَار أنَّ العدوَّ قد اعتَقَل بَعض الإخوة وَقام بِنَشرِ صُورِهم، أُصبنا بِألمٍ نفسيٍّ كبير، كنتُ أدعو اللهَ في ذلك الوقت أنْ يَرزقَ قَلبيَ اليقين، حَتَّى لا أَسقط، ثُمَّ قلتُ: لو سَقطتُ فلن أَضُرَّ إلا نفسي، ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: 144]، فلا خيار إلا الثَّبات واليقين.

(1) خطة أمريكا في حرب العراق كانت استعمال الكذب لأجل نيل المراد، تفصيل الكلام عن هذه القضية في رسالتي للماجستير بعنوان: (القيم الإعلامية في الخطاب القرآني)، (الفصل الرابع)، وينظر أيضاً: كتاب محو العراق لمايكل أوترمان.



وفي ثنايا القِصَّة كانَ في المُستشفى بَعضُ مَن نَعرف، مِنهم أخٌ فاضلٌ مِن مُؤسِّسي العَملِ العَسكري في مَدينَتِنا، وَكان يُجري عَمليةً جِراحية هُناك، وكان سَيتماثَلُ للشِّفاء وَيخرُج لولا اقتِحام المستشفى.

حُوصر خمسة عشر يَوماً، وقُصف بأشدِّ أنواع القذائف، لَقَد جَلستُ مَعه بعد إذ نجّاه الله وحدَّثني بما جرى، فَزادتْ قناعاتي ألَّا تُسالم ولا تُصالح، وأنَّ العِناد في هَذه المَواقف هُو خَيرُ قرارٍ.

مُنذُ اليَومِ الأوَّل لِحصارِ مَنطقة المُستشفى، لَم يكن مَعَ أخينا سوى (مُسدَّس) سِلاح شَخصي، وَبعضُ الأسلحة الخَفيفة التي استَطَاع جَلبها بعضُ مَن هم هُناك بِسرعةٍ قَبل إطباقِ الحِصار، بَلغ عَددُهم مَع صاحبِنا أَحَدَ عشر رَجُلاً، اتَّفقُوا لنْ نُسلِّم أنفسَنا وَلو حُوصرنَا أشدَّ حِصار، سَوفَ نَشتبِكُ حتَّى النَّفسِ الأخير، وَمَعَنا بَعضُ القَنابل لِلَحظات الالتِحام الأخير، المُهم لَنْ نُسلِّم أنفُسَنا مَهما حَصل!!، استعمَل قَائدُ العمليةِ الصُّهيوني مَعهم أسلوبَ المُراوغة، فَكان يُنادي عبر الميكروفون: «سلِّموا أنفسكم، لا تُفكروا حَالكم أبطال!!»، «تَمَّ التَّواصل مع المُستوى الأَعلى عندَنَا وَسَنُعامِلُكم مُعاملةً حسنةً لو سلَّمتُم أنفسكُم، سَلِّموا أنفسكُم!!، «قَريباً سَنعقِدُ صَفقةً وَتخرجُون فِيها»، «لَن نُغادِر المَكانَ حتَّى تُسلِّموا أنفسُكم، لَيس وَراءنا أيُّ شغل»، وهكذا يومياً سِلسلة من المُراوغات، والإخوةُ مُتحصِّنُون ومُتَمترِسُون بالمبنى المحروق، وَليس مَعهُم طعامٌ ولا ماءٌ.

لَقد قضوا خَمسة عَشَر يَوماً عَلى بَعضِ قَطَراتٍ مِنَ الماءِ يَومياً، والتي لا تَتَجاوزُ نِصف كَأسٍ صغيرٍ على مَدارِ اليَوم.

قَـامَ قائـدُ العمليـةِ الصُّهيونـي بِقصـفِ المَبنـى بِقذائـفَ حَارقـةٍ، فَاشـتعلت النِّـيران فِيـه بِالكامـل، فَصعـد الإخـوة عَلـى سَـطح المبنـى لاستنشَـاقِ هَـواءٍ نظيـفٍ، فَقُصفـوا بِصـاروخٍ مـن طَـائرة في الجَـو، فَأُصيـب أحـدُ الإِخـوة بِإصابـاتٍ ونزيـفٍ، فَعالجـوه بِالإسـعافاتِ الأوليَّـة لِعَـدم تَوفُّـرِ أيِّ أدواتٍ طبيـةٍ، فَهَـمَّ أنْ يُسـلِّم نفسـه مـن الوَجَـع، فأقنَعَـهُ الإِخـوة بالصبـرِ، فَصبَـرَ ونجَّـاه الله.

كَـان قَائـدُ العَمليـة الصُّهيونـي خَبيثـاً، نَـادى عليهـم يَومـاً: سَـأعدُّ للعَشَـرة حَتَّـى تُسـلِّموا أنفسـكُم!!، وبـدأ العـد تنازليـاً 10، 9، 8، 7، 6، 5 ....1.

وَبعدهـا لم يَبـقَ نَـوعٌ مـن أنـواعِ الأسـلحة إلا وأُطلـق عليهـم، قَذائـف خَارقـة ومضـادة للتَّحصينـات مَـعَ رصـاص مـع قذائـف حارقـة، ورِجالُنـا ثَابتـون لم يُصابـوا بِفضل الله، هـل تَتَصور جَيشـاً جَـرَّاراً يَعجـزُ عـن اقتحـامِ مبنـى يَتحَصَّـنُ فِيـه أَحَـدَ عَشَـرَ رَجـلاً، لَيـس مَعهـم سـوى بَعـضِ الطَّلقـات، مـع أنَّهم قَصفـوا المبنـى قَصفـاً مُروِّعـاً وحرقُـوه بِالكامـل، نعـم.. هَـذا هُـو البَاطـل.. أمامَ رِجالنـا الأبطـال.

ثـمَّ أدخَلُـوا عليهـم طائـرة (كـواد كابـتر)، لتُصـوِّر المكان، ولِيعرفُـوا مـاذا حَصـل بِداخـل المبنـى، وَيتأكَّـدُوا مِـن مَقتَـلِ مَـن كَانـوا فِيـه، تَقدَّمـتْ الطائـرة وَلهـا صَـوتٌ مـن دَوران فَراشَـاتِها، وفِيهـا أضـواءٌ واضحـةٌ، تقدمـتْ في الممر فَمـا كَـان مِـن صاحبِنـا إلَّا أن تَنـاوَلَ عَصـا (كِريـك)، فَضَربَهـا وهَشَّـمها، وأخـذَ مِنهـا الكَشَّـافات وَذاكـرةَ التَّصويـر.

عَـاد القَصـف مَـرةً أُخـرى بِكلِّ شِـدة، وَقصفُـوا مَـكان المِصعـد بِصـاروخِ F16، فَآذاهُـم جِـداً، لَكنِّهُـم مَـا زالـوا بِخـير.

قـرَّر الجَيـشُ الجَـرَّارُ اقتحـام المبنـى بَعـد تِسـعة أيَّـام مِـنَ التَّفكـير والانتِظـارِ والمُسـاوَمَات والقَصـفِ الهَمَجـي، تَقدَّمـتْ قُـوةٌ مـن العَـدو في مَمـرات المبنـى، فَاشـتبكَ مَعهُـم الإِخـوة بالأسـلحة



التِي بَين أيديهم، وَأخَذ أحدُ الإِخوة قُنبلةً ولَحِق بِالجنودِ فألقاها عَليهم، فَلم يَعُودوا للمبنى بعد ذلك.

ظَلُّوا يُواصلون الحِصار والقَصف خَمسة عشر يوماً، وفي اليَوم الخَامس عشر سَمِعَ الإخوة المُحاصَرُون المجرُوحون المُتعبون أَصواتَ عامةِ النَّاس، فلم يُصدِّقوا ذلك، حتَّى تجرَّأ أحدهم على الخُروج لرؤية الوضع، فوجد أنَّ الجيش قَد انسحب، نَعَم حقَّاً لَقَد انسحب، لَا جيش في المكان، هَل نَجونَا؟!

خَرجُوا فوجدوا أُمةً مِنَ النَّاس يَبحثون عَن ذَويهِم، وَقد كَان العدوُّ الخَبيثُ قَد أعدَم النَّاس في سَاحة المستشفى ودَفَنَهم وَهُم أحياء في مقابرَ جماعيةٍ، انطلقَ الإخوةُ لينظُروا في أنفُسِهِم، يُريدون عِلاجاً وطعاماً وماء، أُصيبوا بأمراضٍ كثيرة، سُوء الامتصاص والهزال، نزلت أوزانهم إلى النِّصف، لكنهُم أَحياءُ بفضل الله، وقَد جَلَسُوا مَعَنا بَعد ذلك وَحَدَّثُونا بما جرى معهم.

إنَّها مُعجزة النِّضال، وثَمَرةُ الثَّبات، لقد نَسوا كُلَّ أوجاعهم وآلامهم، وهُمُ الآن في خَنادقِ المجاهدين لِكرَّة أخرى بإذن الله، وقَد فَتَحَ العَدوُّ تحقيقاً بعد ذلك كَيف خَرَجَ أحد عشر رَجلاً أحياء من مُستشفى الشِّفاء بعد كل ما فعلنا؟!، وفِيهم رُتَب عسكرية عالية المستوى، حَفِظَ الله رجالنا، ولا قطع الله عنا وصاله ومدده، والله غالب على أمره، ولكن أكثر النَّاس لا يعلمون.



رَجل مُسِنٌّ مُصاب (دِماؤُنا خَيرٌ من دمائِهم)

تقدمتْ آليات العَدوِّ نَحو مَنطقةِ الاختِصاص، خَرجَ الإِخوة المجاهدون لتنفيذِ المُهمَّة وصَدِّ العدو، تَفاجَؤُوا بوجود رَجلٍ كبيرٍ في السن، قَد أُصيب في قدمه، ولا يَستطيعُ الحَراك، وآلياتُ العَدوِّ تَتَّجِه نَحوه، المجاهدونَ ينتظِرُون وُصول العَدوِّ للمقتلة، لِضَربِه ثُمَّ الانسحاب، وهذا الرَّجل المسكين ماذا سيحصل له؟!، أَبلغَ المجاهدونَ قائِدَنا الموفَّق بِالحالة!!، فقال: أَوقِفُوا العمليةَ وأَنقِذُوا الرَّجل!!

هَلْ نُوقِفُ العمليَّة؟!، العَدوُّ سيكونُ في المقتلةِ بَعد لَحظاتٍ!!، أَكَّد عَليهم مَرةً أُخرى أَوقِفُوا العَمليةَ وَأنقِذُوا المُصاب، دِماؤُنا خَيرٌ مِن دِمائِهم!!

إنَّما شُرع الجِهاد لِحفظِ الأَرواح، نَادى الإِخوة عَلى الرَّجل مِن خَلف سَاترٍ: يَا عمِّي ازحف حتَّى تَصِلَ إلينا، الجوُّ مَليءٌ بالاستطلاع، فَما كَان مِنه إلَّا أن زَحَف قَليلاً، فأخذوه وأنزَلُوه في النَّفق، والرَّجُل في صدمةٍ ودهشةٍ!!.

وَجاءَ قَائِدُنا المُوفَّق وَحَمَلَه بيدِه في مَشهدِ تربيةٍ ونِضالٍ، إنقاذُ نفسٍ مِن الموت خيرٌ مِن قَتل أولئكَ الخَنازير، تَعامَلَ الإِخوةُ مَعه بِالإسعافات الأَوَّليةِ، وَأوصلوهُ إِلى مَكانٍ آمنٍ، وَهُوَ أمرٌ مُرهقٌ جِدًّاً بِسببِ وُعورة الطُّرق والأنفاق.

خَرج الرَّجل من موتٍ شِبه مُحتَّم، وهو الآن حَيٌّ يُرزق، وانسحبَ العَدوُّ مِن المَكانِ بَعد يَومٍ وَاحد بِحمد الله دُون أن يُؤذى أحد، ولعلَّ ذلك مِن بركاتِ دُعاء هَذا الرَّجلِ الضَّعيف المِسكين، وَمِنَ الطَّرائفِ أنَّ الرَّجل حَدَّث أولادَه وَأهلَه بِما حَصل، فَقالوا: لَا حَول ولا قُوَّةَ إلا بِالله، لَقَد ذَهَبَ عَقلُ والدنا!!.



وزيادةً في الإحسان فقد أرسلَ لَه قَائدُنا المُوفَّق مَبلغاً من المال يُعينه على حاله، هَؤلاء هُمُ المجاهدون الذين يَتَّهِمُهم البَعضُ بإزهاقِ أرواحِ النَّاس، وهذهِ هِي المُقاومةُ التِي تُؤتَمَنُ على الأَرواحِ والأموالِ، وهؤلاء هُمُ الأُمناء على الأرضِ والعِرضِ، سدَّدَ الله قائدنا، وحمى الله رجالنا، ورزقنا اللهُ الإخلاص والقبول.







ماءٌ عذب

طَالتْ أيامُ المعركة، وقَصَفَ العدوُّ كلَّ مصادرِ المياه، وصارتْ شَربة الماء تُبذل لها المُهج والأرواح، ولا يُوجد بيتٌ في البلد فِيه زُجاجة ماء، هل تَصوَّرنا يوماً أن يُصبِحَ أعزُّ المطالب شربةَ ماء؟!، على كلِّ حال.. حَصَلَ أحد الإخوةِ على مَعلومةٍ مَفادُها أنَّ مَنزلَ فُلان فيه سيارة توزيع مِياه سعة خَمسة كوب، أي مَا يُعادل خمسة آلاف لتر، وهي تَحتَ مَنزلٍ مَقصوف.. جَيد، سنذهَبُ لمحاولة أخذِ الماءِ مِن ذَلِكَ الخزَّان، لَكِن انتظِروا....وتأمَّلوا شَكل المَعركة، البَلدُ حُدودِيةٌ وخاويةٌ من أيِّ حركة، والعدوُّ مُنتشِر في كل البلد، والمُجاهدون يُنفِّذون ضَرباتِهم ثُمَّ يَرجعون إلى الأنفاق، أيُّ حركةٍ تُرصَد ستُعرِّض المكان لقصفٍ جويٍّ مُكثف؟!، وعينُ النَّفق التِي سَنخرجُ مِنها ونَرجِعُ إليها بعيدةٌ عن هذا الخزان؟!، فما العمل؟!، يُوجد عَينُ نَفقٍ قَريبةٍ من الخزان، لكنَّها مَقصوفة بصاروخ F16، ومُدمَّرة بشكلٍ كامل؟!. وفجأةً صَدَرَ القرارُ: سنحفرُ هذه العين المُدمَّرة ونُرمِّمُها، حتى نخرجَ منها، ونَنضَحَ الماء من الخزَّان.

لكن هُناكَ مُعيقات كَبيرة، فَلا يُوجد مُعدِّات، والأَجسادُ هَزيلةٌ لقلَّةِ الزَّاد، فالإنسانُ يَعيشُ بِلا مَاءٍ ثَلاثةَ أيَّام، وَيعيشُ بِلَا طعامٍ أربعينَ يوماً، لكنَّه بلا هِمَّة وقوةٍ، وَلا يَستطيعُ أن يُواصِلَ الحَياة لحظة!.

شَرَعَ الإِخوةُ في حَفرِ عَينِ النَّفق بِأدواتٍ بدائية، وواجهتهم صُخورٌ شَديدة، كانوا يَربطُونها بِحبلٍ طَويلٍ يَتمُّ شَدُّه من أسفل النَّفق، وتسقطُ الصَّخرة وتَتَفَتَّتُ، -كَما كانت الصَّخرةُ تَتَفَتَّتُ بين يدي النبي ﷺ في غزوة الخندق-، وَهكذا استمرَّ العَمَل حتى فُتحت العين!، سبحانَ الله.. يا لـه من فَضلٍ ونعمةٍ...



بَدأ المُجاهدون بِنضح المَاء مِنَ الخزَّان إلى أسفلِ النَّفق، وَكانت المِياه مُفلتَرة!، وفي ذلك الوَقت كَانت المِياه في كَاملِ المنطقة شَحيحة أو معدومة، وَهكذا سَقى اللهُ بفضله المجاهدين مـاءً عذبًا.

إنَّ الطَّريق إلى الجَنَّة صَعبٌ هكذا، لكنَّ المواصلة والثَّبات تُوصل السالكَ لدارٍ لا يظمأ فيهـا ولا يعـرى!.

ولسان حالِ الإِخوة في ذلك المَوقف، يَا رب كَما سَقيتنا المَاء العَذب في دُنيا زَائلة، أكرمنا بـأن نَحيَـا لَحظـةَ ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: 21].



ماءٌ تَفجَّر من الأرض

المَاء زَادٌ لا يُمكن الاستغناءُ عنه، ومع طُول المعركة فَإنَّ الاستمرار في نَقل المَاء مُرهقٌ للمجاهدين، نَاهيك عن المُخاطرة في الحَركةِ مِن وإلى مَوضع الرِّباط، لَا بُدَّ من مَصدرِ مياهٍ قريبٍ يكون في النَّفق، يُغطي احتياجاتِ المُجاهدين، حتَّى لا نَقع مَرةً أُخرى في أزمةٍ فِقدان الماء، فقام الإِخوةُ بجولةٍ في ممرات الأَنفاق، فَوجدوا مَاسورةَ بِئر قَديمةٍ تَمُرُّ بجانب النَّفق، فَأخذنا قَراراً بمتابعةٍ مَسارِها والحفرِ عَليها في الأعماق، والوُصول إلى مَنبع الماء، وتأسيس شَبكةٍ مِياه تَمُرُّ في خطوط شَبكةِ الأنفاق، واستمرَّ العمل يَومين كَاملين على مدار الساعةِ، وبتيسيرٍ من الله تمَّ الحَفر والوُصول إلى الماء، وتمَّ جلب شبكةٍ خَراطيمِ مِياه، ومَددناها داخل شَبكةِ الأنفاق، وخرجَ الماء بحمد الله، وتمَّ تعبئةُ عَددٍ مِن الخزَّانات لِكُلِّ زُمرةٍ مِن الزُّمر المُجاهدة، لَقد جَلستُ أَحمدُ اللهَ عَلى المَددِ والعَونِ، وقُلنا: حَيَّ على التَّطَهُّرِ والبَركةِ، وتذكرتُ كيفَ مَنَّ الله على نبيه ﷺ بأن فجَّر له المَاءَ مِن بين أصابعه[1]، ليسقيَ المجاهدين، كذلك تفجَّر الماء من باطن الأرض لنا وارتوينا وغَسلنَا أجسادَنا بِالماء بَعد انقطاعٍ طويلٍ، وسُبحانَ الذِي يُحيي ويُميت وإليهِ يَرجِعُ الأمر كُلُّه.

إنَّ المعجزاتِ والكراماتِ لا تتوقف، لكنَّ شَكلها يختلف، وظنُّنَا بالله الكريم أنَّه لا يَقطع أمداده عن عباده، ورحمَ اللهُ من قال: «تحقَّق بأوصافك يُمدّك بأوصافه، وتحقَّق بفقرك يُمدّك بغناه، وتحقَّق بضعفك يُمدّك بقوَّته».



(1) عن إبراهيم عن عَلْقَمةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَر، فَلَمْ يَجدُوا مَاءً، فَأُتِيَ بتَوْر مِنْ مَاء، فَوَضَعَ النَّبيُّ ﷺ فِيهِ يَدَهُ، وَفَرَّجَ بَيْنَ أَصَابعِهِ، قَالَ: فَرَأَيْتُ المَاءَ يَتَفَجَّرُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ النَّبِيِّ ﷺ، [ثُمَّ قَالَ]: «حَيَّ عَلَى الْوُضُوءِ، وَالْبَرَكَةُ مِنَ اللهِ، قَالَ الأَعْمَشُ: فَأَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ أَبِي الْجَعْدِ، قَالَ: قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ: كَمْ كَانَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: كُنَّا أَلْفًا وَخَمْسَ مِائَةٍ. مسند الإمام أحمد، حديث رقم 3807.



زادُ الأعداء

مِن خلال مُتابعة سُلوك العدوّ في القِتال، وَجدنا أنّه يُولي اهتماماً كبيراً للإمداد اللوجِستي مِنَ الطّعام والشّراب وغيره، وَطبيعةُ المعركةِ وفَارقُ القوة يُوفّرُ لهم تَجهيزَ خُطوطٍ أرضيةٍ وبحريةٍ وجوّية للدّعم اللوجستي، بينما كَان المُجاهدون يَستَمِدّون قُوّتهم البَدنية من بَعض المُعلّبات ورشفاتٍ بسيطةٍ من الماء، فَكُنّا نرى شاحنات وآليات تَنقِلُ لهم الطّعام بالصّناديق الكبيرة، ولا نَزيدُ إلّا أن نقول: اللهم اجعله سُمّاً ودَماً عليهم...

وفي مَرةٍ مِن المرّات تَمركزَ العدوُّ خِلال المَعركة قُرب فَتحةِ أحدِ الأَنفاقِ، ونَقَلَ كمياتٍ كبيرةً مِن الطّعام والماء إلى ذلكَ المكان، ولم يَكن يَعلم بِوجودِ نَفقٍ في المَنطقة، وَكانت وتيرةُ عملياتِ المجاهدين مُركّزةً في مناطقَ مُعيّنة يَتِمُّ ضرب العدو فيها، أما باقي المناطق فكانت للرّصد والمتابعة والانحياز، فَكانَ مَخزنُ العَدوِّ بعيداً عن مَنطقة القِتال التي عَيّنتها لنا قِيادةُ الكتيبة، فَأخذنا نُفكّر كَيف سنحصل على هذا الطّعام دُون إحداث جَلَبةٍ تَكشفُ أماكننا، وأخذنَا نُراقب المكان، وفي لَحظةِ تَنَقُّلٍ وغَفلةٍ للعَدو عَن مَخزن الطّعام، وتَركيز قُواته عَلى مناطق أخرى، استغلَّ المجاهدونَ هذه اللحظة، وخَرجُوا إلى مَركز الطّعام، ونَقلُوا بسرعة كَمّياتٍ كبيرةً جداً من الأطعمةِ التي لم نَرها مُنذ بِداية المعركة -(مَاء وفَواكِه وخُضار ومُكسّرات وعَصائِر ومُعجّنات...)- ممّا لذَّ وطاب، والحمد لله!

هَل تَعي مَا جَرى؟!، لقد جُهّز الطعام في مَطاعِمهم، وتم تَوزينُه وتغليفُه عِندهم حَسب عَددِ الجُنود، وتمَّ نَقلُه بِآلياتٍ تَقطَعُ مَسافاتٍ كَبيرة مِن داخل أراضينا المحتلة حتّى مُنتصف البَلد عِندنا، وتمَّ تنزيلُها وتخزينُها لِيكونَ لَهُم زَاداً لمواصلةِ الإجرَام، كُلُّ هذا حَصَلَ، لَكنَّ قلم القَدَرِ قَد سَبَق أنَّ هَذا الطّعام مِن حَقِّ المُجاهدين، نَعم لَقد سَخّرهُم اللهُ أسباباً لِيَجلبُوا لَنا طعاماً



نَتقوى به عَشرات الأيَّام، مَا أشدَّ بلادةَ الكافِر، لأنَّه غائبٌ عن مَفهُومَي الرِّزق والقَدر، وهذه صورةٌ صغيرةٌ من غَباء الباطل، وسَيرِه في خِدمةِ أهلِ الحَقِّ مِن حيثُ لا يدري، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [سورة غافر:62].





كمينٌ استمر لمدة ستةٍ وعشرين ساعة

يُناور العدو على تُخوم المدينة بين الفينةِ والأخرى، ويَقصفُ يَوميّاً بَعضَ المَناطق بِتكتيكٍ يُسمى التَّثبيت بالنَّار، ومُؤخراً تمَّ تبديلُ القوات عند العدو وجلبُ كَتيبةِ نيتساح يهودا[1]، سَيِّئةُ السُّمعة، لكي تَخوض بَعض المُناورات في مَنطقة بَيت حَانون شَمال غزة، فَتقدَّمُوا بِقَوام سَريةٍ عبارة عَن لفيفٍ من آلياتٍ وجنودٍ وجِيباتٍ عسكريةٍ، وتمركَزُوا في منطقةٍ تُسمى (الزراعة)، للبَحثِ عَن عَينِ نفقٍ كَان يَغلبُ على ظنِّهم وجودها في المكان، وَقَد رَصَدَهُم المُجاهدون مُنذ اللَّحظة الأُولى للتَّوغل في سَاعات الليلِ، وتمَّ تجهيزُ عبواتٍ بالقرب مِن مَنطقةِ الكَمين، وعندما اقتربُوا ودَخلوا المَقتلة تَمَّ تفجيرُ العُبُواتِ مِمَّا أدَّى إلى مَقتل وَإصابةِ عَددٍ مِن جُنودهم[2]، وكَان المُجاهد المُكلَّف بالمُهمة يُلقي القَنابل ويُكبِّر باسم الله، وقَد سَمعَ المجاهدونَ صُراخ الجُنود بآذانِهم...

انسحبَ العَدوُّ لإعادة تنظيمِ القُوَّات، ثُمَّ تَقدَّم في الصَّباح، وقَد تَصدَّر التَّقدم رُتَبٌ عسكريةٌ عاليةٌ لرفعَ معنوياتِ جُنودهم المهزومين، وظَناً مِنهم أنَّه يَستحيل وُجود مُجاهدين في هَذه المَنطقة القَريبة مِن الحُدود، أثناء تَجهُّزِنا لصدِّ العدوِّ وبَينما كَان المجاهدون يُسارعون إلى مَواقعهم، استوقفَني فَرحُ أحدِ المُجاهدين وَصوتُ ضَحِكه بأنَّ الله قد يَسَّر له لقاءَ العدوِّ والإثخانَ فيهم، وآخرُ مِن وِحدة القَنص وَجدتُه مُرهقاً يَجري داخِلَ النَّفق، والعَرقُ قد غَمَره مِن رأسِه إلى قَدَميه، ويقولُ لي: تَعبتُ بِدي مُساعد معي، فَفرزُ له الإخوة مُساعداً، وَبعد دَقائقَ قليلةٍ إذ بِخَبر يأتي، قَنصُ ثَلاثة جنود! كبَّرنا الله أكبر، كان خَبراً بَرَّد عن صُدورِنا كَثيراً، ثُمَّ وصل

(1) كتيبة عسكرية من الصهاينة المتطرفين الذين فُرضت عليهم عقوبات دولية لأعمالهم الإجرامية، تعرضوا لعدة كمائن محكمة في بيت حانون، أرهقتهم وقتلت وأصابت منهم العشرات بحمد الله.

(2) تم عرض الكمين مفصلا على قناة الجزيرة.



الفيديو المُوثَّق للعمليةِ، اللهُ أكبر تَمَّ قَنصُ جُنديين بِطلقةٍ وَاحدة من العِيار الثَّقيل أردتهُم قَتلى عَلى الفور، والثَّالثُ جَاء لإنقاذِهما فَأُردي صَريعاً بجوارهما، مَا أعظمَ فُتوحاتِ الله وتوفيقه.

فَصارت مُناورةُ كتيبةِ نيتساح يهودا عِبارة عَن عَمليةِ إنقاذٍ وإجلاءٍ، ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا﴾ [سورة الأحزاب: 25].





ميدانُ المعركة

نفَّذ المجاهدونَ عملياتٍ كثيرة مُوفَّقة، منها ما عُرض على نَافذةِ الإِعلام العسكري، ومِنها مَا لم يُعرض، لكنَّ الذي أُقرِّره هُنا، هو كَواليس تِلك الغَزَوات المُباركة، فَلم يُعرض على الشَّاشات مَعنوياتُ المُجاهدين، ولا فرحةُ قَناصِ الدَّبابات، ولا إفرازاتُ عَرق الإِعداد، ولا تعبُ المجاهدين أثناءَ الحِراسة، ولا شراستُهم أثناءِ الاشتباك، ولا تنافُسُهم على الرِّماية...

أحدهُم خَرج وقَطَعَ مسافةً طويلةً مُتَسلِّلاً مِن بين الجنود، وَمعه القَاذفُ والقَذيفة، والعَدوُّ قد اعتلى المَنازل العَالية حَولنا، وَيكَأنَّ الله أعمى أَبصارَهُم، فَأطلقَ صَاحِبُنا قَذيفتَه الأُولى عَلى بُرج الجَرافة (D9) فَاحترقت بِمن بِداخِلها، وأخذَ يُنادي على قائد الزُّمرة الجِهادية: هُناك فُرصة أخرى لِضرب دَبابةِ الميركافا، فَظلَّ ينتظر بالقُرب من الدَّبابة حتَّى وصلتهُ القَذيفة، فَضربَها بِسم الله، وانسحَبَ سَالماً بِفضل الله...

وفي غَزوةٍ أُخرى كَان العَدوُّ قَد اعتلى بَعض المَنازل بَعد أن دَمَّر المَنطقة بِالأحزمة النَّارية، فَانتظرَه المجاهدون، وقَرَّروا تَنفيذ ضَربةٍ قَويَّةٍ للقُوَّة الرَّاجلة، وكان اشتباكاً قَاسِياً، حيث أَطلقَ المُجاهدون عَلى مَنزلٍ وَاحدٍ إحدى عَشرة قَذيفة (RBG) مُضادة لِلأفراد ومُضادة للتَّحصينات، وكَان الشَّباب يَتناوَبُون على رِماية القَذائف أَثناء الاشتِباك، وَكان أَحدُ المُجاهِدين يصرخُ: «هِدُّوا الدَّار على رُؤوسِهم»، وكَان أحدُ الإِخوة يَومها ضَيفاً عِندنا في الكتيبة، فقال مُندهشاً: هِذه مِش شَراسة، هَذا جُنون!

ويُذكر أنَّ أحد المجاهدين في ذلك الاشتباك أَطلق ثَمانية عَشَر مَخزناً من سلاح كلاشينكوف AK47، حتى أنَّ فُوَّهة السِّلاح قد انصهرت من شدَّة الحرارة.

وفي واقعةٍ أُخرى تَمَّ تنفيذُ عملٍ مُركَّب، وما أجملَ العَمَلَ المركب بأن تَنشَغِل كُلُّ زُمرة بِمُهِمَّتِها، فَثُلةٌ تَرصُد وتتابع الكاميرات، وثُلةٌ أخرى مُكلَّفة برماية مُضاد الدُّروع، وثُلةٌ تُتَابع العُبوات، والسَّواعد التي تَحمل أسلحة القَنص المُباركة في مَرابِضها تَنتظر أن يُطلَّ جُنديٌ برأسه... كُلِّفت ثلاث مجموعات بتنفيذ عَملٍ مُركب، وكَانت قُوات العَدوِّ قَد تمركزتْ في إحدى الحَارات الحُدودية، فَقام مَعَهُم الأخُ القَنَّاصُ، وكان قَد نفَّذ قَبل ذلك أكثرَ مِن رمايةٍ لَكنَّه لَم يُوفَّق في الإصابة، فَكُنتُ أَنظر لعينيه، واللهِ أحسب أنَّه لا يُريد من الدُّنيا إلَّا أن يَقتل جُنديًّا بِسلاحه فيفوزَ بالكَرامة؛ (لَا يَجْتَمِعُ الْكَافِرُ وَقَاتِلُهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي النَّارِ أَبَدًا)[1]، فلمَّا جَاءت المَراصد بِخبرِ وُجود جُنودٍ في المنطقة، قَام كَالبرق، وَكان قَد حَدَّدَ مَكاناً مُسبقاً للرِّماية، فَذَهَب وأَخَذَ مَوضِعَه، وظَلَّ يَرصُد الهَدف، وقد كان الجُنود المُجرمون في مرمى الأخ، لَكنَّ مَربضَه كَان مُنخفضاً، ولا يَستطيعُ الرِّماية مِنه، فَما كان مِنه إلَّا أن قَام وصَعَدَ إلى مَكانٍ أعلى، وحَمَلَ القِطعة بيده وأطلق وهو واقف[2]، وكانت هذه مغامرة منه، لكنَّ الله وفَّق، وأردى جندياً صريعاً بفضل الله.

وفي نَفسِ الوَقت كانت زمرةٌ أخرى مُكلفةٌ بِإسقاط قُنبلةٍ من طائرة مُسيَّرة على تجمعٍ للجنود، فقام المُجاهدون بإطلاق المُسيَّرة، وتابعوا كاميرا المُسيَّرة للبحث عن الجُنود، وَكان هَذا وَسَطَ تحليقٍ رهيبٍ لجميع أنواع الطَّيران، وكانت طَائرة(F16) تُغير بشكلٍ مُنخفض، لِتُصدِر صَوتاً يُرعب المجاهدين ويُعطي مَعنويةً لجنود العدو، وفجأةً ظهرت إشارةٌ لدينا أنَّ العدو سيسيطر على المُسيَّرة خلال ثوانٍ، فَقد تَمَّ تتبع المُسيَّرة، فَقام الأَخُ بإسقاطِها عَمْدَاً في سفح مَنطقةٍ في وسط البلد ليتمَّ استردادُها لاحقاً، ثُمَّ أَمَر الزُّمرة بالانسحابِ مُباشرة من

---

(1) حديث صحيح، مسند أحمد، حديث رقم 8816.

(2) معلومٌ أن أفضل رماية للقنص تكون من وضعية الانبطاح لزيادة التمكن من السلاح، وإذا أطلق الرامي من وضعية (واقفاً) فإن تمكنه من السلاح يكون ضعيفاً خاصة إذا كان سلاحاً ثقيلاً من عيار(12.7).



المكان، وَمَا إن انسحَبُوا حتَّى قامت طائرة (F16) بِقصفِ المكانِ بقُنبلةٍ رهيبةٍ من الأوزان الثقيلة، مَسحتْ مُربَّعاً كاملاً، وبفضل الله لم يُخدش أحد![1].

وقامت زُمرةٌ ثالثة بإطلاق قَذائف الهاون على مَواقع العَدوِّ المُحاذية للكَمينِ لِقطع الإِمدادِ ومَنعِ النَّجدات، وَقَد تمَّت العمليةُ كاملةً وأثخنا في العدو دون أن يُخدش منا أحدٌ بِفضل الله القوي... [2].

إنَّ مِن الكَرامات التِي حَصلت مَعنا في المعركَةِ، والتِي تَدُلُّ على جُبن العدو، أنَّه لم يُقتَلْ أحدٌ من المجاهدين في كتيبتنا جَرَّاء الاشتباك مَعَ قُوات العَدوِّ الراجلة، كُلُّ شهدائنا العِظام ارتقوا إلى الله بسبب القَصفِ الجَوِّي!.



(1) كان العدو مُستفزاً جداً من سلوك الطائرات المسيرة لدينا، لأنها كانت ترهقه وترعب جنوده، ولأنه تعود أن السيطرة على الجو امتياز خاص به، فكان يقصف مربعات كاملة لرصد مسيرة خرجت من المنطقة، ناهيك عن أنه كان أحيانا يسيطر على المسيرات الخاصة بنا عن طريقِ أبراج المراقبة والأجهزة والتكنولوجيا المتطورة لديهم.

(2) ثمة عمليات أخرى وفَّق الله فيها المجاهدين توفيقاً عجيباً، أعرضتُ عن ذكرها بالتفصيل لأسبابٍ أمنية.

شُؤونُ العِباد

خرجتُ مَرةً من الخنادق والمكامن بعد رباطٍ لثلاثين يوماً، خَرجتُ مُرهقاً شَاحِبَ اللونِ، مَليئاً بالغُبار، لا بُدَّ من استراحةٍ وَلو بَسيطة، رَأيتُ دَماراً رَهيباً ومَشاهدَ النَّازحين وجموعَ الناس، ظننتُ أنَّني في حلمٍ وَالله!!.

هُنا تأملتُ في شؤون البلاد، وحَمل الأمانة وثِقَلِها، تَأمَّلتُ فَوجدتُ جِهاداً في سبيل الله من نوعٍ آخر، وجدتُ مُجاهداً مُضَمَّخاً بِالدماء، لكنَّها ليست دماؤه، بل هي دُماء الجرحى والمصابين، طَبيبٌ مُجاهد، نَذَرَ نفسه لله، هؤلاء هُم أهل العطاء، لقد حُفرت صورتُهم في ذاكرتي، وكنتُ أغبطُهم كثيراً...

وَفي الجِهة الأُخرى كَان هُناك أطبَّاء أَخذوا أكثرَ مِمَّا قَدَّموا، لا أُحبُّ أَن أُفصِّل في أَنانِيَّتِهم، لَكن مَا أردتُ قَوله: إنَّ الجِهادَ هُنا بلونٍ آخر.

إنَّ الهَجمة عَلينا كَانتْ شرسةً جداً، فأنا أجزم أنَّ دولاً عُظمى لا تستطيع إدارة الجبهة الداخلية في حَربٍ كَهذه، لَكِنْ هَذا أَيضاً لَيسَ مُبَرِّراً لأحد، بَل إنَّ المَطلوب مِمَّن كُلف بِشؤون البِلاد أن يَبذُلَ ما يَقدِر عَليه.

إنَّه مِن غَير الجَائز أن تَتَوقَّف مُستشفى أو خدماتُ البلدية في منطقةٍ مَا مِن أوَّلِ أيَّام الحرب، وإنَّ لهذا أسباباً وعلاجاً.

فَهَذا نتاجُ الدَّولةِ الحديثة، أنْ يَكونَ المُواطن مُوظَّفاً لأجل الدولة، وإذا غابت الدَّولةُ أو انهارت فَلا علاقةَ لَه بِشيءٍ، إنَّ هذا في ميزان الله يُعدُّ تقصيراً.

إنَّ الذي يجب أن نُقرِّره أنَّ المرض ومُوظف البَلدية وَحارسَ الشُّرطة في حالةِ الحَرب كُلُّهم مُجاهدون، ويجب عليهم أنْ يَعمَلُوا لأجل الله، لَا لأجلِ الرَّاتب، وأنَّ الشَّهيدَ في سَبيلِ اللهِ ليس الذِي يَسقطُ في المَعركة فحسب، بَل الذِي يَخدِمُ في طُرُق البلادِ وشَوارِعِها، ولو قُصف أثناء ذَلِكَ فَهُو مِن أعظمِ الشُّهداء عند الله، لأنه مَاتَ وهو عاكفٌ على شُعبةٍ من شُعب الإيمان.

إنَّ الآثارَ السَّلبية للحَداثة قَد تَغلغَلَت في أَعماقِ مُجتمعات المُسلمين مِن حَيث لا نَدري، فلنتَّقِ الله، ولنُحقِّق مَعنى لَا إلـه إلا الله حقاً حقاً، تعبُّداً ورِقَّاً.

لقد كنتُ أتمزق لأَنَّ بعض موظفي الخدمات من شرطةٍ وبلدياتٍ كَانوا يَعتبرون أنَّ أعمالهم توقفت، وعَلى الدولة أن تأتي «بِسُوبَر مان» ليقوم بمهامهم!، لقد ﴿زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾، وعبدوا المؤسسة وتركوا ربَّهم، ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

لا بُدَّ أن نُقدِّم أبناءَنا العَاملين في مَيادين الشَّرف والعزِّ، وأن نَقتدي بِهم أحياناً، وَقد سرَّني في هذه الجولة أنَّ أبناءَ قِيادات العَمَلِ السِّياسي والدَّعوي والخدمي كَانوا في طَليعة المجاهدين والشُّهداء.

إنَّه من الدِّيانة أنْ يَعلمَ مُدير المستشفى ومُدير مَركز الشُّرطة والبَلدية والتَّعليم أنَّه مُجاهدٌ في سبيل الله، وأنَّ أغلى أُمنيةٍ أن يَموت شهيداً أثناءَ تأديةِ عَمَلِه، فهذا هُو الفوز العظيم، فَالمُجاهد الذِي يَحملُ السِّلاح يَسدُّ ثغر الحُدود والكَمائن، وهُو يَسدُّ ثغر حماية المجتمع وتقويته والحِفاظِ على تَماسكه وقُوَّته، وعلينا أن نتحرر من رِقِّ الدُّنيا، وأُذكِّر كُلَّ هؤلاء: لو كان ولدُك مع المُجاهدين في الثغور، وَهُو بحاجةٍ لِشربةِ ماءٍ أو لفتحِ طريقٍ أو إضاءةٍ أو غير ذلك، أَتطيقُ أَنْ تَنام مُرتاحاً؟!.



إنَّنا بحاجةٍ للإخلاصِ حتَّى في المَناصِب والألقاب، ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾، نبأٌ مرعبٌ على مُستوى الجَماعات والأنظمة والأفراد.

إنَّ شُؤون البِلاد حِملٌ ثقيل، ورحم الله عُمر بن الخطاب رضي الله عنه عِندما قال: (لو تعثَّرتْ بغلةٌ في العراق لسألني الله لِمَ لَمْ تُعبِّد لها الطريق يا عمر؟!)[1]، وقال صلى الله عليه وسلم: (اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ)[2].

لقد قُتل ثلةٌ من رِجال الخَدمات على رأس عملهم، وعلى الجِهة الأُخرى يَختبئ غيرهُم مِمَّن هُم أقلُّ مِنهم تأثيراً من زاويةٍ إلى زاوية، إنَّ الحياةَ لا يُحرِّكها ولا يقودها طُلَّاب المَناصِب والوجاهات، ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [سورة التوبة:105].



(1) هذا الأثر أخرجه أبو نعيم في الحلية بلفظ: (لَوْ مَاتَتْ شَاةٌ عَلَى شَطِّ الْفُرَاتِ ضَائِعَةً لَظَنَنْتُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى سَائِلِي عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ). حلية الأولياء (53/1)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه بلفظ: (لَوْ هَلَكَ حَمْلٌ مِنْ وَلَدِ الضَّأْنِ ضَيَاعًا بِشَاطِئِ الْفُرَاتِ خَشِيتُ أَنْ يَسْأَلَنِي اللَّهُ عَنْهُ) حديث رقم 34486، والأثر حسن بمجموع طرقه، ويقوي بعضها بعضاً.

(2) صحيح مسلم، حديث رقم 1828.



الكرمُ والضِّيافة

الإيمانُ والبُخل لا يجتمعان[1]، وقد جاء الأمر القرآني للعَربِ ألَّا تُسرفوا، ولَم يَقلْ لَهم: كُونُوا كُرَمَاء!، لأنَّ العَربيَّ بِطبعه كَريمٌ.

لَقد نَزَحَ النَّاس في هذه الحَربِ دُون لِباسٍ ولا طَعامٍ ولا فِراش، فبانت شَهامةُ الكَثيرين، وآووا إِخوانهم، فَآواهُم اللهُ!.

لقد آوى بَعضُ النَّاس المُجاهدين في بيوتهم، رَغمَ أنَّ هَذا كَان قَراراً صَعباً جِدًّا، لأنَّ احتماليةَ أن يُقصفوا جَميعاً هي احتماليةٌ تتجاوز 90%، لكنَّهم أرادوا أنْ يَكُونوا مِنَ الذِين آووا ونَصَرُوا، فحفظهمُ اللهُ وسلَّمهم، وَقَد أفتى الشَّيخ نِزار ريَّان رحمه الله أنَّ الذِي يَمنعُ المُجاهدين مِن الإِيواءِ داخِلٌ في إثم قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [سورة الأنفال: 16].

لَقد رأيتُ مَن يَقسِمُ الفِراش بينه وبين ضُيوفه، ورأيتُ من يُخزِّن الفِراشَ وكأنَّه يُريد أن يَفتَتِح مَصنعاً للإسفنج!، يقول النبيُّ ﷺ: (فِرَاشٌ لِلرَّجُل، وَفِرَاشٌ لِامْرَأَتِه،وَالثَّالِثُ لِلضَّيْفِ، وَالرَّابِعُ لِلشَّيْطَان)[2]، ويقول النبيُّ ﷺ أيضاً: (مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضلُ ظَهرٍ، فَليَعُدْ بِه عَلى مَنْ لا ظَهْرَ لَه، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِن زَادٍ، فَليَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا زَادَ لَهُ)[3]، لَقد كَان هَذا الحديثُ النَّبوي هُوَ عنوان المرحلة.

إنَّ الكَرم لا يَظهرُ في السِّلم والرَّخاء، بل في وَقتِ الشَّدائد، سُئل سَيِّدي رسول الله ﷺ: (أيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قَالَ: أَنْ تَصدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الفَقْروتَأمُلُ الغِنَى، وَلا تُمهلُ

---

(1) قال ﷺ: (لَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدًا). حديث صحيح أخرجه النسائي في سننه، حديث رقم 3110.

(2) صحيح مسلم، حديث رقم 2084.

(3) صحيح مسلم، حديث رقم 1827.

حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ، قُلْتَ لِفُلاَنٍ كَذَا، وَلِفُلاَنٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلاَنٍ)[1].

عَاصرتُ مَن تصدَّق بالآلاف، لَكنَّه كَان حَريصاً على ذِكر اسمِه وَلَقبِه، فَأحْمَدَ اللهُ ذِكره، ورأيتُ من تَصدَّق بِشقِّ تمرةٍ[2] فَطابتْ نفسُه، ورضي عَنه ربُّه، ونَظُنُّ أنَّ اللهَ يُربِيها له حتَّى تَصيرَ كَالجبلِ العظيم[3].

لَقد استضافَنا النَّاسُ واستضفنا النَّاسَ، ووجدنا لِهذا حَلاوةً عظيمةً، فالضَّيفُ يَأتي بِرزقِه، ويُبارِكُ لأهلِ البيت إذا أكرموه، والخَاسِرُ مَن بَخِل واستغنى في هذه الجَولة، فَقد كَانت المَرحلةُ سَاحةً خصبةً لتَركِ الشُّح، قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9].

لَقد رأيتُ مِن البَعض حُبًّا للنَّفس وطَمعاً وحِرصاً عَجِبتُ منه، في ليلةٍ مِن اللَّيالي اشتدَّ القَصفُ علينا، فانتقلنا مِن منطقةٍ إلى أخرى، خَرجنا قَبل المَغرب واستمرَّ تَحرُّكُنَا حتَّى أذانِ العِشاء، فوقفنا على بَاب بيتٍ -أتحفظ عَن ذِكر اسمه-، كُنَّا مُرهقين جداً، والقَذائف تَصرخُ مِن حَولنا، وَطائرةُ الكواد كابتر تُراقب كلَّ حَركةٍ في المَنطقة، كُنَّا شَباباً نَلبس لِباساً مَدَنِيًّا، ومَعَنا غِطاءٌ للنَّوم فقط، وكان عتادُنا في منطقةٍ أخرى مُتوجِّهين إليها، استأذنَّا مِن القَوم أن نَبيت عِندهُم ليلةً فقط، وَفي صَباح اليَوم التَّالي نَخرجُ في سَبيلِنا، لَم أتوقَّع أن يَرفُضوا، لَقد رَفَضُوا إدخَالنا، وَقَالُوا: مَظهَرُكم أنَّكم مُجاهدون، وَقَد تُسَبِّبُون لَنا خَطراً، قُلتُ لهم: نَحنُ لَيس مَعَنا أيُّ شيءٍ يُشكِّل خطراً، ليلةٌ ننامُها نَرتاحُ مِن التَّعب ثُمَّ نَمضي، فَرَفض!!

---

(1) صحيح البخاري، حديث رقم 1419.
(2) بفضل الله تقاسمنا في هذه الحرب الخبزة والتمرة والحبة والثمرة مراتٍ كثيرة.
(3) أخرج الإمام البخاري في صحيحه، أن النبي ﷺ قال: (مَنْ تَصدَّقَ بعدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ).حديث رقم:1410.



لا تَظنُّوا أنَّ هذه الفِئَة لا تُصلِّي ولا تَعرفُ اللهَ، بَل هُم مُصلُّون وسِيماهُم الظَّاهرة التَّديُّن الشَّكلي، لّكنَّهُم يُريدون الإِسلام الآمِن، الذِي لا يَجلِبُ لهم المكاره، وَكثيرٌ في مُجتَمَعاتِ المسلمينَ أمثالُهم، ويَظُنُّون أنَّهم عَلى خَيرٍ!!

لَقد فقَدُوا كُلَّ الأَخلاقِ لِلأَسف، لَم يُراعوا حَقَّ الضَّيف، ولا مُروءة العَربيِّ، ولا آدابَ الجَاهليين، وَلا حَتَّى أَخلاق عَدَّاس النَّصراني الذي آوى النَّبي ﷺ يَومَ الطَّائف.

واللهِ لو كَان المستجيرُ بي كَلباً في تلك الأحوَال واللهِ لآويتُه، لَكنْ مَن فَقَدَ فَهمَ الإِسلام فَقَدَ الأخلاق، وَما عُبِد الله بشيءٍ خيرٌ من الفِقه في الدِّين، لم أجد فَرقاً بَين هؤلاءِ الذِينَ رَفَضُوا استقبالَ المُجاهدين وَبين المُسلمِ المَصري والأُردني الذِي يَعدُّ القَضيَّة مُتعلِّقةٌ بِحركة حماس واليَهود، ولا يُريد أن تَتَضَرَّرَ مَصالحُه في حَربٍ لا نَاقةَ له فِيها ولا جَمل كما يَزعُم.



لحاف السماء

اشتدتْ المعركةُ حتى اضطررنا إلى التنقل والذهاب لأماكن متعددة، فبتنا ليالي على الأرض بلا فراش ولا غطاء، والسماء من فوقنا، لقد كانت ليالٍ باردةً جداً، حتى وصل البرد إلى عظام الظهر ومفاصل الجسم، والحمد لله على كل حال، ونسأل الله القبول.

لقد كنَّا فيما مضى نزيد في اللباس إذا شعرنا بالبرد، كنَّا ننام على الفراش الوفير، لقد زال كل هذا في فترةٍ بسيطة، إنَّ النعم كانت تُغرقنا، لكنَّنا كنَّا عُمياناً، هل فكَّرتم يوماً في شكر الله على نعمة الفراش والوسادة واللحاف، والله إنها لنعمة عظيمة، ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا﴾ [سورة النحل: 80].

في أكثر من مكان نمنا على الأرض، ومرات نمنا جالسين لعدم وجود مُتسع، إنَّ كل الآلام مَّرت، لكنَّ الصلابة التي صُبغت بها نفوسنا هي العائد الحقيقي، وإنَّ العافية نعمةٌ لا بُدَّ لها من شكرٍ وعرفان، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم: 34]، وقال ﷺ: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا)[1].



(1) أخرجه الترمذي، حديث رقم 2346.



شمَّاعة فقه الضرورات

اشتدَّ الحال بالناس، حتى صار من يملك قوت يومه من جملة الأغنياء، فصار الرجل يخرج من بيته في الصباح ليبحث عن لقمةٍ للأولاد، صار يجمع الطعام من البيوت المقصوفة والمحال المتروكة والأماكن المحروقة، فاقتصد ناسٌ في هذا الباب ووضعوا مخافة الله بين أعينهم، فأخذوا الضرورات من فراشٍ وغطاءٍ يسترهم وبعض الطعام المضطرين إليه مما تركه النازحون عندما غادروا بيوتهم، وأسأل الله ألا يكون بذلك بأسٌ أو حرج.

ووجد بعضُ ضعاف الإيمان والمطفِّفُون فرصةً في حصول الضرورة، فاستغلوا هذه الأوضاع لينهبوا أمتعة الناس وملابسهم الخاصة، وأغراض مطابخهم، بل وعطورهم ومساحيق النساء، وسلبوا مقدرات المؤسسات العامة من أجهزة لاب توب وطاقة وشاشات وغير ذلك، متسترين بشماعة الضرورات.

ألا ما أقبح من تستَّر بالدين في إجرامه!، ذُهلتُ مما رأيتُ.. وتذكَّرتُ حديث النبي ﷺ: (ولا يَأْتِي أَحَدُكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ بِشَاةٍ يَحْمِلُهَا عَلَى رَقَبَتِهِ لَهَا يُعَارٌ،فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ بَلَّغْتُ، وَلَا يَأْتِي بِبَعِيرٍ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ لَهُ رُغَاءٌ، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، قَدْ بَلَّغْتُ)[1]، ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: 161].

إنَّ الحرام يبقى حراماً ولو فعله جميع الناس، فاللهم إني أبرأ إليك ممَّن فعل هذا، علماً بأنَّ التوبة متاحةٌ لمن غصب متاعاً،فبعد أن قرَّر الله حكم السرقة في سورة المائدة قال: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: 39]، والتوبة تكون بأن يجتهد في إرجاع ما سلب ونهب لصاحبه[2]، فإن لم يجد مالكها فليتصدق بثمنها،

---

(1) أخرجه البخاري، حديث رقم 1402.

(2) رَوَى سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (عَلَى الْيَدِ مَا أَخَذَتْ حَتَّى تُؤَدِّيَ) أخرجه الترمذي، حديث رقم 1266.

وهذه فروعٌ فقهيۃ حول هذا الموضوع:

الفرع الأول: في طريقۃ ردِّ المغصوب: وعلى الغاصب ردُّ وضمانُ مُتموَّلٍ تَلِفَ، بأقصى قيمه من حين غصبٍ إلى تلف[1]، ومثال ذلك: لو أنَّ رجلاً غصب متاعاً ثمنه يوم الغصب 50 دولار، ثم نزل سعر المتاع إلى 30 دولار، ثم ارتفع إلى 100 دولار، فعلى الغاصب (السارق) أن يرد المتاع بأعلى القيم وهي 100 دولار، لأنه فوَّت مصلحۃ بيع المتاع على مالكه.

الفرع الثاني: فيمن يشتري بضاعۃً من غير مالكها، ثم يدري بعد مدة أنها مسروقۃ:

سأل رجلٌ الإمام أحمد: "إِنِّي اشْتَرَيْتُ زَادًا مِنْ مَوْضِعٍ، وَهِي فِي يَدَيْ قَوْمٍ لَيْسُوا هُمْ أَرْبَابَهَا (أصحابها)- يعني البضاعۃ مسروقۃ أو مغصوبۃ-، فَمَا عَلِمْتُ إِلَّا بَعْد مدة، قَالَ: تَرْجِعُ إِلَى الْقَرْيَةِ أَوِ السُّوقِ فَتَنْثُرَ الزَّادَ وترجع"[2]، والمعنى: أنَّ نثر الطعام المسروق في السوق وعدم الاستفادة منه،أهون من تَملُّكه والتصرف فيه بأكلٍ ونحوه، ويستثنى من ذلك ما كان للضرورة من أكل وشرب ونحوه، ولم يجد غير هذه البضاعۃ، فيشتري بقدر الضرورة فقط.

فائدةٌ/ يلزم مع ردُّ المغصوب التوبۃ الصادقۃ.

(وَلَوْ نَدِمَ) الْغَاصِبُ عَلَى تعَدِّيه، وَرَدَّ مَا غَصَبَهُ أَوْ سَرَقَهُ عَلَى الْوَرَثَۃِ، بَرِئَ الْغَاصِبُ مِنْ إثم الْمَالِ الْمَغْصُوبِ أَوْ الْمَسْرُوقِ؛ لِأَنَّهُ وَصَلَ إلَى مُسْتَحِقِّهِ، ولم يَبْرَأُ مِنْ إثم الغصب، بَلْ يَبْقَىعَلَيْهِ إثْمُ مَا أَدْخَلَ عَلَى قَلْبِ مَالِكِهِ مِنْ أَلَمِ الْغَصْبِ وَمَضَرَّةِ الْمَنْعِ مِنْ ملْكِهِ مُدَّةَ حيَاتِه، فَلَا يَزُولُ إثْمُ ذَلِكَ إلَّا بِالتَّوْبَۃِ[3].

(1) فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين، ص: 389.
(2) الورع لأحمد بن حنبل روايۃ المروزي، ص: 34.
(3) مستفاد من كشاف القناع عن متن الإقناع (4/ 115).



فرعٌ: إثم شراء البضاعة المسروقة:

إن تيقنتَ أو غلب على ظنِّك أنَّ ما بيد البائع مسروقٌ، فلا يجوز لك أن تشتري منه، ومن أقدم على ذلك لغير ضرورةٍ مُلحَّة من فقد طعامٍ وشرابٍ وعُريٍّ من كساء، فقد شارك في السرقة، لما في شرائها من إعانة السارق على الإثم والعدوان، قال رسول الله ﷺ: (مَنِ اشْتَرَى سَرِقَةً - شيئاً مسروقاً-، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهَا سَرِقَةٌ، فَقَدْ شُرِكَ فِي عَارِهَا وَإِثْمِهَا)[1].



(1) مستدرك الحاكم، حديث رقم 2253.



مكتبةٌ ضائعة

«بيتٌ ليس فيه كتبٌ أهله جياع»، كثيراً ما كنتُ أقول هذه العبارة التي حفظتها من بعض مشايخنا، وكذلك كنتُ أُردِّد: «اصنع في بيتك مكتبةً ولو من كتابين فقط، صدِّقني ستُصلح شيئاً ما بداخلك».

منذ أن بلغتُ وأنا أحبُّ القراءة، فما نبتَ لحمي إلا من الكتاب، ولكن لم تُبقِ لنا إسرائيل دوراً ولا مكتبةً ولا كتاباً.

بعد شهرين من الحرب الطاحنة دخلتُ ملعب اليرموك، وكانت آليات العدو قد دمَّرتْه، وحرقتْ الغرف التي بداخله، فوجدتُ كتابين هما عندي أثمن من كثيرٍ من متاع الدنيا: الكتاب الأول: (نحو تفسيرٍ موضوعيٍّ لسور القرآن) للشيخ محمد الغزالي، والكتاب الثاني: (الشهيد نزار ريان مُحدِّثاً ومجاهداً).

التقطتهما عن الأرض، وطيبتهما بما كنتُ أحمل من قماش، كنتُ مشتاقاً لكرسيٍّ ومكتبٍ وسهرٍ على قراءة كتاب.

الكتاب الأول صاحبتُه منذ عام 2020 تقريباً، وقد ألفيته دراسةً موفقةً فَتحتْ لي آفاقاً عظيمةً في فهم محتويات سور القرآن، وكان الكتاب لا يفارقني ولا أفارقه حتى مجيء الحرب، فكانت فرحةً غامرةً أن لقيتُ هذا الصاحب ووفَّيتُه حقَّه، فهو معي حتى هذه اللحظة وأنا أكتب هذه الأحرف، لا يكاد يمر عليَّ يومٌ حتى أُدمن النظر فيه صباح مساء بعد كتاب الله تعالى، وإنَّ نصيحتي لكلِّ من وفَّقه الله لصحبة القرآن أن ينهل من هذا الكتاب، وصدِّقني ستشعر أنَّك لم تعشْ مع القرآن قبل ذلك، وكنتُ كلما قرأت من الكتاب ترحَّمتُ على الشيخ الغزالي، فاللهم أنزل على قبره شآبيب الرحمة والرضوان.



وأما الكتاب الثاني فهو دراسةٌ من الدكتور براء ريان -نجل الشهيد المجاهد نزار ريان- ، وقد سمعتُ عن الكتاب قبل ذلك، ولم أطلع عليه، لكنّي كنت أنوي الاطلاع عليه ولكن لم يسعفني الوقت من قبل، والكتاب قيمٌ ونافع، وقد جاء في وقته، ولقد تدبرتُ تجربةً حيةً لعالمٍ مجاهد، ختم الله حياته بالشهادة، وللشيخ نزار ريان رحمه الله أيضاً شرحٌ على كتاب الورع للإمام أحمد، في نيتي أن أنهلَ منه، علّ الله أن يمنَّ على نفوسنا بالهداية، فطبتَ حياً وميتاً شيخنا المجاهد، وإنْ مات العالم فإنَّ علمه لا يموت.

وقد استوقفني مع الشيخ نزار ريان موقف استشهاده في عام 2009 م، وسؤال البعض: هل هو تهلكة؟!

ففي أول يوم من عام 2009 م في معركة الفرقان، اتصل جيش الاحتلال بالشيخ نزار ريان -رحمه الله- ليُخليَ بيته لأنهم سيقصفونه، فما كان من الشيخ إلا أن ثبت وقال: لا يحقُّ لأحدٍ أن يُخرجني من بيتي، ولن أخرج حتى لو هدموا البيت فوق رأسي ورأس عائلتي..

يَعُدُّ كثيرٌ من السطحيين هذا تهلكة، لأنهم لم يفقهوا معنى المراغمة لأعداء الله، إنَّه العالِم الحُر الذي لا يرضى الضيم، لقد كان ثباتُ الشيخ واستشهادُه حياةً للأمة، وترسيخاً لفكرة أنَّ الباطل لا ينبغي له أن يُهيمن على الحق، بينما لو فرَّ الشيخ من بيته وتماشى مع مطالب عدوه، فسيفتُّ ذلك في عضد العامة، ويُجرِّئ العدو أكثر، فرحم الله العالِم المجاهد، وها نحن اليوم بعد خمسة عشر عاماً في معركةٍ غير متكافئة، يطالبنا العدو بالنزوح والخروج من ثغورنا في شمال غزة وترك المواجهة، ونسمع هنا وهناك من يُحدِّثنا عن حفظ النفس وعدم المخاطرة، لكنَّنا على خطى شيخنا العالِم الشهيد في الثبات والمواجهة، لأنَّ السطحيَّ يعتقد أنَّ بعض النصوص الشرعية يكفي فيها أن تُبصِّرك بالحق معرفةً وثقافةً نظرية، لكننا على

يقينٍ أنَّ النصوص الشرعية لا بُدَّ أن تختلط بالنفوس المؤمنة لصياغة الفرد المسلم الثابت الذي يستطيع مواجهة الباطل.

إنَّ ثبات الشيخ نزار ريان رسم أنموذج العصر، فهناك صوتان، صوتٌ كان ينادي الشيخ نزار بالخروج من بيته لأنه يلقي بنفسه للتهلكة، وصوتُ إيمانٍ جريء يقول: لن تُمكَّن حتى تُبتلى وتُقدَّم النفس والنفيس، إنَّهما تماماً الصوتان اللذان نسمعهما حتى هذه اللحظة، صوتٌ يقول لنا: لقد ألقيتم بأنفسكم للتهلكة، وصوتٌ يقول:

لا يَسلمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى ❖❖❖ حتى يُراق على جوانبه الدمُ.

لو كان الشيخ نزار ريان حيَّاً لكان معنا في الخنادق وساحات القتال، فطيَّب الله ثراه، ونسأل الله أن يدخلنا مُدخَل صدقٍ ويُخرجنا مُخرَج صدق.

قرأتُ كتاب الشيخ في ليلتين، ثم أشار عليَّ بعض الإخوة أن نعقد مجلساً علمياً يُثبِّتُ فينا الإيمان، ويُذكِّرنا بسنن الله في كونه وخلقه، فاستحضرتُ مباشرةً قول إبراهيم بن أدهم: «إنَّ الله يَدفع البَلاءَ عَن هذه الأُمةِ بِرحلةِ أصحابِ الحديثِ»[1]، فقلتُ: بسم الله، علَّها تدفع عنَّا البلاء، فشرعنا في مجلسٍ بعنوان: (وقفاتٌ مع سورة آل عمران)، وقد منَّ الله علينا بحياةالقلوب، وثبات الأقدام بعدما كادت أن تزلَّ قدمٌ بعد ثُبوتها، وكان من محتويات ومحاور المجالس:

- مقدمة كتاب في ظلال القرآن عن السورة[2].
- والله يؤيد بنصره من يشاء.
- التعليق على غزوة أحد.
- قصة مريم عليها السلام والأخذ بالأسباب.

(1) الورع لأحمد بن حنبل رواية المروزي، ص: 34.
(2) لا يستغني دارس علم التفسير عن قراءة مقدمات السور للشهيد سيد قطب ﵀.



ومِن الكتب النافعة التي يسَّر الله قراءتها في هذه الجولة على سبيل المثال لا الحصر:

1- كتاب (الإسلام بين الشرق والغرب) لكاتبه علي عزت بيبجوفيتش، الرئيس السياسي والقائد المسلم العسكري للبوسنة، وقد تحصَّلتُ قبل الحرب على الكتاب، وكنت قبل هذه الجولة أتحين الفرصة لقراءته، لكن لم تُتَح لي فرصة، وفي أثناء جولة القتال، تسلَّلتُ إلى مكتبتي قبل أن يُقصف البيت، فوقعتْ عيني على الكتاب، فتناولتُه وحملته معي إلى خندقي، حيث كانت هناك بعض الأوقات التي يستطيع فيها المجاهد أن يخلوَ بنفسه، فكنتُ أقرأ الكتاب بكلِّ تركيز، فمما نفعني الله به من هذا الكتاب، الحديثُ عن الأخلاق، وغيابها في المجتمع الغربي والأمريكي، وهو من أفضل الكتب التي تحلل لك العقلية الغربية ونظرتها للحياة والإنسان والعلم والأخلاق، فالمؤلِّف مجاهدٌ عاملٌ خبيرٌ بتلك المجتمعات.

2- كتاب (أخلاق الحروب في الإسلام) للدكتور راغب السرجاني: وهو كتابٌ قيِّمٌ، يُبيِّن لك ضوابط القتال في الإسلام، وأخلاق المجاهدين في المعارك، فالفتوحات الإسلامية معجزةٌ من معجزات الأخلاق في التاريخ، ويُوضح الكتاب أنَّ البشرية لم تسلم من الحروب إلا فتراتٍ قليلة بالنسبة لعمر الحياة على الأرض، وتحدَّث عن هدي النبي ﷺ في الهدنة، وعن هديه حال تعرض الجيش للهزيمة، وغير ذلك مما لا يسع الفاتحين جهله.



الهزيمة النفسية

بحمد الله كانت المعنويات عندي سماويةً منذ انطلاق اللحظة الأولى للمعركة، رغم أنّي طُحنتُ بالبلاء، وعضّني الجوع، وانتابني التعب في أحوالٍ كثيرة، وذات يوم جلستُ مع بعض الأشخاص الذين غلبهم القهر فغطّى على معنوياتهم، وصارت نفوسهم هشة، فإنْ جاورتَهم أصابك شيءٌ من هشاشة نفوسهم رغماً عنك، فصدر منهم شيءٌ من لحن القول، وكان فحوى كلامهم: «أنَّ الضَّراء التي نحن فيها سببها سوء تقدير من قادة الجهاد، وكان يجب أن نتأنى، وكان يجب ألا نفعل»!!.

كان الكلام مُحزناً، فتألّمتُ لأني لم أستطع أن أُنقذ نفسي من بعض غُبار كلامهم المهزوم، فاستخرتُ الله وعزمتُ على ترك المكان، والذهاب لمكانٍ آخر أناجي فيه ربي، وأصحب الكتاب الذي يهدي للتي هي أقوم، فشعارُ المرحلة: تحدٍ مع نفسك أن تخرج من هذه الجولة بهمةٍ أعلى من السابق.

وبعد الخلوة والتفكّر علمتُ أن إيثار السلامة والأمان والاستقرار الأمني والاقتصادي هو طريقٌ إلى النار، (حُفَّت النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُفَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ)[1]، وعلمتُ أنَّ مصلحة الجهاد أُخروية في الغالب، وربّما لا نجني شيئاً من ثمارها في الدنيا، وأنَّ ضريبة الدماء أهون بكثير من حياة الذل والانسحاق[2].

إنَّ الله قد نهانا عن مجالسة من يُضعف ديننا ويبثُّ الشك في إيماننا، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ [النساء:140]، وإنْ كنتَ لا بُدَّ مُجالساً فلا تغترَّ بكلامهم، ففي أوقات الفتنة والمُلِمات يُؤخذُ بمشورة العلماء

(1) أخرجه البخاري، حديث رقم 6487، وأحمد حديث رقم 7530، واللفظ له، ولفظ البخاري: (حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ).

(2) ينظر فيما سيأتي عنوان: القرآن يدير المعركة.

العاملين، لا بمشورة العوام القاعدين، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 83].

وما أعظم التحليل النبوي للهزيمة النفسية: (إذا قالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ[1])، نعم لم نهلك، ولم تُفكَّك قُواتنا، عقيدتُنا معنا، علاقتُنا بالله قويت، لكنَّ كلام أولئك المهزومين هو الذي يُهلكنا ويُتعبنا، لذلك الزم وصية سورة الكهف: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:28]، أي لا تصحب الأردى فتردَى.

وكذلك الشيء بالشيء يُذكر، فهناك طائفةٌ من الأنانيين يعتقدون أنَّ قيادة المقاومة يجب أن تشاورهم في كلِّ خُطوة، ولأنَّهم لم يشاركوا في اتخاذ القرار فهم في سخطٍ كبير وإرجافٍ مُرهق، وهنا يقال:

1- هل يلزم على النخبة المقاومة أن تُخبر كلَّ مُفكِّر وكلَّ مُهندسٍ وكلَّ داعيةٍ وكلِّ صيدليٍّ بما ستقوم به؟!، إنَّ الطفولة التي يُفكِّر بها هؤلاء مُحزنةٌ جداً، وهنا نستحضر موقف سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما اجتمع الصحابة في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفةٍ للمسلمين فسمع عمر رضي الله عنه جلبةً بالباب، فسأل فقيل له: بعضُ الأعراب جاؤوا يشاركون في الأمر... فخرج لهم الفاروق رضي الله عنه وقال: «ليرجعَ صاحبُ المحراث إلى محراثه، وصاحبُ الصَّنعة إلى صنعته، الأمر اليوم للمهاجرين والأنصار»، واليوم يُقال: الأمر اليوم للقيادة المجاهدة، والناس تبعٌ لها، هذا إن أردنا أن نُوفَّق....

(1) أخرجه مسلم، حديث رقم 139، وللحديث روايتان بفتح الكاف وضمها، والمعنيان مرادان.



2- على قيادة المقاومة أن تعلم أنَّ الجُبن في اتخاذ القرار أخطرُ من الجبن في المعركة، فإن توجَّب الهجوم والقتال والثبات فليُعمل به دون خجلٍ من أحد، ولو تقرَّرت الهدنة ووقف الحرب ضمن شروط عادلة فليُعمل به دون خوفٍ من تبعات القرار.

ويا لعظمة خالد بن الوليد رضي الله عنه عندما قرَّر أن ينسحب من حمص، بعد أن فتحها الله عليه... وقد اتخذ قرار الانسحاب، مع أنَّ القرار كان مخالفاً لرغبات الجند، ومعنى هذا: أنَّ حمص فُتحت بدماء الشهداء، وسيطر المسلمون عليها، ثم انسحبوا لأجل تقديراتٍ وجيهةٍ من القيادة المسلمة... أتصور جدالاً بين الجنود وأهاليهم مع سيدنا خالد بن الوليد، كيف تنسحب بعد أن فتحنا البلاد؟!، هل دماء أولادنا رخيصة لتضحِّيَ بها بانسحابك الآن؟!.

اتخذ خالدُ رضي الله عنه قرار الانسحاب وأعاد الجزية لأهل حمص، لأنَّ طبوغرافيا المنطقة لا تسمح بقتال الروم في حمص، فانسحب إلى منطقةٍ مُطلَّةٍ وحاكمةٍ، وكان قرار الانسحاب سبباً في هزيمة الروم وتحقيق النصر للمسلمين بعد ذلك[1].



(1) يُنظر كتاب: انتشار الإسلام (الفتوحات الإسلامية زمن الراشدين)، ص 96.



رجوعٌ شاق

زاد التوغلُ البريّ حتى فَصَلَ سكان الشمال عن سكان مدينة غزة، وكنا في ذلك الوقت في مهمةٍ في مدينة غزة، وننتظر فرصةً مناسبةً للعودة إلى شمال غزة، قرّرنا العودة، ووصلنا منتصف الطريق، فنزلت قذائف الهاون علينا في طريق العودة، فعدنا أدراجنا إلى مكاننا السابق، لم أحزن لأنَّ الله هو الذي يختار الطريق، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل:9]، وهو الذي يُخرج من البيوت ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنفال:5].

في اليوم الذي بعده عُدنا ودخلنا بفضل الله، وأخذنا نبحث عن مكانٍ لنؤوي إليه، فلم نجد متسعاً عند أحد، فذهبنا إلى مكانٍ محروقٍ قد دمَّرته آلياتُ العدو، فنظَّفناه قدر الإمكان، وبتنا فيه ليلتنا، وأصبحنا نُؤمِّن الماء والغذاء من جديد، لم يكن عندنا إلا بعض المعلبات، وشيءٌ من أكُفِّ الطحين.

نحن الآن في منطقةٍ دخلها الجيش ودمَّرها، وعلى بعد 2 كيلو متر تقريباً توجد منطقتنا، ليس فيها أيُّ نسمة، دمَّر العدو كلَّ معالمها، في النهار نذهب إليها، ندخل شوارعها المدمَّرة، لقد وصلتُ حارتنا، فلم أر فيها معلماً ولا علماً، ودخلتُ شارعنا المدمَّر، والله لم أعرف مكان منزلي إلا بعد أن قال لي أخي: ارجع إلى هنا عشر خطوات، تمام... هنا كان منزلك.
الحمد لله على كل حال، أبدِلْني يا ربِّ بيتاً في الفردوس، متأسياً بالصالحين والصالحات: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾، لقد طُلب في هذا الدعاء الجار قبل الدار.



كنا نقضي النهار في منطقتنا، ونرجع في الليل إلى المكان الذي أوينا إليه للنوم هناك، ومضى الحال هكذا لمدة أسبوع تقريباً، أشتهي أن أعود إلى منطقتنا وإلى حارتنا، لكن إلى أين؟!، ومع من؟!، أين سننام؟!، لا ماء ولا كهرباء ولا غذاء ولا أمان، الشوق يقتلني، لكن ما العمل؟!.





شوقٌ ومشقَّة

لَمَّا قَدِمَ أُصيل الغفاري ﵁ إلى المدينة سأله النبي ﷺ: كيف تركتَ مكة يا أُصيل؟، فأخذ أُصيل يتحدث عن شوارع مكة وجبال مكة وهواء مكة، فقال له النبي ﷺ: (حسبُك يا أصيل، دعِ القلوب تَقِر!)[1].

بعد استخارةٍ لله تعالى واستشارةٍ لأحباب الصدق ورفقاء الدرب اتفقنا على قرار، سنرجع لمنطقتنا الحدودية!!، هناك مدارس على أطراف البلد لم تُدمَّر بفضل الله، سنذهب في النهار لكي ننظفها، ونحاول توفير مصدر للماء وآخر للكهرباء فيها، واجهني كثيرٌ من الإخوة بخطاباتٍ مُثبِّطة: (لا فائدة!، هذه مخاطرة!)، فاستعنَّا بالله ومضينا[2].

وكان لأحد إخواني قدم السَّبْق في أن سبقني بالتواجد ليلاً قبلي بيوم، وكانت مغامرةً كبيرة، لأنَّ المنطقة حدودية وفارغةٌ تماماً، ولو تقدَّمت آليةٌ واحدة للاحتلال لفعلتْ في المدرسة ما فعلتْ، لكنَّ الله سلَّم، وبدأنا بفضل الله نُحفِّز الناس على العودة، ويسَّر الله لنا مصدراً للماء وآخر للكهرباء، فاستقرَّ الناس في المكان إلى يومنا هذا الذي أكتب فيه (اليوم ال 300 من الحرب)، والمكان يحرسه الله بفضله، وأسأل الله أن يصرف عنا شرَّ اليهود والمجرمين[3].



(1) أخبار مكة للأزرقي (2/ 155).
(2) إن لم تجد أميراً وانقطع التواصل، والخطب يحتاج لمبادرة، فتقدَّم الصف قدوة مضحياً باذلاً واستعن بالله.
(3) قصف العدو المكان بعد عدة شهور من مكوثنا فيه، ورغم ذلك رجعنا وقمنا بتنظيفه واستصلاحه في نفس اليوم الذي قصف فيه، وأقمنا فيه نكاية بالعدو، فدخل العدو مرة أخرى ودمر المكان وأحرقه، كي لا يعود الناس إليه، فرجعنا إليه مرة ثالثة وأقمنا فيه مدةً، إلى أن قام العدو بتدمير المنطقة كاملة وتهجير الناس منها.



صناعةُ الحياة

كانت نيتُنا أن نشجِّع الناس على العودة لمنطقةٍ مهجورةٍ ومُدمَّرة، ونصنع فيها بقايا حياة!!، وهذا لونٌ من ألوان عبادة المُراغمة والجهاد.

توقعنا أن يستجيب الناس لنا أفرادا، لكنْ فوجئنا أنَّ الناس أقبلوا، وبلغ عددهم في غضون عشرة أيام مئات العائلات، وهذا رقمٌ كبير في تلك الأوضاع الرهيبة، وفي ذلك المكان الحدودي المرعب، ووجدنا أنَّ هؤلاء بحاجةٍ لمساعدات وماء وكهرباء وأدوية ومنظفات وإقامة صلوات وتوعية ووعظ!!، ووجدنا أنَّنا بحاجة لصناعة حياةٍ كاملة!!،

كان شعار هذه المرحلة: العمل والعطاء واحتساب الأجر عند الله، وكنتُ قد أخبرت إخواني الشباب الذين كانوا معي أنَّ الدنيا لا تستقيم إلا على يد طلاب الآخرة، لأنَّ العطاء والأخذ عند طلاب الآخرة سواء.

إن مفهوم الحياة عند المسلم ليس كغيره، فاليهود مثلاً ﴿أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾، ولو كانت حياة الذل والمهانة، حياةً بأيِّ مقياس، أما مفهومها عندنا فحياةٌ عزيزةٌ هنا، أو حياةٌ كريمةٌ عند الله، نحن نحافظ على حياةٍ بمقاييس ربنا عزّ وجلّ، وتعلُّقُنا باليوم الآخر لا يعني أنَّنا لا نستطيع إدارة الحياة الدنيا، بل نُديرها بكلِّ جدارة، ونغرس فيها ونَعْمُرُها لأجل الدار الآخرة.

لقد يسَّر الله لنا توفير مصالح عباد الله من ماء وكهرباء ودواء، وكذلك التركيز على الحِفاظ على دين الناس من خلال تأسيس مصلىً صغير، لنجتمع مع الناس خمس مراتٍ يومياً، نُذكِّرهم ونُذكِّر أنفسنا بالله العظيم.



لا تُصالح ولا تُسالم

بِحكْم تمركز الآليات على حدود المنطقة عندنا، وكون المدارس التي نجلس فيها قريبة من السلك الفاصل، فهناك خطرٌ يوميٌّ يُحدق بنا، خاصةً إذا جنَّ الليل، لذلك كُنَّا لا ننام في الليل، وفي ليلةٍ من الليالي تقدمت آليات العدو نحونا، وكنا نرصد تقدمهم، فاستطاع الشباب أن يتحركوا إلى أماكن أكثر أمناً، لكنَّ بعض الإخوة هداهم الله تعاملوا مع أنفسهم على أنهم مواطنون عاديون، وظنُّوا أنَّ العدو المجرم سيُعاملهم معاملةً راقية، فرفض البعض التحرك السريع، وقال أحدهم سيقول اليهود لنا: ابقوا في المدرسة، ولا يتحرك منكم أحدا، فما كان من هذا الأخ إلا أنَّه غلَّب جانب السلم، وظنّ أنه يتعامل مع بشر، نسي أنَّ هذا جيشٌ نازيٌّ مجرمٌ فاجر، فأخذه الجيش واعتقلوه، صبَّره الله وأعانه، وعجَّل له بالفرج ولجميع أسرانا.

إنَّ مسالمة العدو سبيلٌ للذل، وإنَّ معاداة العدو بأي وسيلة سبيلٌ للعزة، فلا تُصالحهم ولا تُسالمهم ولو قال لك: رأساً برأس، فرؤوسنا أغلى من رؤوسهم، لا تُفكِّر يوماً من الأيام أن تُسلِّم نفسك للظالمين، مُتْ مِيتةً شريفةً وعِش حياةً كريمةً في الفردوس، فهذا خيرٌ لك من الذُّل والقيد، فكَّ الله قيد إخواننا بالعز.



هل يجوز لي أن أُسلِّم نفسي؟![1]

لقد حصلت حادثةٌ في هذا السياق في عهد النبي ﷺ، وسلَّم بعض الصحابة أنفسهم، فقال بعضهم: «أمَّا أنا فوالله لا أنزل تحت ذِمَّة كافر»[2]... يقول ابن قُدامة مُعلقاً على هذا الحديث: «فَعَاصِمٌ أَخَذَ بِالْعَزِيمَةِ، وَخُبَيْبٌ وَزَيْدٌ أَخَذَا بِالرُّخْصَةِ، وَكُلُّهُمْ مَحْمُودٌ غَيْرُ مَذْمُومٍ وَلَا مَلُومٍ»[3].

وقد اجتهد الفقهاء في ضبط المسألة، فقالوا: نحن أمام حالتين:

1- مَن غلب على ظنه أنَّه مقتولٌ أو مفتونٌ في الأسر[4]: فالأولى ألَّا يُسلِّم نفسه عندئذ، لأنَّه إذا واجه العدو فإمَّا أن ينجو وإمَّا أن يُستشهد، وفي الحالتين يُعدُّ ناجياً من تسلُّط الكفار عليه، قال ابن قُدامة: «وَإِذَا خَشِيَ الْأَسْرَ، فَالْأَوْلَى لَهُ أَنْ يُقَاتِلَ حَتَّى يُقْتَلَ، وَلَا يُسْلِمَ نَفْسَهُ لِلْأَسْرِ، لِأَنَّهُ يَفُوزُ بِثَوَابِ الدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ، وَيَسْلَمُ مِنْ تَحَكُّمِ الْكُفَّارِ عَلَيْهِ بِالتَّعْذِيبِ وَالِاسْتِخْدَامِ وَالْفِتْنَةِ»[5].

---

(1) مسألةٌ مطروحةٌ قديماً في كتب الفقهاء بعنوان: «الاستئسار».

(2) القصة بتفصيلها مروية في صحيح البخاري (4/ 67): بَابٌ: هَلْ يَسْتَأْسِرُ الرَّجُلُ وَمَنْ لَمْ يَسْتَأْسِرْ: (بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشَرَةَ رَهْطٍ سَرِيَّةً عَيْنًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ، جَدَّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالهَدَأَةِ، وَهُوَ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ، ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ، يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لَحْيَانَ، فَنَفَرُوا لَهُمْ قَرِيبًا مِنْ مِائَتَيْ رَجُلٍ، كُلُّهُمْ رَامٍ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ حَتَّى وَجَدُوا مَأْكَلَهُمْ تَمْرًا تَزَوَّدُوهُ مِنَ المَدِينَةِ، فَقَالُوا: هَذَا تَمْرُ يَثْرِبَ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ، فَلَمَّا رَآهُمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَئُوا إِلَى فَدْفَدٍ، وَأَحَاطَ بِهِمُ القَوْمُ، فَقَالُوا لَهُمْ: انْزِلُوا وَأَعْطُونَا بِأَيْدِيكُمْ، وَلَكُمُ العَهْدُ وَالمِيثَاقُ وَلاَ نَقْتُلُ مِنْكُمْ أَحَدًا، قَالَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ أَمِيرُ السَّرِيَّةِ: أَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ لاَ أَنْزِلُ اليَوْمَ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ، فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ، فَقَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةٍ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ بِالعَهْدِ وَالمِيثَاقِ، مِنْهُمْ خُبَيْبٌ الأَنْصَارِيُّ، وَابْنُ دَثِنَةَ، وَرَجُلٌ آخَرُ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ أَطْلَقُوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ فَأَوْثَقُوهُمْ، فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ: هَذَا أَوَّلُ الغَدْرِ، وَاللَّهِ لاَ أَصْحَبُكُمْ، إِنَّ لِي فِي هَؤُلاَءِ لَأُسْوَةً -يُرِيدُ القَتْلَى-، فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ عَلَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَأَبَى، فَقَتَلُوهُ، فَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ، وَابْنِ دَثِنَةَ حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَابْتَاعَ خُبَيْبًا بَنُو الحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الحَارِثَ بْنَ عَامِرٍ يَوْمَ بَدْرٍ، فَلَبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا... فَقَتَلَهُ ابْنُ الحَارِثِ، فَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ لِكُلِّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْرًا). حديث رقم 3045.

(3) المغني لابن قدامة (319/9).

(4) إن ما يفعله السجانون اليهود اليوم هو إجرامٌ لا حدَّ له، فبعض الأسرى ينتهك عرضه وشرفه، وبعضهم يتعرض لأشدِّ ألوان العذاب القاتل، والله المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(5) المغني لابن قدامة (319/9).



2- مَن غلب على ظنِّه أنَّه غير مقتولٍ في الأسر: بأنْ كان شخصاً عادياً ليس له صلةٌ بالعمل المقاوم، فالأولى له أن يُسلِّم نفسه،ويجوز له أن يستبسل ابتغاء مرضات الله، يقول السرخسي: «لَا بَأْسَ بِالِانْهِزَامِ إذَا أَتَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ الْعَدُوِّ مَا لَا يُطِيقُهُمْ، وَلَا بَأْسَ بِالصَّبْرِ أَيْضًا بِخِلَافِ مَا يَقُولُهُ بَعْضُ النَّاسِ إنَّهُ إلْقَاءُ النَّفْسِ فِي التَّهْلُكَةِ، بَلْ فِي هَذَا تَحْقِيقُ بَذْلِ النَّفْسِ لِابْتِغَاءِ مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَدْ فَعَلَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ الصَّحَابَةِ ﵃ مِنْهُمْ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ حَمِيُّ الدَّبْرِ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ، فَعَرَفْنَا أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ، وَاَللَّهُ الْمُوَفِّقُ»[1].

وقد ذكر الفقهاء بعض الأحكام المهمة في هذه المسألة، ومنها:

1- لا يجوز للمرأة أن تُسلم نفسها إنْ غلب على ظنِّها أنَّه سيُعتدى على شرفها[2].

2- الأَولى بالعالِم والإمام والقائد ألَّا يُسلم نفسه، لأنَّ هذا يُوهن المسلمين ويُضعفهم.



(1) شرح السير الكبير، ص: 125.

(2) حاشية البجيرمي على الخطيب = تحفة الحبيب على شرح الخطيب (4/ 255).



جهاد الشوكة

مـرّت الأيام ونحـن مُنهكـون في العمـل الخيـري وخدمـة النـاس، وبحمـد الله اسـتقرَّت أوضاع النـاس وتيسّـرت الأمـور نوعـاً مـا، وامتـلأ الصف بفاعلـي الخير، فعقد الإخوةُ العزمَ على إعادة تنظيـم القتـال، إنَّـه ليـس أمـراً سـهلاً، قـرار أن تترك المساحة الآمنة إلى المساحة الخطيرة، قرار أنَّك يمكن أن تُستهدف في أيّ لحظةٍ في ساحات العز والشرف، ولكنه المقام الأعظم.. (مَوْقِفُ سَاعَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ عِنْدَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ)[1].

كان العـدو يُنـاور علـى تخـوم مدينتنـا بـين الفينـة والأخـرى، ورِزقُ الجهـاد لا زال متاحاً، فتوكلنـا علـى الله علّ الله أن يفتـح علـى أيدينـا فنصـدَّ عـدواً، أو نطـأ موطئـاً يغيظـه، أو نحشـد المجاهديـن علـى حُـبِّ الشـهادة.

إنَّ الله هـو الـذي يـأذن بالجهـاد، وإنَّ المكـوث بـين المجاهديـن حيـاةٌ أخـرى، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾، فاللهـم مِيتـةً بـين المجاهديـن، فـلا عـزَّ في هـذا الزمـان إلا عزُّهـم!.

جَـاءَ رَجُـلٌ إِلَى النَّبِـيِّ ﷺ فَقَـالَ: يَـا رَسُـولَ اللَّهِ مَـا القِتَـالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟، فَإِنَّ أَحَدَنَـا يُقَاتِـلُ غَضَبًـا، وَيُقَاتِـلُ حَمِيَّـةً، وفي روايـة: ويقاتـلُ شـجاعةً، ويقاتـلُ ريـاءً، وفي روايةٍ أخـرى: الرجل يقاتلُ للمغنـمِ، والرجـلُ يقاتـلُ للذِّكـر، والرجـل يقاتـلُ ليُـرى مكانُه، فَمَنْ في سبيلِ اللهِ؟، فَقَالَ ﷺ: (مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)[2]، كان هذا الحديث يراودني كثيراً أثناء هذه الجولة، ربما أُقاتل غضباً أو حميةً... لكنَّني اعتصمتُ بالله والتجأتُ إليه وسألتُه صدق النيَّة، لأنَّ النيات تتقلب علـى المجاهـد، وهنيئـاً لمـن تفقّـد نيَّته.

(1) أخرجه ابن حبان في صحيحه، حديث رقم 4603.

(2) صحيح البخاري، حديث رقم 123.



جلسةٌ تربوية

لي صاحبٌ من خيرة الناس، شديدٌ في طبعه، لكنَّه صاحب همةٍ وعمل، حازمٌ لكنَّه ليِّن أمامنا، كنتُ أدعو له كثيراً في محطاتٍ سبقت، وكنتُ أشعر أنَّه يُكنُّ لي الخير في قلبه، كلمَّا رآني أو رأيته يسألُني عن القرآن، نتدارس الآيات ويَذْكُر لي بعض الوقفات التي يفهمها، وكان مُوفقاً -سدَّده الله-.

لما كنتُ في الحصار بداية الحرب البرية «الثلاثين يوماً الأولى»، كان يتصل بي على الهاتف الأرضي الآمن، ويرفع معنويتي، وكانت الهمة سماويةً بفضل الله، وخلال المعارك انقطع الاتصال معنا، وصدر خبرٌ باستشهادنا، وبعضُ الإخوة صلُّوا علينا صلاة الغائب، حتى أذكر أنَّ أحد أصحابي رآني بعد انتهاء جولة القتال الأولى، فكبَّر في الطريق وقال: «هو أنت عايش؟!!، وأنا كنت أقول: الله يرحمك، وأشغل أنشودة: أحبائي خذوا مني سلامي[1]، وأبكي عليها!!».

عودٌ إلى صاحبنا الأول، لَّما خرجتُ من الحصار ونجَّاني الله، لقيتُه شاحبَ اللون، كأنَّه لم يَمَس طعاماً منذ فترة، سلَّم عليَّ وعانقني عناقاً برَّد عنِّي كثيراً من التعب، إنَّه ليس ذلك الحازم الشديد، إنَّها حِنيَّةُ والدي والله، لقد كنتُ أبكي من الفرح، وقد وضع رأسه على كتفي وهو يبكي بكاءً شديداً، وقال لي عبارة هي أحب إليَّ من كثيرٍ من المتاع: «أكبرُ نصرٍ في هذه الحرب إنه أنتم عايشين».

(1) أنشودةٌ أحببتها وكنت أتمثلها مع الشباب وطلبة العلم والمجاهدين من حولي، وأنشدها لهم بقلبي. وهذا رابط الأنشودة بصوت الشهيد:
https://drive.google.com/file/d/1Z5pcnjynWM6AwnsvQiuXn1e0Rm9sL4ba/view?usp=sharing

إنَّ هذه المحبة تُقيم جسراً من الأُخوة لا ينفكُّ أبد الآبدين، إنَّ حرص القائد على حياة جنوده قمَّة المحبة، لقد ذكَّرني بدعاء النبي ﷺ: (اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ)[1]، إنَّ النَّبي ﷺ كان يحُب تلك العصابة جداً، ويدعو الله أن يحفظهم.

كان لقاءً لا يتجاوز الساعة، لكنَّه كان محطةً من محطات الإيمان، وافترقنا بعد ذلك لمهامنا، وعدتُّ للمكان بعد مئةٍ وخمسين يوماً تقريباً، ولقيتُه مرةً أخرى، الحمد لله هو ومن معه من رجالٍ بخير وعافية.

إنَّ بقاءهم أحياءً يُغيظ أعداءنا، سلَّمتُ عليه فوجدتُه ذاك الجبلَّ الأشم الذي أعرفُه، جلسنا وتدارسنا سورة آل عمران، وكان ظنُّه بالله جميلاً، هؤلاء هم بقايا الرجال والله، وصاحبُنا منهم بإذن الله، كلُّ ما أرجوه من الله أن يزيده ثباتاً وإخلاصاً، وأن يُعينه على ما هو آت، وأن يجمعنا به دوماً في مواطن العز والقتال مقبلين غير مدبرين.



(1) صحيح مسلم، حديث رقم 1763.



۞ القرآنُ يُدير المعركة (آياتٌ استوقفتني)[1] ۞

1- **قال تعالى:** ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ [سورة ص: 11].

انظر وصف القرآن للكفار أنَّهم بضعة جنود لا قَدْر لهم، ف(ما) للإيهام، كما تقول: جئتُ لأمرٍ ما، وهذا تحقيرٌ لهم، واستخفافٌ بقدراتهم، وهذه بشرى من ربِّ العزة أنَّ جنود الأحزاب المجتمعين كلّهم عَجَزةٌ مهزومون، ويعزز اليقين بذلك إذا استحضرنا أنَّ السورة مكية، وأنَّها نزلت في أيام البلاء المكية، لكنَّها تحمل بشرى هزيمة الأحزاب، وهذا من الإخبار بالغيب، فهي تخبر أنَّ جند الأحزاب سيجتمعون عليكم في السنوات القادمة، لكنَّهم سيكونون عجزةً ضعفاء، وهذا ما حصل، فلقد اجتمع الأحزاب وعجزوا عن حسم المعركة ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا﴾.

2- **قال تعالى:** ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة البقرة: 249-250].

---

(1) مقطع للشهيد بعنوان: وجهوا قلوبكم شطر القرآن:
https://drive.google.com/file/d/1xLkQ5yWlBlC6pC6VqqfUXlC4IW_8Wseo/view?usp=sharing



ومن فوائد الآية:

أ- قد يظنُّ من يقرأ أخبار المجاهدين أنَّ مقابلة العدو هي البلاء الوحيد في الميدان، والحقيقة أنَّ الميدان طريقٌ مليءٌ بالبلايا، فبالرغم من قسوة المعركة ووعورة المسير، هناك عقباتٌ أخرى، قد تكون من قَبيل المخمصة والعطش وأوامر لا توافق الهوى، وهذا ما تُقرِّره الآيات، وكلُّ هذه الاختبارات وظيفتها تهيئةُ النفوس وإعدادها، فعلى مثل هذا فلتُوطِّن النَّفْسَ أيها المجاهد.

ب- فرقٌ كبير بين المؤمن الذي حرقته نار البلاء، وبين المؤمن الذي يتقلب في السَّراء والنَّعيم، فأهل النعيم تعلَّموا الإيمان نظرياً ثم خرجوا لطريق الجهاد، لكنَّهم مع أول اختبارٍ قالوا: ﴿قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾**، أما أهل الآخرة فقالوا:** ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

ج- لا يصبر على شدَّة البلايا وطول البلاء إلا أهلُ الآخرة، الذين يعتقدون أنَّهم يسيرون إلى الله بقلوبهم وهِمَّتهم، لا بأقدامهم وأبدانهم.

3- قال تعالى: ﴿وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ٤٦ فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ﴾ **[إبراهيم: 46-47].**

سورةُ إبراهيم سورة الفتوحات، عاهدتُ ربِّي أن أتلوَها وأنا في طريقي لغزوةٍ مباركة، ففتح الله بالفتوحات الكثيرة، أمَّا ما يعنينا في تدبر هذه الآية أنَّ مكر اليهود وأعوانهم في هذه المعركة قد بلغ ذروته، ومكروا بنا مكراً يُذيب الجبال، لكنَّ الله ﷻ يبشِّر أهلَ الإيمان أنَّ المكر إذا بلغ مبلغاً عظيماً وأذاب مكرُهم الجبال، عندئذٍ فلا تحسبنَّ الله مُخلفَ وعدِه رسلَه، فهذه الفاء في (فلاتحسبن) شافيةٌ للصدور، وهي أحبُّ إليّ من الدنيا وما فيها.



4- قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ٣١ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ﴾ [سبأ: 31-32].

لم أجد في كتاب الله مشهداً كهذا المشهد يصف حالَ المتقاعسين عن النصرة، والذين يُوهمون أنفسهم أنَّهم مقهورون وغيرُ مؤاخذين بسبب تسلُّط الحُكَّام عليهم!!.

تَخيَّل المشهد كالتالي: يجمعُ الله الشعوب مع الحكام، وكلُّهم موقوفون عند ربهم، يتراشقون الأقوال، كلٌّ يتَّهم الآخر أنَّه مُقصر، تقول الشعوب (الذين استضعفوا) للحُكَّام (الذين استكبروا): أنتم السبب في تقاعسنا عن نصرة إخواننا، أنتم الحاجز بيننا وبين نصرة إخواننا، وهكذا يُلقون باللَّوم على الحُكَّام الطُّغاة!، فيردُّ عليهم الحُكَّام الظلمة: لا علاقة لنا بتقصيركم، أنتم مجرمون بطبعكم وإرادتكم، ومشاركون في الظلم والإجرام باختياركم!، ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾، أي ففي هذا اليوم لا تنفع كل هؤلاء الظلمة معاذيرُهم عمَّا فعلوا.

5- قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران:179].

إنَّ الآية تُشعرك أنَّ الذي نحن عليه كأُمَّة اليوم لا يُرضي الله، إنَّ الذي كنَّا عليه هو علاقاتٌ وخطط تطبيعٍ بالليل والنهار، إنَّ الذي كنَّا عليه هو تقصيرٌ في شُعب الإيمان، فالمنابر لا تتحدث عن النهي عن المنكر إلا ما رحم ربي، والحفلات الماجنة تصدح في أرض جزيرة العرب، وقد هجر الخطباءُ الحديثَ عن الإعداد والجهاد على منبر رسول الله ﷺ، إنَّ الذي نحن عليه هو

اتفاقياتٌ تنصُّ على بيع المُقدَّسات وحصار المجاهدين، وغفلةٍ عن المطالب العالية، إنَّ الذي نحن عليه هو لهوٌ ولعبٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بيننا وتكاثرٌ في الأموال والأولاد، لذلك ما كان الله ليذرنا على ما نحن عليه، وكان لا بُدَّ من أمرٍ من عنده يميز الخبيثَ من الطيب.

6- قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ﴾ [النساء: 77].

قرأتُ في كتاب الله تعالى عن الفُتُور والقعود، وشاهدتُ أعذار أهل الكسل، فمنهم من يقول: ائذن لي بالقعود ولا تدعني أفتن بنساء العدو الجميلات، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: 49]، ومنهم من يقول: إنَّ بيوتنا عورةٌ، ولا يوجد فيها رجال، فائذن لنا بالقعود، ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: 13]، ومنهم من يقول: هل تأذن لي بالخروج للجهاد؟! ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: 45]، ومنهم مَن إذا خرجوا في الصف فلا يزيدونه إلا ضعفاً وترددا، ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: 47]، ومنهم من يترك الإعداد لأنَّه لا ينوي أن يجاهد أصلاً ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: 46]،

ومنهم من إذا ذُكر القتال اشمأزَّ قلبُه وتنغصت حياتُه ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [محمد: 20]، ومنهم من يخرج متثاقلاً كسولاً ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ [النساء: 72]، ولكن من أعجب ما وقفتُ عليه في كتاب الله طائفةٌ تقول: ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ﴾ [النساء: 77]، وقد قيلت في هذه



الجولة على ألسنة كثير من المسلمين، لماذا القتال؟! لماذا الجهاد؟!.

7- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: 34].

إنَّ سنة الله تعالى تجري على الناس جميعاً، على الأنبياء وعلى عموم الناس، ولقد كنتُ أحزن كثيراً لأجل الجِراح الكثيرة والمُصاب الذي أصابنا، فافترشتُ سجادتي وأجرى الله على لساني سورة الأنعام، فاستوقفتني هذه الآية، وتأملتُ فيها وتيقنتُ أنَّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، فالأنبياء قد كُذبوا وأصابهم الأذى قبلنا!، نعم أصابهم أذىً في الجسد والمال والأهل، واستمر نزول الأذى عليهم، إلى متى؟!، إلى أن جاءهم نصرنا... هذه سنة الله في خلقه، وهكذا يُعامل الله عباده، أنبياءهم ثم الأمثل فالأمثل، هذه كلمات الله ولا مبدل لكلمات الله، فاثبُت وتصبَّر.

8- قال تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [النمل: 79].

لِيَكُن على الله اعتمادُك، ولا يهولنّك ما يجري من جراحٍ وأذى، فإنَّما ذلك كلّه بإذنٍ من الله، ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 166]، وإنك لعلى حقٍّ وضياء وصدقٍ، وهم على شكٍّ وظُلمة شركٍ، فتَوَكَّل عَلَى الله، وَلا تلْتَفِتَ إِلَى أَعْدَاءِ اللَّه، وَاشْرَعَ في تَمْشِيَةِ مُهِمَّاتِ الرِّسَالَةِ ومدافعة الباطل بِقَلْبٍ قَوِيٍّ، فالمُحقُّ حقيقٌ بالنُّصرة.



9- قال تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الأنفال: 5-6].

النفوس التَّقية ليست معصومةً من الخطأ، وعلى المجاهدين أن يعذروا بعضهم إذا كانوا في الجهاد، فمن الطبيعي أن يصدر من ألسنة المؤمنين بعض ما يختلج في الصدور من هموم، فها هي سورة الأنفال تصف حال الصحابة الكرام ﷺ، فقد خرج فريقٌ منهم للقتال وهم كارهون، بل ويُجادلون قائد المعركة ﷺ في الأمر بعد ما تبين، وهذا ليس مُستغرباً من النفس البشرية، ولم أسق هذا الباب لأجد الذريعة لمن يقعد عن الجهاد ويخذل المجاهدين، بل لِيَعذُرَ المجاهدون بعضهم بعضاً في حال صدرت هذه الألفاظ من بعض المجاهدين في ميدان المعركة، فالقرآن قد قرَّر أنهم مؤمنون (فريقاً من المؤمنين)، وليس (فريقاً من المنافقين)، فاللهم ألهمنا رشدنا، وأعذنا من شرور أنفسنا.

10- قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: 37].

تأمَّلتُ كثيراً في هذا الأمر، لِمَ يستغرق الحديث عن فكرة أو ظاهرة التبني صفحتين كاملتين تقريباً في سورة الأحزاب؟!، وما علاقة قضية التبني بمعركةٍ فاصلةٍ من معارك الإسلام؟!، ومع طول التأمل هُديت إلى ما يلي:

أولاً: إنَّ السُّور التي سُمِّيت باسم الغزوات أو ذُكرت فيها الغزوات[1] ذُكر فيها أيضاً ملابساتٌ تتعلق بأحداث الغزوة، ففي غزوة الأحزاب حصل طمع أزواج النبي ﷺ في غنائم بني قريظة، فاشتملت السورة على رسائل لنساء النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ

(1) غزوة أحد في آل عمران، غزوة تبوك في التوبة، غزوة بني النضير في الحشر، غزوة الحديبية في الفتح.



﴿تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 28 – 29]، وفي غزوة الأحزاب أيضاً سعى بعض اليهود لتتبع عورات المسلمات[1]، فانهمرت أحكام الستر والحجاب في السورة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: 59].

ثانياً: كانت النقطة السابقة هي التي فتحت البحث عن علاقة ذِكر قضية التبني بسورة الأحزاب، فأقول والله أعلم: أنَّ الله ﷻ إذا ما أنشأ الصراع بين الحق والباطل، فمن مقاصد ذلك إبطال الباطل وإحقاق الحق، وقد يُمرِّر الله هذا الأمر من خلال الأولياء أوالسفهاء، فليس مدار النظر إلى الجهة التي وقع عليها البلاء، بل إلى تمرير سنة التدافع وإزهاق الباطل، وحتى يزداد الكلام وضوحاً أقول: إنَّ مشروع التبني مشروعٌ يريدُ الإسلامُ أن يُبطله، وأن يُظهر للكل بمن فيهم نبي الأمة ﷺ، ألَّا تبنِّي في الإسلام، وهنا سيحدث خطبٌ جللٌ في المجتمع، حيث أنَّ زيد بن حارثة رضي الله عنه كان دَعيَّ النبي ﷺ، وكان يُدعى زيد بن محمد، واستفاض بين الناس هذا الأمر، وصار مُتعوَداً عليه وغير مُستَهجَن، وكَبُر زيدٌ وتزوج من زينب بنت جحش رضي الله عنها، وفجأةً يأتي أمرٌ إلهيٌّ يُخلخل عادات النظام الجاهلي، فيأمر محمداً ﷺ، أن يتزوج زوجة زيد!، يا لصعوبة الموقف، وما أشدَّ الحرج فيه، كيف سيتزوج النبي زوجة ولده في نظر الناس؟!، كيف سيتقبل المجتمع هذا الأمر؟!، كل هذه التفاصيل غير معتبرة في ميزان السنن.

---

(1) أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْخَنْدَقِ جَعَلَ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ فِي أُطُم، وَكَانَ مَعَهُمْ حَسَّانُ بْنَ ثَابِتٍ رضي الله عنه، فَمَرَّ بِنَا رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ، فَجَعَلَ يُطِيفُ بِالْحِصْنِ، وَقَدْ حَارَبَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ، وَقَطَعَتْ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَيْسَ بَيْنَنَا أَحَدٌ يَدْفَعُ عَنَّا، ورَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ فِي نُحُورِ عَدُوِّهِمْ، لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَنْصَرِفُوا عَنْهُمْ إِلَيْنَا إِنْ أَتَانَا آتٍ، فَقُلْتُ: يَا حَسَّانُ! إِنَّ هَذَا الْيَهُودِيَّ كَمَا تَرَى يَطِيفُ بِالْحِصْنِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُهُ أَنْ يَدُلَّ عَلَى عَوْرَتِنَا مَنْ وَرَاءَنَا مِنْ يَهُودَ.

الحقيقة أنني أستشعر الحالة النفسية لرسول الله ﷺ لَمَّا نزل عليه هذا الأمر الإلهي، إنَّ إحقاق الحق وتنفيذ أمر الله في هذه المسألة سوف يُودي بامرأةٍ لأن تكون مُطلَّقة، وسُيصبح زيد عازباً بعدما كان متزوجاً مستقراً، وستنفصل علاقة رجلٍ بامرأة، وسيخرب بيتٌ بكامله، .... نعم كل هذا سيحصل لأجل أن يُمرِّر الله الحق ويبطل الباطل، ماذا عن المرأة التي كُسر خاطرها؟!، والرجل الذي فقد زوجته، والأطفال الذين فقدوا عائلتهم، والحنان الذي ذهب وترك فراغاً مكانه؟!، ماذا عن كل هذا؟!، الإجابة: ليس لك من الأمر شيء، أنت عليك أن تخشى الله وتلتزم أمره، سبحان الله العظيم الذي خلق كلَّ شيءٍ بقَدَر، لذلك ذُكرتْ قضية التبني في غزوة الأحزاب، ليُقرَّر أنَّ الله إذا أراد أن يُمرِّر سُننه فسوف يُمررها ويحق الحق ويبطل الباطل، ولو كان ذلك من خلال الأنبياء والأولياء، وما كان لهم أن يكون لهم الخِيرة من أمرهم.

استحضرتُ في خضم هذه المعركة التي نخوضها مشاريعَ أهل الباطل بدلا من قضية (التبني)، مثلاً مشروع التطبيع مع الصهاينة، وفكرة استقلال الدول العربية وأنها تملك أمرها، إلى غير ذلك مما لا بد أن يظهر للناس جميعاً أنَّه وهمٌ وباطل!، وحَسِبْتُ أنَّ الله ﷻ يُمرِّر سنَّة إبطال الباطل عن طريق دمائنا وبيوتنا ومُهجنا، ونحن نقول: رضينا يا رب فارض عنَّا، رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً.

ما أشق هذه المصارحات على النفوس، ورحم الله الإمام الحسن البصري حيث يقول عن آية الأحزاب هذه: «ما أُنزلت على النبي ﷺ آيةٌ كانت أشدَّ عليه منها، ولو كان نبي الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لكتمها!»[1]، لذلك جاء ذِكر إلغاء قضية التبني في الحديث عن حرب الأحزاب، فتدبَّر!.

---

(1) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (20/ 273).



وبعد أن عرفت ما سبق اقرأ الآن هذه الآيات بتدبر: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب:36-40].

11- قال تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[آل عمران: 141].

إنَّ زيادة التمحيص إلى حدٍّ كبيرٍ هي طريقٌ لمحق الكافر وهلاكه، وكلّما زاد التمحيص والأذى كلَّما اقترب فناء الباطل، والمعنى أنَّ الله لن يُهلك الكافر إلا بعد أن يبلونا ويُمحِّصنا، وقد أَضْفتْ سورة الأنفال وضوحاً على هذه السُّنة، فقد قرر الله أن هلاك الكافرين وقطع دابرهم لا يكون إلا بعد إحقاق الحق وإبطال الباطل، فقال تعالى: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال:7].

وهذه الآية ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ جاءتْ تعقيباً على جراح يوم أحد، فما حلَّ بكم من قرحٍ فإنما هو لتمحيص المؤمنين وإهلاك الكافرين، وسنةٌ من سنن الله في كونه يعرفها الصالحون وغيرهم، كما قال هرقل لأبي سفيان في حديث البخاري: «وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى وَتَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ»[1].

(1) صحيح البخاري، حديث رقم 4553.

12- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: 156].

لا تكونوا كالذين كفروا، فإنَّ إرادتهم سقيمة ونيَّاتهم ضعيفة، بل ويقودهم الهوى ويتملَّكهم الفتور، والمُلفِتُ في الآية أنَّ الله قد عقَّب قبل الختام بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾، وموقع هذا التعليق واضحٌ، لأنَّ الذي كُتب عليه الموت سيموت ولو كان في فراشه، وأن الذي لم يُقدَّر له الموت سيحيا ولو خاض غمار الغزوات، هذا جليٌّ، لكنَّني أُلمح لمعنىً آخر، وهو أنَّ من يُردِّد هذا الكلام قد عوقب بفقد حياة القلب، لذلك قال الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾، فمن تعوَّد أن يتلهف على ماضيه، أو يتعلَّق بمستقبله الفاني، فأقلُّ عقوبةٍ له، امتحاءُ نعتِ الحياة عن قلبه، وضيقُ قلبه في أودية الهموم، لغفلته وقالته:لو كانوا عندنا ما ماتوا....

إنَّ بذل الروح لله وفي سبيل الله خيرٌ من الحياة بغير الله، وما يُؤْثره العبدُ على الله فغيرُ مباركٍ فيه، وإذا كان المصير إلى الله طاب المسير.

13- قال تعالى: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: 8-9].

غالب السُّور القرآنية التي تحدثت عن الغزوات اشتملتْ على حديثٍ لا بأس به عن الأخلاق، فسورة آل عمران وهي تُفصِّل في أحداث غزوة أحد ذكرتْ أخلاق المسارعة إلى التوبة وحرمة الغلول وترك البخل والعُجب، وسورة الأنفال وهي تُفصِّل في أحداث غزوة بدر ذكرتْ



أخلاق التواضع ونسبة الفضل لله، وحذَّرتهم من التنازع على الغنيمة، وسورة الأحزاب ذكرتْ أخلاق الستر والحجاب وبعض آداب المرافقة، وسورة الحشر وهي تشير إلى أحداث غزوة بني النضير ذكرتْ أخلاق نفع الآخرين والإيثار وترك الشح... إلخ،

فقلتُ في نفسي: أتُذكرُ الأخلاق في سياق الحديث عن المعارك والحروب؟، ما فائدتها، وما أثرها؟!، والجواب الذي نطقتْ به جوارحي: أنَّ الإسلام لم يكن ليُعطينا نصراً، ثمَّ يتركنا سيئي الأخلاق!، لذلك حريٌّ بهذه الأخلاق أن يُوصف بها الفاتحون.

14- قال تعالى: ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ [النمل: 47].

حقَّق المجاهدون نصراً في جولاتٍ سابقة مع العدو الصهيوني، كما حصل في انسحاب العدو من غزة عام 2005م، وكذلك إفشال أهداف العدو في عام 2008م و 2014م، وكذلك النجاح الأمني في تأمين الأسير جلعاد شاليط وعقد صفقة تبادل مشّرفة، ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡ﴾، ففي كلِّ محطةٍ من تلك المحطات كان المترددون والمُرجفون في المدينة يُردِّدون: نحن أهلٌ لهذه الكرامات، وقد نلنا هذه الغلبة بفضلنا، ولكنْ لما اشتدَّ بنا البأس وأُوذيت المقاومة، وضعفت قدراتها القتالية، رأيناهم يتطيرون بالمقاومة، ويقولون: إنَّ ما أصابنا بشؤم المقاومة، وينسبون النقص لها، وما أشبه آفات أولئك المرجفين بآفات بني إسرائيل الذين قال عنهم القرآن: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: 131]، قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «يُرِيدُ بِالْحَسَنَةِ الْعُشْبَ وَالْخصبَ وَالثِّمارَ وَالْمَوَاشِي وَالسَّعَةَ في الرزق والعافية والسلامة، وقالوا لنا هذهِ، أَيْ نَحْنُ مُسْتَحِقُّونَ لها، وَقَوْلُهُ: وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يُرِيدُ الْقَحْطَ وَالْجَدْبَ وَالْمَرَضَ وَالضُّرَّ وَالْبَلَاءَ، يَطَّيَّرُوا بِمُوسى وَمَنْ مَعَهُ، أَيْ يَتَشَاءَمُوا بِهِ، وَيَقُولُوا إِنَّمَا أَصَابَنَا هَذَا الشَّرُّ بِشُؤْمِ مُوسَى وَقَوْمِهِ»[1].

---

(1) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (14/ 344).

وخُتمتْ الآية بتقرير الحقيقة والصواب، ألا وهو: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾، أي: قضاؤهم وقدرهم عند الله، والله هو المتفرد بجلب الخير ودفع الضر، ولكنَّ بصائرهم مسدودة، وعقولهم عن شهود الحقيقة مصدودة، وأفهامهم عن إدراك المعاني مردودة.

15- قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾ [يونس: 61].

قال المفسرون: (وما تكون في شأن) أي في أمرٍ من عظائم الأمور، (وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ) أَيْ وَمَا تَتْلُو مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الشَّأْنِ مِنْ قُرْآنٍ أُنْزِلَ عَلَيْكَ، لتدير شؤون المؤمنين، في الدعوة ونشر رسالتك[1].

من خلال الآية أخالُ أن النبي ﷺ كان يطوف على الجنود يتلو عليهم القرآن، ويوجههم بتوجيهاته، ويسير بين العساكر يرصُّ صفوفهم، ويشدُّ عزائمهم، ويرفع همَّتهم، وينذرهم ويبشِّرهم بالقرآن، فالنبيُّ ﷺ يستزيدُ من غيث القرآن، وبعدها يُفيض على الصحابة المجاهدين بما عنده من نور القرآن.

اللهَ اللهَ فيما يفعله القرآن في قلوب المجاهدين، إنَّ أحد الإخوة بيننا من أصحاب الأصوات الندية لو استهل ب «بسم الله الرحمن الرحيم» انخفض كلُّ الضجيج، وعلا صوت القرآن فوق كل صوت، إنَّها الأمان، إنَّها «بسم الله الرحمن الرحيم»، كلمةٌ سماعُها يُوجب شفاءَ كلِّ عابدٍ، وضياءَ كلِّ قاصدٍ، وعزاءَ كلِّ فاقدٍ، وهدوءَ كلِّ خائفٍ، وأمانَ كلِّ تائبٍ، وبيانَ كلِّ طالبٍ،

(1) انظر: معاني القرآن للزجاج (26/3)، والتفسير الوسيط (109/4)، وأيسر التفاسير (485/3)، وزهرة التفاسير(360/7).

قلوبُ العارفين لا تفرح إلا بسماع بسم الله، وكروبُ الخائفين لا تبرح إلا عند سماع بسم الله... هذه بعضُ آثار البسملة بين الجنود، فما ظنُّكم بالسبع الطوال والمئين والمثاني والمُفصَّل إذا رتَّلها المجاهدون؟!، عندئذ لا نرى مع الله أحداً.

16- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[القصص: 85].

نزلت سورة القَصَص على النبي ﷺ وهو في طريق الهجرة إلى المدينة، ولو تأمَّل القارئ السورة واستحضر حالة النبي ﷺ، لخرج بعوائدَ إيمانيةٍ ويقينيةٍ عظيمة، ومن الجميل أن تعلم نهاية الطريق قبل أن تسلكه، فالنبي ﷺ يخرج من مكة ليس له مأوى ولا جيش ولا مؤنة، سيذهب للمدينة ليبدأ من جديد بناء دولة جديدة، لكنَّه كان على يقينٍ أنه سيُفلح في مشروعه، لأنَّ الله وعده وهو في طريق الهجرة أنه سيعود إلى مكة، قال أهل التفسير في قَوْلِهِ تعالى: (لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) أي إِلَى مَوْلِدِكَ بِمَكَّةَ[1].

لقد هُجِّرنا من أرضنا، وكنتُ على يقين أنَّ الظالمين لا دوام لهم في أرض الخير، وأنهم معاقَبون لا محالة، واستحضرتُ عندئذ آيتين:

الأولى/ قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء: 76]، ومعناها لا يمكثون بعدك إلا قليلاً، وفي قراءة متواترة لا يلبثون (خلفك) إلا قليلاً[2]، وقد ظننتُ بسبب كاف المخاطب أنَّ الكلام مُوجَّهٌ للنبي ﷺ فقط، لكنْ أعلمتني الآيةُ التي بعدها أنَّ هذه سنةٌ كونيةٌ للصالحين في كل زمانٍ ومكان، فقال تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء:77].

(1) تفسير ابن أبي حاتم (9/ 326).
(2) اخْتَلَفُوا فِي (خِلَافَكَ)، فَقَرَأَ الْمَدَنِيَّانِ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَأَبُو بَكْرٍ (خَلْفَكَ) بِفَتْحِ الْخَاءِ وَإِسْكَانِ اللَّامِ مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ. النشر في القراءات العشر (2/ 308).

الثانية/قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: 100][1].

والمعنى: أو لم يتبين ويتّضح للناس الذين يَخْلُفون غيرَهم في سكنى الأرض ووراثتها بعد إهلاك الأقوام الآخرين قبلهم: أنَّ الله لو شاء أصابهم وعذّبهم بذنوبهم وأعمالهم السيئة، كما عذّب أمثالهم ممن قبلهم، فإنْ لم يهلكهم الله بعذاب الاستئصال ختم على قلوبهم أو طبع عليها، فلم تعد تسمع الموعظة والتذكير سماع تدبُّرٍ وقبول، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2].

17- قال تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: 86-88].

هذه آياتٌ مُوجَّهةٌ للنبي ﷺ أصالةً، وأحسبُ أنَّ شدة اللهجة في الآيات لكي تُوجِّه الأمة طاقتها نحو الحق بقوة، وحتى لا يَضلَّ أهل الحق في أَزِقَّة الباطل وموالاته ومظاهرته، ويحزنُني أنَّ هناك متدينين لم يُشرِّفوا الإيمان بسلوكهم، ولم يُحقِّقوا العدالة التي أُمروا بإقامتها، ولم يدافعوا عن الحق الذي أُمروا بنصرته، واكتفوا برفع شعار التوحيد نظرياً فقط، وهذا من الإرجاء الشائع من أمدٍ بين جماهير المسلمين، حيث يرى الكثيرون أنَّ العمل نافلة، ومادام المرء مؤمناً بالله فهو ناجٍ مهما فرَّط أو قصَّر!، وقد هدَّ هذا الفكر دولة الإسلام من قرون، والحقُّ أنَّه لن تعود للمسلمين حضارتُهم الأولى إلَّا بالإيمان والعمل معًا.

---

(1) {لا يَسْمَعُونَ}: أي لا يقبلون، ومنه سمع الله لمن حمده... تفسير العز بن عبد السلام (1/ 494).

(2) مستفاد من التفسير الوسيط للزحيلي (1/ 699).



18- قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: 139].

سورة آل عمران تسليةٌ للقلوب الموجوعة، واسمع ما يقوله الإمام الرازي رحمه الله في تفسير هذه الآية: «وَلا تَهِنوا وَلا تَحْزَنوا، كَأَنَّهُ قَالَ: إِذَا بَحَثْتُم عَنْ أَحْوَالِ الْقُرونِ الْمَاضِيَةِ عَلِمْتُم أَنَّ أَهْلَ الْبَاطِلِ وَإِنِ اتَّفَقَتْ لَهُمُ الصَّوْلَةُ، لَكِنْ كَانَ مَآلُ الْأَمْرِ إِلَى الضَّعْفِ وَالْفُتُورِ، وَصَارَتْ دَوْلَةُ أَهْلِ الْحَقِّ عَالِيَةً، وَصَوْلَةُ أَهْلِ الْبَاطِلِ مُنْدَرِسَةً، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَصِيرَ صَوْلَةُ الْكُفَّارِ عَلَيْكُمْ يَوْمَ أُحُدٍ سَبَبًا لِضَعْفِ قَلْبِكُمْ وَلِجُبْنِكُمْ وَعَجْزِكُمْ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يَقْوَى قَلْبُكُمْ، فَإِنَّ الِاسْتِعْلَاءَ سَيَحْصُلُ لَكُمْ وَالْقُوَّةُ وَالدَّوْلَةُ رَاجِعَةٌ إِلَيْكُمْ، (وَلا تَهِنوا): أَيْلا تَضْعُفُوا عَنِ الْجِهَادِ، (وَلا تَحْزَنوا) أَيْ عَلَى مَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ أَوْ جُرِحَ»[1].

فإن قلتَ لماذا ينهانا القرآن عن الوهن والحزن؟، قلتُ -مستعينا بالله- لثلاثة أسباب:

الأول: لأنَّنا أَصبنا منهم أكثر ما أصابوا منا، ففي يوم السابع من أكتوبر سقطتْ نظرية الردع والدفاع، وفي أحداث المعركة سقطتْ نظرية الحسم، ولا يخفى على عاقلٍ أنَّ إسرائيل قد قامت على وعدين: الأمن، الرخاء الاقتصادي ومعركتُنا هذه قد أطاحت بالوعدين!.

الثاني: أنَّ قتالنا لأجل الله ولدفع الظلم، وقتالهم بَطَراً ورئاء الناس وإثباتاً لمكانتهم في المنطقة[2]، وهذا يُوجب أنَّنا أعلى منهم قدراً وقيمةً.

الثَّالث: لأنَّكم الأعلون من حيث أنَّ العاقبة لكم، وأنَّ هذه الأرض التي تعمَّد اليهود قصف وتدمير وتخريب مساجدها، ما كان لهم أن يدخلوها بعد ذلك إلا خائفين، ولن يكون لهم فيها موطِنٌ ولا وطنٌ ولا مستوطنات، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ

(1) تفسير الرازي= مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير(371/9).

(2) خروج العدو الإسرائيلي للقتال كان بطراً، وليثبت أنَّه السيدُ في المنطقة، إنَّه تماماً ما عبَّر عنه أبو جهل يوم بدر: «والله لا نرجع حتى نَرِدَ بدراً وتَسْمَعُ بِنَا الْعَرَبُ وَبِمَسِيرِنَا، فَنُقِيمُ ثَلَاثًا عَلَى بَدْرٍ نَنْحَرُ الْجُزُرَ، وَنُطْعِمُ الطّعَامَ، وَنَشْرَبُ الْخَمْرَ، وَتَعْزِفُ الْقِيَانُ عَلَيْنَا، فَلَنْ تَزَالَ الْعَرَبُ تَهَابُنَا أَبَدًا»، فكان هلاكه في ذلك.

وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [البقرة: 114].

19- قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ ﴾ [الحج: 78].

غالباً ما كنتُ أحمدُ اللهَ تعالى على وضوح راية الجهاد في غزة المباركة، والتعبد لله بعبادة الجهاد والرباط، فقلتُ مرةً: لقد جاهدنا جهاداً شاقاً جداً، فبرزتْ هذه الآية أمام عيني ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾، فقلتُ: هل حقَّقنا ذلك يا تُرى؟!، ربَّما بخلنا أحياناً فادّخرنا محبوباتنا عن الله، أو تضجرنا من طول المُكث في الثُّغور، أو غفلنا عن جهاد القلب وصيانته، هل جاهدنا بالمال والإيثار؟!.

إلهُنا العظيم يستحقُّ أن نُجاهد فيه حقَّ الجهاد، لأنَّه (اجتبانا)، ومن حقِّه علينا أن نُعظِّم أمره، ولولا أنَّه اجتبانا لما جاهدنا، فلاجتبائه إيَّانا وُفِّقنا للجهاد!.

ومع مزيد التأمُّل في الآية قلتُ: لقد علمَ الله ما كنتُ سأفعله من جناياتٍ قبل أن يخلقني، ومع ذلك اجتباني للجهاد....، ربِّ إنِّي أدعوك وأرجوك: كما اجتبيتني للجهاد وتجاوزت عن جناياتي... مولاي إذا لقيتُك فتجاوز عن خطيئاتي وزلاتي وغدراتي، إنَّك بكلِّ جميلٍ كفيل، وأنت حسبي ونعم الوكيل.

20- قال تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: 272].

كثيراً ما تساءلتُ خلال هذه الحرب: هل يُعقل أنَّ أمَّة الإسلام لا تتحرك لمصابنا؟!، ألم يُحرِّكها جوع الأطفال؟!، ألم يُحرِّكها دماء 60 ألف مسلم؟!، ألم يُحرِّكها مرضى السرطان؟!،



ألم يُحرِّكها قتلُ النساء؟!، ناهيك عن اغتيال قادة الجهاد العاملين....، هل خُتم على قلوبهم؟!، هل الأمة خُدِّرتْ إلى هذا الحد؟!، شَكْلُ الأجيال القادمة في مُخيِّلتي سيكون شيئاً صعباً إذا استمر الصمتُ بهذه الشاكلة....، على كل حال كان هذا يُمزِّق قلبي حتى وقفتُ متدبراً على آيةٍ أثناء سرد سورة الخلافة (البقرة)، مفادها: أنَّ هداية قلوب القوم ليست على هواك ومرادك، بل هذا بأمر الله، فالزم طريق دعوة الناس وأدِّ واجبك، وليس عليك النتائج، وكأن الله يقول: (أنتَ الداعي وأنا الهادي)!.

ثم يقول الله تعالى: (وما تنفقوا من خيرٍ فلأنفسكم)، استحضرتُ الشرفاء الذين ساندوا أهل غزة بالنفقات والصدقات، وليعلم أولئك أنَّ المُنفِق ينفع نفسه أولاً في الدنيا، لأنَّ النفقة على عيال الله تفتح له خزائن المَلِك عزَّ وجل، وفي الآخرة ثانياً بأنه يجدُ نفقته تُضاعف له وتربو، قال تعالى ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾[الروم: 39].

الخلاصة: من استبصر بوظيفته التي كُلِّف بها ربح رُشْد نفسه، ومن ضلَّ عما كُلِّف به فقد زاغ عن قصده، والهداية من الله، فلا تذهب نفسُك عليهم حسرات، وكما قال بعض أهل الحكمة: ثواب المطيعين إليهم مصروف، وعذاب العاصين عليهم موقوف!.

21- قال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[البقرة:217].

هذه الآية قاعدةٌ سويةٌ في التعامل مع أخطاء المجاهدين، ويحسن بك أن تَطَّلع على سبب النزول لتعلم ذلك، فعَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: «أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ رسول الله ﷺ بَعَثَ سَرِيَّةً

مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللهِ ابن جَحْشٍ الْأَسَدِيَّ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى هَبَطُوا نَخْلَةَ، فَوَجَدُوا بِهَا عَمْرَو بْنَ الْحَضْرَمِيِّ فِي عِيرِ تِجَارَةٍ لِقُرَيْشٍ فِي يَوْمٍ بَقِيَ مِنَ الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَاخْتَصَمَ الْمُسْلِمُونَ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: هَذِهِ غِرَّةٌ مِنْ عَدُوٍّ، وَغُنْمٌ رُزِقْتُمُوهُ، وَلَا نَدْرِي أَمِنَ الشَّهْرِ الْحَرَامِ هَذَا الْيَوْمُ أَمْ لَا، وَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: لَا نَعْلَمُ الْيَوْمَ إِلَّا مِنَ الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَلَا نَرَى أَنْ تَسْتَحِلُّوهُ لِطَمَعٍ أَشْفَيْتُمْ عَلَيْهِ، فَغَلَبَ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا، فَشَدُّوا عَلَى ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ فَقَتَلُوهُ، وَغَنِمُوا عِيرَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ كُفَّارَ قُرَيْشٍ، وَكَانَ ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ أَوَّلَ قَتِيلٍ قُتِلَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، فَرَكِبَ وَفْدُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ حَتَّى قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ، فَقَالُوا: أَتُحِلُّ القتال في الشهر الحرام؟ فنزلت الآية»[1].

قال الإمام البيهقي في تعليقه على هذه الآية: «فَحَدَّثَهُمُ اللهُ فِي كِتَابِهِ: أَنَّ الْقِتَالَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ حَرَامٌ كَمَا كَانَ، وَإِنَّ الَّذِي يَسْتَحِلُّونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ: مِنْ صَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ حِينَ يَسْجُنُونَهُمْ وَيُعَذِّبُونَهُمْ وَيَحْبِسُونَهُمْ أَنْ يُهَاجِرُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكُفْرِهِمْ بِاللهِ، وَصَدِّهِمُ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَالصَّلَاةِ فِيهِ، وَإِخْرَاجِهِمْ أَهْلَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَهُمْ سُكَّانُهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَفِتْنَتِهِمْ إِيَّاهُمْ عَنِ الدِّينِ»[2].

إنَّ الذي حصل في هذه الحادثة مشابهٌ لما رُوِّج في بداية معركة طوفان الأقصى من أنَّ المقاومة قد قتلت الأطفال وحرقتهم، وقطَّعت النساء إلى قطع، كما قال الكاذب بلينكن، وطبعًا لم يحدث شيء مما سبق، بل كان هذا تزويرا وتلفيقا وسبيلاً لتبرير الإجرام الصهيوني في غزة[3].

---

(1) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي (1/603).

(2) دلائل النبوة للبيهقي (3/ 18).

(3) ينظر: مقطع مصور نشرته كتائب القسام لمجاهدي هجوم السابع من أكتوبر حين كان أحد المجاهدين يلاعب أطفال اليهود الصغار، وكذلك مقاطع التعامل مع أسرى العدو الصغار والنساء، وينظر للأهمية: وثائقي بعنوان: تحقيقات الجزيرة عن قضايا اغتصاب النساء التي اتُهمت بها المقاومة.



ولكن من باب التنزُّل في الحوار، هب أنَّ بعض المجاهدين ممن لا فقه له قد صدر عنه مثل هذا الفعل، أقصد قتل الأطفال[1]، فهل هذا يكون مدعاةً لأنْ يتكلم البعض في بطلان طريق الجهاد؟، وهل نسينا ما يفعله العدو من إجرام منقطع النظير، في هذه المعركة وفيما سبقها من معارك، ففي عام 2008م قتل مئات الأطفال دفعةً واحدة في بداية المعركة بضربةٍ جويةٍ مدمرة؟، وهل مجزرة الطفلة هدى غالية، ومجزرة عائلة العثامنة والدلو كانت خيالاً؟!، لقد شاهد جيلنا هذه المجازر بعينيه، ولم نقرأ عنها كما قرأنا عن صبرا وشاتيلا....، وما حرقُ الطفل علي دوابشة كذلك عنَّا ببعيد!.

إنَّ الذي ينسى جرائم الصهاينة المُنهجة ويحدِّثُنا عن بعض الأخطاء الفردية للمجاهدين في قتل طفلٍ أو امرأة، هو تماماً كحال قريش حين راجعت النبي ﷺ في أنَّ أصحابه قتلوا رجلاً في الأشهر الحرم المعظمة!، فنزل القرآن يُدافع عن المظلوم، ويقول للظالم: كفاك تلاعباً بالعبارات، وكأن القرآن نزل يقول: إنَّكِ يا قريش صددتِ الناس عن الله، وكمَّمتِ الأفواه، ومارستِ الحبس والتعذيب على المستضعفين، وأخرجتم الناس من ديارهم، ومنعتموهم من الصلاة في المسجد الحرام، وفتنتم الناس في دينهم، وعلاوةً على ذلك كلّه كفركم بالله ﷻ، أغابتْ عنكم كلُّ هذه الجرائم والجنايات لتتعلقوا برجلٍ قتل رجلاً في يوم مشكوك فيه هل هو من الأشهر الحرم أم لا!، إنَّ الله لا يهدي القوم الظالمين.



(1) أما اغتصاب النساء فكذبةٌ محضةٌ روَّج لها الصهاينة، ولم يُسجِّل التاريخ حالة اغتصاب واحدة من مجاهدين فاتحين في تاريخ المسلمين.

صلاة الجماعة

تطغى الدنيا ومطالبُها على حياتنا الروحية وعلاقتنا مع الله، انظر مثلاً في حال ساسة العرب، وحفاظهم على الصلاة إلا من رحم ربي، يخرج البعض ليبحث عن لقمة العيش، فيُضيِّع الصلاة تلو الصلاة، وربما يجمع الصلوات الخمس معاً، بحجة أنَّه يريد أن يأكل ويشرب.

لقد استفزني أمر الاستهتار بالصلاة، وتذكرتُ إمام التوحيد إبراهيم -عليه السلام- يوم أن كان يبحث عن الطعام والشراب لأهله، لكنه لم يغفل عن قضية الصلاة ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم:37]، شاهدتُ من ينام عن صلاة الفجر، وشاهدتُ من كنتُ أسأله كلما لقيته هل صليت؟!، فيقول لا!، لم أتعجب لأنه لم يكن من أهل المساجد حقاً في أيام الرخاء.

اجتهدنا في مركز الإيواء لعمل مصلىً صغير، لا يتسع إلا لعشرين أو ثلاثين رجلاً فقط، ثمَّ وفَّقنا الله فكنا نصلي في ساحة المركز في العراء، ووجَّهنا النساء لكي يصلين الجماعة معنا، فعادت دماء الصلاة تجري في العروق المؤمنة بفضل الله، ومن خلال صلاة الجماعة تذاكرنا بفضل الله: (أحكام الوضوء، والتيمم، والمسح على الخفين، والصلاة، والفاتحة، والغُسل، والأُخوة والإيثار، وسائر الخلق مع الله والعباد...).

وبالتعاون مع أهل الفضل تمَّ عمل مصلىً كبير يتسع لجميع من في المركز، وخصَّصنا قسماً للنساء فيه، وتمَّ افتتاح حلقة تحفيظ للذكور وأخرى للإناث - بفضل الله وعونه-، فعقدنا فيه الدروس التي تعزز اليقين، إنَّه المسجد أكبر مؤسسةٍ في الإسلام[1].

---

(1) اغتاظ العدو من هذا المشهد فقام بقصف المكان بالطيران الحربي، ثم دخل بآلياته مرة أخرى وأحرق المكان وجرَّفه -أحرق الله قلوبهم وملأ بيوتهم وقبورهم عليهم نارا-.



بئرُ المدينة

السيرة النبوية هي مخرجٌ للأمة من كل أزمة، فلمَّا وصل النبيُّ ﷺ المدينة، كان على رأس الأعمال تأمينُ حاجة الناس للماء، فلقد كان الماء بيد اليهود، ولا يسقون أحداً منه قطرةً إلا بثمن، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: (مَن يَشتَري البِئرَ وَلَه الجنَّة)[1]، فاشتراه عثمان رضي الله عنه، جنةٌ مقابل البئر! أعلى ثمن في الإسلام كان لأجل البئر!

كانت قضية تأمين مياهٍ للشرب ومياهٍ للغسل عندنا عسيرةً جداً، لكنَّ الله يسَّرها، حيث كانت هناك محطة تحلية سليمة وسط كل أكوام الدمار والخراب، فيسَّر الله نقلها وتشغيلها بمعونة إخوة فضلاء، فلله الحمد والمِنَّة، فلم أتصور يوماً من قبل أن أصل لمرحلةٍ أفقد فيها شربة الماء!

يوم أن تمَّ نقل المحطة وخرج الماء اتصلتُ بالوالد وبشَّرتُه بذلك، فبكى من فرحه بالخير، لأنَّه هو الآخر قد اجتهد في عمل عين ماءٍ لسقيا الناس، عظيمةٌ واللهِ عبادة سقيا الماء، وقد سُئل النبي ﷺ: (أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: سَقْيُ الْمَاءِ)[2]، وقد صحَّ في الحديث أنَّ امرأةً سقتْ كلباً فشكر الله لها وغفر لها[3]، وجاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قوله: (مَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ فَعَلَيْهِ بِسَقْيِ الْمَاءِ)[4]، وروي عن بعضهم: (لَو نَزلَتْ المَلائِكةُ لِلأَرضِ لانشَغَلتْ بِسُقيا المَاءِ).

إنَّني وإن كنتُ لم أبذل ذلك الجهد في هذا الأمر، بل الفضل يُنسب لله وحده، ثم لمن اجتهد أكثر مني في نقلها وتركيبها، لكنَّني أرجو من الله أن يُسقيني بجهد المُقِل شراباً طهوراً يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، فأرتوي وأقرأ مبتسماً قوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾

---

(1) انظر الحديث بتمامه في صحيح البخاري، حديث رقم 7278، وسنن الترمذي، حديث رقم 3703.

(2) سنن النسائي، حديث رقم 3665، وسنن أبي داود، حديث رقم 1681.

(3) صحيح مسلم، حديث رقم 2245.

(4) انظر: تفسير القرطبي (215/7)، وتاريخ بغداد (400/6).



ثلاثون أخرى

لقد اقترب موعد رمضان!!، آهٍ ما أقسى البلاء وأشدَّه، رمضان العبادة والفرح والرَّحِم والزينة والتراويح والرِّزق، لا شيء من هذا نستطيع تحصيله.

لقد جاء رمضان ونحن في مخمصةٍ شديدة، أجسامُنا كانت هزيلة، غداً أول ليلةٍ من رمضان، ماذا سنتناول في وجبة السحور؟!، استبشر البعض أنَّ رمضان سيكون نهاية الجولة وستقف الحرب، لكنَّ شيئاً ما بداخلي، يقول:يا صاحِ هي ثلاثون أخرى للتربية والبلاء والتطهير.

ثبتَ هلال رمضان، هل أفرح أم أموت كمداً؟!، سأفرح بسم الله، سأجهِّز نفسي لصلاة التراويح، صلينا العشاء والسُّنة، وقلتُ: صلاة القيام أثابكم الله، خنقتني العَبَرات، لقد طافتْ ذكريات مسجدنا في ذاكرتي، لقد هدموا المسجد وهدموا آثاره.

آهٍ ما أحبَّ المسجد إلى قلبي!!، اللهم املأ قلوب اليهود ناراً كما شغلونا عن صلاة التراويح، كان الصوم مُتعباً جداً، فنحن نعمل طيلة اليوم في خدمة الناس وتوفير ما يلزم ومراقبة العدو وإمداد المجاهدين، وكان الطعام قليلاً وشحيحاً جداً، لكن تقرَّر لدينا ما قاله شيوخنا المجاهدون: (الصوم والجهاد توأمان لتحرير العباد والبلاد)[1].

حقَّاً كانت ثلاثين عظيمة، أصلحتْ القلوب، لن يضيع هذا الرمضان ولا حتى دعواته من ذاكرتي، سأتذاكر هذا في الجنة بإذن الله، حيث لا تُنسى لحظات الدعاء، ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور:28].

قال لي أحدهم: هذا أجمل رمضانٍ أقضيه في حياتي، لقد كانت آيات القرآن تفعل في القلب الكثير الكثير الكثير!!.

(1) مقال لشيخنا الدكتور: يونس الأسطل-حفظه الله وأمد في عمره بالصالحات وختم لنا وله بحسن الختام-.



كيف نستقبل رمضان

أين دعاة التجديد؟!، صدَّع رؤوسنا كثيرٌ من الدعاة على مواقع التواصل بضرورة تجديد الخطاب الديني!!، وهي كلمةُ حقٍّ لكنَّهم يريدون بها الباطل، لم أسمع للكثير منهم صوتاً في هذه المعركة، فقد جدَّد المجاهدون في طريقة الجهاد وسننه يوم السابع من أكتوبر، فلم يُعلِّق الكثير منهم بكلمة!!، كنتُ أنتظر منهم أن يُغيِّروا مضمون درسهم المستهلك: (كيف نستقبل رمضان)؟!، ليتوافق مع واجب الوقت والمرحلة، فبدل أن نستقبل رمضان بالزينة والعطور، فلنستقبله بالثورة على الظلم والظالمين، لم يفعلوا ذلك ولن يفعلوه ما داموا يعيشون بنفس المنهجية والعقلية والطريقة السائدة!!، ورضي الله عن المُلثَّم أبي عبيدة لمَّا قال: «لقد قدَّمنا قُرباناً لله، شلالاً من الدماء الزكية والأرواح الطاهرة».

لقد خُذِلنا كثيراً، خَذَلَنا الصائمون والمصلون!!، لكنَّ الله لا ولن يخذلنا، ربنا أنت الملاذ حين ينقطع بالعبد كلُّ ملاذ!!.

إنَّ الدعاة ملزمون بتجديد الخطاب الدعوي لعموم الناس، فلا بُدَّ من الحديث بجدِّيةٍ واستفاضةٍ لا بخجلٍ والتواء عن قضايا الدين العظمى: (كالجهاد في سبيل الله، والحرص على نيل الشهادة، والبصيرة بمكائد الباطل، والثورة على الظلم، والنصح لكل مسلم، وتحشيد الأمة في معالي الأمور، وجمع الصف وتوحيد الكلمة، وتزكية الأنفس والأخلاق التي تؤهلنا لأستاذية العالم)، وترك التناحر في الخلافات الجزئية (كحكم الصور الفوتوغرافية، والحديث عن الإسبال والزينة، وحكم الاحتفال بالمولد النبوي، والخلاف في بعض هيئات الصلاة: كمستوى رفع اليدين عند التكبير، وحركة الأصبع في التحيات، والنزول إلى السجود على الأيدي أم الركب، والردود الطويلة المُمِلَّة بين طلبة العلم في قضايا جزئية وربما هامشية)..



فإنَّ الانغماس في هذه المسائل ليس من القول السديد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ [الأحزاب:70].





وجهٌ آخر لا بُدَّ منه[1]

يَحسُن بك أن تقرأ كتاب (ما لا نعرفه عن رسول الله ﷺ)[2]، إنَّ الداعية لا ينبغي أن يكون درويشاً ولا مُغفَّلاً، بل هو يَقِظٌ يجمع بين القوة والرحمة، وبين العزة والتواضع، حتى لا يطمع الناس فيه، فيلوكه السفهاء بأسنانهم، النبي ﷺ كان عطوفاً رحيماً ودوداً، لكنه كان مجاهداً شديد البأس، فهو الذي قيل عنه: «ما التقت كتيبتان إلا وكان النبي ﷺ أول من يضرب»[3]، ولمَّا أراد أن يستغفله أبو عَزَّة الجُمَحيّ، حيث وقع أسيراً يوم بدر فاستعطف النبي ﷺ فعفا عنه بشرط ألا يتعرض للمسلمين بعد ذلك، لكنَّ الجُمحي لم يَفِ بالعهد، ووقع في الأسر مرةً أخرى، فَقَالَ الجُمحي: «يَا مُحَمَّدُ امْنُنْ عَلَيَّ، وَدَعْنِي لِبَنَاتِي، وَأُعْطِيكَ عَهْدًا أَنْ لَا أَعُودَ لِقِتَالِكَ»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (لَا تَمْسَحَ عَلَى عَارِضَيْكَ بِمَكَّةَ تَقُولُ: قَدْ خَدَعْتُ مُحَمَّدًا مَرَّتَيْنِ، فَأَمَرَ بِهِ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ)[4].

والعجب بعد ذلك أنه كان ﷺ إذا وعظ الصحابة رقَّق قلوبهم وأبكاهم،فالتركيز من بعض الدعاة على الجانب العاطفي فقط من حياة النبي ﷺ يُغفِل الجانب الآخر ويطمسه، ويعطي صورة ناقصةً عن شخصية النبي ﷺ وعن شخصية المؤمن التي أرادها وارتضاها الله ﷻ، ويُجرِّئ المنافقين والسفهاء على المسلمين، وهذا ما لا نرضاه، ولم نتربَ عليه، لأنه يخالف ما أمر الله ﷻ به من الشدة والغلظة عليهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: 73].

---

(1) هذا الفصل مهمٌ جداً للإسلاميين، لأنَّ العلمانيين وأذنابهم يصفوننا بالدراويش، لا بُدَّ أن يعلموا أنَّ ألسنتنا وسيوفنا حادة، ومن داس لنا على طرفٍ وضعناه تحت التراب.

(2) للشيخ الداعية حازم صلاح أبو إسماعيل -فك الله أسره-، تحرير أ. محمد الهامي -وفقه الله-.

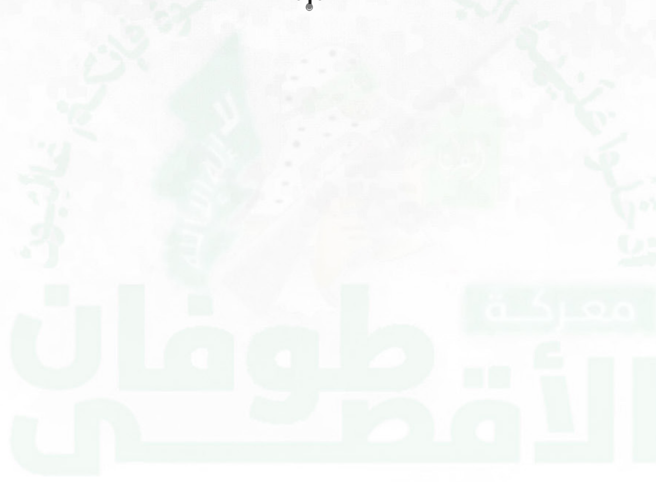
(3) انظر: فيض القدير (5/172).

(4) معرفة السنن والآثار (13/ 198)، حديث رقم 17904، والسنن الكبرى للبيهقي، حديث رقم 18028.



اضطرتنا بعض المواقف والأحداث إلى تأديب بعض السفهاء، وردِّ السيئة بمثلها، وهذا لا بأس به إن شاء الله، وكثيراً ما كنَّا نعفو ونتجاوز، والمؤمن عالمٌ بزمانه، مقبلٌ على شأنه، ولا يبرح المؤمن أن يُردِّد دعاء النبي ﷺ: (اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ)[1].





(1) صحيح مسلم، حديث رقم 771.



العملُ الخيري جهاد

لقد كانت مريم رضي الله عنها في محرابها تتعبد، وتقضي الساعات الطِّوال لتنال الأجر وتُحقِّق التزكية، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[آل عمران: 37]، وقال أيضاً: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 42]، إنَّها أجواءٌ روحانيةٌ وتربيةٌ هادئة، لكنَّها لمَّا خرجت للمجتمع والاحتكاك به، وبدأت تخوض الجبهات التي لها علاقة بالمجتمع، ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: 23]، أهذه مريم العابدة؟!، أهذه مريم التي كانت قانتةً في محرابها؟!.

إنَّ سياسة الناس ومتابعة شؤونهم بابٌ من أبواب الجهاد، وشُعبةٌ من شُعب الإيمان، وهذا هو سبيل الأنبياء، فرسول الله ﷺ قد حَطَمَه الناس[1]، وكان كثيراً ما يصاب بصداع الرأس، وما تعلمتْ عائشة رضي الله عنها الطبَّ والدواء إلا من كثرة مرض النبي ﷺ.

العمل الخيري يحتاج من أهله سَعة صدرٍ، وقصداً في الغضب والرضا، أمَّا سعة الصدر فبها تتحمل المشقة وتسود على الناس

لولا المشقةُ سادَ النَّاسُ كلُّهمُ ❖❖❖ الجودُ يُفقر والإقدامُ قتَّالُ

وأمَّا القصد في الغضب والرضا، بألَّا تكون حازماً دوماً فتكسرك الأيام، وألا تكون رخواً دوماً فيطحنك السفهاء.

---

(1) روى الإمام مسلم في صحيحه، (حديث رقم 732) أن أمنا عَائِشَةَ رضي الله عنها سُئلت: «هَلْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَهُوَ قَاعِدٌ؟ قَالَتْ نَعَمْ، بَعْدَ مَا حَطَمَهُ النَّاسُ». قال الإمام النووي قال الراوي في تفسيره: حطم فلاناً أهلُه إذا كبُر فيهم كأنَّه لِمَا حمله من أمورهم وأثقالهم والاعتناء بمصالحهم، صيَّروه شيخا محطوماً.

من محاذير العمل الخيري أن تظن لنفسك فضلاً على الناس بإيصال صدقات وأعطيات الآخرين إليهم، ورحم الله يحيى بن معين رحمه الله حين قال: «مَا رَأيتُ مِثلَ الإِمَامِ أَحمد، صَحِبنَاه خَمسِين سَنةً، مَا افتَخَرَ علينَا بِشيءٍ مِمَّا كَانَ فِيه مِنَ الخَيرِ»[1].

وفي المقابل هناك بعض الناس نفوسهم مريضةٌ، مبدؤهم: (بما أنك في هذا المكان – العمل الخيري- فيجب عليك أن تتحمل الآخرين وتصبر على سبِّهم وانتقاصهم وانتقادهم وافتراءاتهم!!)، هل تتصور أن يسبَّ عليك شخصٌ في وجهك ثم يقول لك أنت مجبرٌ على ذلك؟!!، لا والله ليس هذا ديناً، والإسلام لا يرضى بذلك، وبعض الألسنة تحتاج كياً، والله المستعان.

وفائدةٌ ختاميةٌ في هذه النقطة، أقول: إنَّ خداع بعض المخادعين العاملين في العمل الخيري، وعدم التزامهم بتحري العفة في المال، والأمانة في الأخذ والعطاء، ووضع الصدقات في وجهها الصحيح، لا ينبغي أن يُغلق على الصادقين سبيل العمل والإبداع والترشيد في هذا المجال، والله المستعان.



(1) سير أعلام النبلاء (214/11).



سوقُ المدينة

إنَّ تضخُّم السكان في بقعتنا الصغيرة التي كان يقيم فيها النازحون، فتح باباً مُلحَّاً للمشاريع الصغيرة التي تَلزَم السكان، لأنَّ أقرب سوقٍ كان يبعد عنا خمسة كيلومترات تقريباً، ولا يوجد وسائل مواصلات، ولا يوجد كذلك أيُّ دكَّانٍ أو ماركت صغير قريبٍ منا!!، والبضائع غالية الثمن، وشحيحةٌ وبعيدةٌ عن الناس،فما العمل؟!، سنُقيم سوقاً.

اتصل بنا أحد المتبرعين الأفاضل فشرحنا له الوضع، وأنَّه يوجد في السوق البعيد كمياتٌ من الأطعمة لنُجهِّز طروداً ونوزعها، وهذا يحتاج مبلغاً ضخماً، لأنَّ الأسعار خيالية!!، سعر كيس الرز ب 800 ش (300 دولار تقريباً) ووجوده عزيز، وسعر كيس الطحين ب 1400 ش (500 دولار تقريباً) ووجوده عزيز، والمعلبات البسيطة كالفول، سعر الواحدة ب 20 ش (أقل من 10دولار بشيء بسيط) وعزيزة ونادرة.

فقمنا بمشروعٍ تساهمي حسبةً لله ﷻ، نخفف به عن الناس قليلاً، حيث قمنا بتكليف خمسة شباب بالذهاب إلى السوق البعيد، وشراء ما يستطيعون من بضائع بأقلِّ الأثمان، وبعد إحضارها نبيعها للناس بسعرٍ في متناول يدهم وقدرتهم، ونأخذ العائد لنشتري به مرةً أخرى، ثم نبيعه بنفس الطريقة وهكذا، استمرَّ المشروع اثنا عشر يوماً، (كان المتبرع قد أرسل مبلغاً معيناً لهذا المشروع، فطبيعي أن ينتهي المبلغ بعد عدة أيام، لأنك تبيع السلعة بأقل من نصف الثمن)، وكانت هذه الفكرة بتوفيق الله قد ساهمت في تخفيف الأزمة عن الناس.

إنَّ السوق وإحياءه وضبطه كما يريد الله واجبٌ من واجبات المسلمين، فينبغي ألا يتَّجر في سوقنا إلا من يفقه، فقد صحَّ عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «لَا يَبِعْ فِي سُوقِنَا إِلَّا مَنْ

قَدْ تَفَقَّهَ فِي الدِّينِ»[1]، وكان الإمام مالك يأمر الأمراء فيجمعون له التجار ويعرضونهم عليه، فإذا وجد أحداً منهم لا يفقه أحكام المعاملات، ولا يعرف الحلال والحرام، أقاله من السوق، وقال له: تعلَّم أحكام البيع والشراء، ثمَّ اجلس في السوق[2]، وقال الإمام المناوي: «ومن يبيع ويشتري يلزمه تعلُّم أحكام المعاملة»[3].

ثم إنَّ العمل في السوق يحتاج إلى زهد وتقوى، فكثيرٌ من شبابنا العاملين في إغاثة الناس -وهو عملٌ مرهق- لم يكن يأخذ شيئاً لجيبه مقابل تعبه ووقته، بل كان كل ذلك حسبةً لله ﷻ، وتفريجاً لكروب الناس، وذكَّرني هذا بفقه إمامنا محمد بن الحسن رحمه الله لما سُئل: ألَا تُصنِّف كتاباً في الزهد، فقال: «بلى،قد صنَّفتُ كتاباً في البيوع»[4]، يقصد أنَّ من حقَّق التقوى في فقه البيوع فهو الزاهد، والشيء بالشيء يُذكر، فإنِّي أستحضر موقف عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لمَّا قَدِم المدينة نازحاً ولم يكن يملك شيئاً، فعُرضت عليه الإعانات، فرفضها بعزة نفسٍ وقال: «دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ»[5]، وهذه الهِمَّة هي شعارٌ لمن يَتَّبع الصحابة رضي الله عنهم في سلوكهم.



(1) سنن الترمذي، حديث رقم 487.
(2) انظر: التراتيب الإدارية، لعبد الحي الكتاني (17/2).
(3) التيسير شرح الجامع الصغير (164/1).
(4) تعليم المتعلم للزرنوجي، ص28.
(5) صحيح البخاري، حديث رقم 2049.



قيام الليل

هذه العبادة هي التي تُصلح القلب، فقد فُرضت على النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم قبل فرض الجهاد باثنتي عشرة سنة.

كنتُ أحرص على ألا أترك قيام الليل ولو بركعتين، مرَّت علي أيامٌ في الحرب من شدة التعب والإرهاق لم أستطع فيها قيام الليل، وكانت النفس تقول لي: أنت مُتعَب، وقد جاهدتَ في سبيل الله في هذا اليوم، قيام الليل هذا لمن لا جهاد له!!، فكنتُ إذا تركت قيام الليل شعرتُ بالثِّقل، ثقل الجسد والدم والبدن، إنَّ قيام الليل يُصلح الأحوال الدنيوية والأُخروية.

أمَّا بالنسبة لقيام الليل في رمضان، فقد كنَّا نُصلي العشاء والتراويح في مُصلَّانا (المصنوع من النايلون)، ثم نرتاح قليلا، ونستيقظ الساعة الثانية عشر ليلاً لصلاة الليل، وكنا نتعمَّد تشغيل السماعات الخارجية في تلك المنطقة الحدودية المنقطعة، ليصل الصوت إلى أبعد نقطة، ويشعر الناس بالأمان ودوام شعائر الدين والإسلام، فإنَّ القرآن عظيمٌ للحدِّ الذي تخشع منه الجبال، ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ [1] بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد:31].

إنَّ الجهاد مع قيام الليل يُحصِّل بهما العبد المقامات العالية، وإنَّ جيوشاً جرَّارة كانت تظنُّ نفسها تجاهد، لكنَّها لا تعرف شيئاً عن الليل وأسراره، إنَّ القلوب التي لم تترب في محاريب قيام الليل، لا تقوى على جهادٍ طويلٍ وشاق، فخذوا نصيبكم يا فرسان الحق من الليل، فقلَّما أقام الليل منافق.

(1) لتفهم المعنى انتبه لتقدير المحذوف: لكان هذا القرآن.

قيامُ الليل، وما أدراكم ما قيام الليل،لِمَ له كل هذه الأهمية والمكانة؟!، قيام الليل فيه الاتباع لرسول الله ﷺ، وفيه التّزكية «إنَّ لك عندنا قدراً ما لم ترَ لنفسك قدراً»[1]، وفيه تعزيز قوانين المجاهدة (مخالفة الهوى، الدوام على محبوبات الله، التحكم في المباحات)، وفيه ترسيخ أعمدة التزكية (الاستعانة، الذكر، الصلاة، التفكُّر، القرآن)، وكلُّها متحققةٌ في التهجد والقيام.

إنَّ التهجدُ هو أعظمٍ عملٍ تربويٍّ يُربِّي المسلم به نفسه، ويُرجى لمن لازمه ألا يقع في أودية الفتن، زيادةً على ما فيه من التربية على المعالي، وتصفية العقل، والتربية في الخفاء. إنَّ قيام الليل له علاقةٌ وطيدةٌ بالرشاد وتجويد القرارات للأمير والمُكلَّف بمهامٍ ثقيلة ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: 5]، ومن استعان بالقول الثقيل خفَّف الله عنه كلَّ ثقل، والعلاقة وطيدةٌ كذلك بين قيام التهجد والمطالب العالية التي لها علاقة بعلو الدين ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: 79]، لأجل ما سبق فُرض التهجد قبل الصلاة باثنتي عشرة سنة، وتربَّى جيلُ التأسيس والناس نيام، ثم انطلق لينشر الإسلام في أرجاء الدنيا بين الأنام.

تأمَّل أنَّ أولَ خطابٍ سياسيٍّ في المدينة كان يَحتوي على قيام الليل، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ)[2].

(1) من كلام الحارث المحاسبي. انظر: حطِّم صنمك لمجدي الهلالي، ص119.

(2) سنن ابن ماجه، حديث رقم 1334.



وإنَّ ممَّا أفتى به الفقهاء كالإمام أحمد وابن قدامة المقدسي وغيرهم أن يكون للرجل ركعاتٌ يداوم عليها، فإنْ نشَط طَوَّلها، وإنْ كسل خفَّفها، ولو فاتته قضاها واستدركها[1].





(1) انظر: المغني لابن قدامة (2/103-104).

(الوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الجَنَّةِ)[1]

إنَّ والدي -حفظه الله- أولُ شيخٍ لنا، لقد كان ينظر إلينا كثيراً، وأقرأ في عينيه أنه يُحبُّنا جداً، لقد كان رجلاً شهماً كريماً حكيماً يسبقنا بخطوتين في تدابير الأمور غالباً، أول أربعين يوماً من الحرب انقطعنا عن الدنيا ولم أكنْ أعلم عنه شيئاً، حتى جاء يومٌ وسنحتْ فرصةٌ فهاتفته بمكالمة، فإذا بوالدي الجَلْد الصابر يبكي بكاء شديداً، آهٍ على وجع القلب، إنَّه لا يرجو شيئاً إلا أن نكون بخير، وقد اشتدَّ به البلاء حين اعتُقل أخي بعد المكالمة بيومين، فكلَّمتُه وصبَّرتُه بما استطعت، لكن يصعب أن تكون مُوجِّهاً لمن علَّمك كلَّ شيء في حياتك!.

مرَّ على اعتقال أخي أربعة وعشرون يوماً، فرأيتُ فيما يرى النائم أنَّ والدي يحلق شعره، فاستبشرتُ خيراً لمَّا استيقظت، وفي اليوم الخامس والعشرين جاءني خبرٌ تمَّ إطلاق سراح أخيك!، يا الله سجدتُّ في الشارع من شدَّة الفرح، وكلَّمتُ أبي وهنَّأتُه، فاللهم لك الحمد.

اشتدَّ البلاء أثناء الحرب، فمرضتْ أختي وأمي مرضاً شديداً، فأعان الله والدي على حمله، لقد كَفِل زوجتي وأولادي وغطَّاهم بكرمه!، إنَّه الأب يا سادة، يُعطي كلَّ ما يقدر، كم كنَّا مقصِّرين في بِرِّهم وصحبتهم، إنَّني مشتاقٌ لرائحة يديه والله، يوم العيد كانت عادتي أن أُصليَ بجانب والدي صلاة العيد، فأقوم بعد الصلاة لأكون أول من يعانقه، وأقول له: كل عام وأنت بخير يابا!، فكنتُ أرى عينيه تمتلئ بالدموع، هذا في الأعياد في الظروف العادية، فما بالكم بالحرب والبُعد، في يوم العيد أثناء الحرب أرسل لي والدي رسالة، لا أستطيع كتابة نصِّها، ولكن أقول: لقد تَفَتَّت كبدي من مشاعره وشوقه... فأحسنوا صحبة آبائكم، واحفظوا أخلاقكم أمامهم، واخفضوا لهم جناح الذل من الرحمة، فما أنتَ إلا حسنةٌ من حسنات والدك.

(1) سنن الترمذي، حديث رقم 1900.



الأم... «الْزَمْ رِجْلَهَا، فَثَمَّ الْجَنَّةُ»[1]

في آخر ثلاث سنواتٍ أقبلتْ المرأة الصالحة (أمي) على حفظ القرآن الكريم، فأتمَّتْ حفظه بإتقانٍ ومهارة، لا زلتُ أذكر بكاءها يوم أن أتمَّت سورة البقرة حفظاً، وقد كانت تُسمِّع لي خاتمة السورة، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا﴾.

لقد كان ختمها حفظ القرآن الكريم من أجمل اللحظات التي عشتها في حياتي، والله كان قلبي يومها يكاد يطير من الفرح، فأمي تاج رؤوسنا قد انضمَّتْ لقوافل الحُفاظ وأهل القرآن، هنيئا لكِ يا غالية، يا تُرى كيف كان شعورك وأنتِ تحفظين وترتلين آخر السور قبل إتمام الحفظ، فتراءتْ لك تيجان الوقار أيتها الجميلة!!، وتذكرتِ منازل «اقرأ وارتق»!!، وتذكرتِ يوم بدأتِ بالحفظ، وكيف مَنَّ الله بالختم العظيم!!، وتذكرتِ رجاءات السنين!!، وطوال السور وقصارها، لا تعليق.. فالجلال يتكلم في هذه المواقف.

مُباركٌ عليكِ نور القرآن، ومباركٌ لأبي الغالي هذا الإنجاز العظيم، وهذه الرفقة الصالحة، ومباركٌ لنا ولعائلتنا هذه النعمة، فما نحن إلا حسنةٌ من حسنات أمي وأبي، فالحمد لله حتى يبلغ الحمد منتهاه، واللهم زدنا ولا تنقصنا.

أمي جاوزت الستين عاماً، وغيَّرت مفاصل الرُّكبة بعمليتين شديدتين، وقد عانتْ الآلام أشهراً طويلة، وكان والدي قد وعدها برحلة عمرةٍ إلى بيت الله الحرام بعد إتمام حفظ القرآن الكريم، وكان موعدها في شهر أكتوبر، لكن جاءت الحرب، والحمد لله على كل حال.

قبل فترةٍ تواصل معي أخي وأخبرني أنَّ أمي تشكو من وجعٍ في منطقة الرحم، وستخضع لعملية قريباً، وأنا بعيدٌ عنها ولا أستطيع الوصول إليها، فلم أملك إلا أن أدعوَ لها:

(1) سنن ابن ماجه، حديث رقم 2781.



اللهم اشف أَمَتَك (أمي الغالية)، اللهم ألبسها لباس العافية، كنتُ أستيقظُ الساعة الثانية ليلاً فقط لأجل الصلاة والدعاء لها، هذا الذي أملكه.

أجرتْ أمي العملية الأولى، لكنَّ الأطباء قرروا لها ثلاث عمليات أخرى من ضمنها إزالة الرحم!!، إنَّ وجعها في الرحم (مكان الحَمل)، أحسب أن بُعدنا عنها آلمها، فنحن ما خرجنا إلا من ذاك الرحم، فأنا وأخي في الميدان، ولم نرها منذ بداية المعركة، وأخي الثالث مسافرٌ والخطر يُحدق به، والرابع قد اعتُقل.

الأم شيءٌ عظيم، لا يمكن الحديث عنها في أسطر، فكلُّ خيرٍ مستقرٌ فينا لِأُمِّي سببٌ فيه، فاللهم احفظها في عافيتها، وأحسن عاقبتها في الأمور كلِّها، وأجِرْها من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.





كُنَّا مُنعَّمين

مصعب بن عمير رضي الله عنه كان من أثرياء شباب مكة، لا يلبس إلا أفخم الثياب، ولا يضع إلا أنفس العطور، ومنذ أسلم وانتدبه النبي ﷺ ليكون سفيراً للدعوة في المدينة تغيرت أنماط حياته، فهاجر إلى المدينة وطرق بيوتها، وهيَّأ الأرض لاستقبال دعوة الإسلام، هل تعلمون كم يحتاج إقناع الناس بفكرة جديدة عليهم؟!، مصعب سفير الإسلام سبق النبي ﷺ للمدينة، لا لِيَفِرَّ من صخب مكة وعذابها، بل ليخوض معركةً جديدةً عنوانها (تجهيز أرضٍ خصبةٍ لزراعة الدعوة).

مصعب ذاك الشاب المُنعَّم، قضى زهرة شبابه مهاجراً وداعياً بين بيوتات المدينة، وناله من غبار الأرض ورهج سنابك الخيل الكثير الكثير.

جاءت غزوة أحد فاستشهد الصحابي الجليل مصعب بن عمير رضي الله عنه، استشهد ذاك الشاب المنعم، هاتوا كفناً لمصعب، هاتوا شيئاً نُغطيه، غُطِّيَ بثوبٍ لا يستر كامل جسده، إذا غُطِّيَ وجهه بدت رجلاه، وإذا غُطِّيتْ رجلاه بدا وجهه، فقاموا بتغطية وجهه بالثوب، وغطُّوا أقدامه بالإذخر![1] (الإذخر: نوعٌ من الأشجار)، هذه هي الدنيا.

كُنَّا مُنعَّمين، نلبس ملابس فاخرة، ونضع أفخم العطور، ونركب السيارات، ونلهو ونمرح (مع أنَّ هذا قليلٌ في واقع غزة وزحمة المسؤوليات والأوقات)، فجاءت هذه الحرب، فرأيتُ إخواني المُنعَّمين والمترفين لا يكاد أحدهم يجد ثوبين، رأيتُ بعضهم ينام دون غطاءٍ في البرد الشديد، وبعضهم لا يملك في جيبه درهماً ولا دولاراً.

---

(1) انظر القصة في صحيح البخاري، حديث رقم 1276.

إنَّ الدرجات المئة التي أعدَّها الله للمجاهدين كفيلةٌ بأن نترك كلَّ النعيم لأجلها، فإنَّ الجهاد قائمٌ على قطع محبوبات النفس والدوام على محبوبات الله، وكلُّ شيءٍ يهون في سبيل الله، فيا من تعيش في النعيم الدنيوي اصرف نظرك عنه، ووجِّهه إلى النعيم الحقيقي، إلى المُنعِم وإلى ما أمرك به.





ولكنَّكم قومٌ تستعجلون

التدرج سُنةٌ من سنن الله تعالى، وقد وصفنا النبي ﷺ فقال: (وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ)[1]، وقد يفشل المؤمن في بعض الاختبارات بسبب العجلة.

لقد زلَّ الفاروق رضي الله عنه يوم الحديبية لغفلته عن سُنة التدرج، فسأل أبا بكر الصديق رضي الله عنه مستغرباً: «أَوَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟، قَالَ: بَلَى، قَالَ: أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ؟، قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ، وَمُتَطَوِّفٌ بِهِ»[2]، وكأن النبي ﷺ يقول: نعم وعدتكم أن تطوفوا بالبيت، ولكن لم أعدكم هذه السنة، ولعلك فهمتَ الآن سرَّ غضب النبي ﷺ من خباب رضي الله عنه عندما سأله: «أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو لَنَا؟»[3].

لقد تأملتُ في تربية القرآن فوجدتُ أنَّه يُؤسِّس لعدم الاستعجال، فلله حِكَمٌ وسُننٌ لا بد أن تجري، والله لا يُغيِّر سُننه لأجل المقهورين، بل يُمضي سننه، وينتقم من الظالمين في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: 57-58]، وقال تعالى: ﴿سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء:37]، وقال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:1].



(1) صحيح البخاري، حديث رقم 3612.

(2) مسند الإمام أحمد، حديث رقم 18928.

(3) صحيح البخاري، حديث رقم 6943.



مشروع الإصلاح يبدأ من الآن

إنَّ الغايــة مـن البـلاء هي التضرع لله والرجوع إليه، وقد ذمَّ الله قوماً ابتُلوا فما تضرَّعوا، ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنـون:76].

في الأمـة ذنوبٌ عامـة يجاهـر بها الناس، وفتورٌ أصبح طبعاً عند الكثيرين، والواجب على الدعاة أن ينطلقوا من الآن ليحثُّوا الناس على طاعة ربهم، والتوبة من الذنوب، والتحلل من المظالم، فلقد نال الصحابةوسام وشرف التوبة بعد آخر الغزوات ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة:117].

المجاهرة بالغناء الماجن والرقص والحفلات الليلية، وغير ذلك يجب علينا التوبة من كل هذه الكبائر التي تُنزل النِّقم، قال بعض العلماء: «كُلُّ بَلْدَةٍ يَكُونُ فِيهَا أَرْبَعَةٌ فَأَهْلُهَا مَعْصُومُونَ مِنَ الْبَلَاءِ: إِمَامٌ عَادِلٌ لَا يَظْلِمُ، وَعَالِمٌ عَلَى سَبِيلِ الْهُدَى، وَمَشَايِخُ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحَرِّضُونَ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ وَالْقُرْآنِ، وَنِسَاؤُهُمْ مَسْتُورَاتٌ لَا يَتَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى»[1].

وينبغي البدء من الآن فالقلوب مُهيَّأةٌ، والموتُ واعظٌ، والدنيا مُدبِرةٌ، والآخرة مقبلة، إنَّنا إذا عدنا في مجتمعاتنا إلى ما كنا عليه من مجاهرة بالذنوب، فما زادنا البلاء إلا بلادة، وعلى العاقل أن يعلم أنَّ الذنوب سببٌ لغضب الرحمن، وشعار المرحلة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: 3]، ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:31].

(1) تفسير القرطبي (4/49).



يقول الشيخ أحمد السيد -حفظه الله- في منشورٍ له على قناته على التلجرام خلال معركة طوفان الأقصى: «هل لازلت على عهدك بتغيير حياتك ومستوى تفكيرك وآمالك مع أحداث غزة؟، أم أنك رجعتَ إلى آمالك المحدودة الضيقة واهتماماتك الصغيرة التافهة؟، إذا كنتَ ممن تألّم لإخوانه في بداية الأحداث واكتشفْتَ حينها زيف النموذج الغربي وكذب شعارات حقوق الإنسان، وعرفتَ مقدار التآمر والتواطؤ والخذلان، فإنَّ الأمر لا يزال كما هو إلى اليوم، بل لم يزدد إلا شدةً ووضوحاً؛ فلماذا تراجعتَ وتوقفت ونسيت؟!، أم أنَّها كانتْ موجة تفاعلٍ عاطفي وانتهى كل شيء؟، أم أنك لم تنسَ ولكنك يئستَ وأصابك القنوط والإحباط؟، فلماذا؟! ألستَ تؤمن بالله ولقائه؟، ألستَ تعلم أنَّه الحق سبحانه؟، ألم يخبرنا في مواضع كثيرةٍ من كتابه الحق بسُنة الابتلاء؟، أنسيت ما أصاب المؤمنين على مر التاريخ من الشدائد والابتلاءات؟، ألستَ تقرأ سورة البروج وآل عمران؟، ثمَّ ألستَ تؤمنُ أنه لا تزال للإسلام مرحلة عزٍّ قادمةٍ، بشّر بها النبي ﷺ في كثيرٍ من أحاديثه؟، وصدقني هي ليست عنّا ببعيد، وما هذه الجرائم الشديدة في حق المستضعفين إلا مقدمات لعقوبات إلهية تطال المعتدين والظالمين ومن شايعهم. ثم ينصر الله دينه ويورث الأرض من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، فَقُم يا صاحبي، ولا تيأس، واستعن بالله ولا تعجز، وأحسن الظن بالله، وعش همّ إخوانك في غزة وغيرها من البقاع التي يُستَضعَف فيها المسلمون، واجعلهم في دعائك وبذلك وحديثك واهتمامك ونصرتك وعطائك، وارقَ بحياتك وآمالك عن التفاهات والمعاصي والصراعات الشخصية، واجعل وقتك وتفكيرك في السعي الحقيقي لتكون من حملة هذا الدين العظيم، ومن السائرين على طريق الأنبياء والمرسلين».



لا تُراهن على غيبٍ لم تعمل له!

لا يصلح أن نقول ونحن قعود: إنَّ الذي اختار لنا الطريق لن يتركنا في وسطه وآخره!!، يمكن أنْ نقولها ونحن نعمل، لكنْ نقولها ونحن كسالى، فهذا يخالف القرآن!، ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران:152]، ركِّز معي في موضع (حتى) في الآية، كيف فَصَلَتْ ما قبلها عما بعدها، إنَّ الذي أكرمنا أول النهار طلب منا الاستمرار، فإذ بنا غيّرنا وبدّلنا فرُفعت عنَّا الكرامة، ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ﴾ [آل عمران:165]، ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ [النساء: 102]، أين النصر؟!، ضاع بسبب ضعف الحراسة!.

أحداث السابع من أكتوبر وما تبعها لم تكن زهيدةً، لقد دفعنا فيها ضريبةً عالية جداً، هل يُعقل أن نُفرِّط لنرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله...؟! السابع من أكتوبر لم يصنعه من يجلس على الفيس بوك، السابع من أكتوبر صُنعت بعدة موجاتٍ عظيمةٍ متفرقة، أذكرها لكم لاحقاً.

أحياناً نعيب على بعض الصوفية سلوكهم الفردي وتركهم قضايا الأمة، ولكن في داخل قلوب كثيرٍ منا تصوفٌ مذموم، فنترك العمل بالسنن، ونترك تجويد العبادة لأجل الغيب المؤمل!، قال تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [القلم:47].



الخروج من التيه

ندرس أخبار الأمم السابقة، لأنَّ الانحرافات التي وقعوا فيها متكررةٌ، كيف تاهوا، وكيف خرجوا من التيه؟!، أول التيه وآخره ماذا كان؟، ونقرأ سورة المائدة لنفهم منطق التائهين، يقول الله تعالى مُخبراً عن طريقتهم في مواجهة الأعداء: ﴿فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ [المائدة: 22]، والسؤال الذي يُطرح هنا بداهةً: كيف سيخرجون من الأرض وهم قومٌ باطشون جبارون متمكنون، لماذا يتركون لكم الأرض؟!، ربما قصدوا حلول التسوية والمفاوضات!.

من هذه القناعات الممسوخة بدأ التيه...، كانوا في كلِّ يوم يمشون في طريقٍ فيتبين لهم قد ضلوا، فيسلكون في اليوم التالي غيره وهكذا، أربعون سنة تيه وضياع وخربطة بلا هدف ولا هوية، لكنَّ مُتَعْ الطعام والشراب كانت على رأس أولوياتهم، وأنزل الله عليهم المن والسلوى!.

أمَّا عن الخروج من التيه، فقد وُلد في هذه المدة جيلٌ جديدٌ، يؤمن بالله ويؤمن ب ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَا﴾ [البقرة:246]. جيلٌ يفهم منهج الإسلام الصحيح، فيتحرك فيفتح الله عليهم.

الكلام داخل الصوامع لا يحلُّ مشاكلنا، لا بدَّ من كلامٍ في الصوامع وإعدادٍ للمَدافع، ومعه حركةٌ في المجتمع توعي الناس وتسوسهم وتدفعهم أحياناً للحق دفعاً.

بالعامية أقولها: إن كنتم فرحانين بالصلاة والصوم والحج.... فلن تسلم لكم عبادة إنْ تركتم دفع الباطل، قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗا﴾ [الحج: 40].

من معالم الطريق؟! الإسلام دين ودولة

من هو ابن سلول المشهور بنفاقه؟، هو رجلٌ من الخزرج من علية القوم، اتفق الأوس والخزرج على أن يُصيِّروه ملكاً عليهم، وقبل أن يُسوَّد ابن سلول، حصلت بيعة العقبة، فأصبح الأوس والخزرج لهم سيادةٌ وزعامةٌ أخرى، فلا حاجة لهم بابن سلول، وهذا الموقف يُؤكد على أنَّ الإسلام من أول خطوة هو دولةٌ وليس دعوةً فقط!.

ستجدون آخرين يريدون أن يستغفلوكم ويستغلوا عقولكم، ويزعموا: أن الإسلام دعوةٌ لصلاح القلوب وطُهرها فقط، ولا علاقة له بالسياسة!.

نقول: لو كان كلامهم مقبولا من ناحية شرعية، لرضي الأنصار أن تكون السلطة الدينية للنبي ﷺ وتكون الزعامة السياسية لابن سلول!!، لكن لم يقبلوا هذا، بل كانت الزعامة الدينية والسياسية للنبي ﷺ، ومما يَدلُّ على أنَّ الإسلام كان دولة حتى في نظر المشركين هو لهجة المشركين أنفسهم في خطاب النبي ﷺ ومن معه، فقد كانوا يعتبرونهم في بداية الأمر جماعات مارقة، وكانوا يضيقون عليهم في مكة تحت شعار (نؤدب العصاة)، لكن في صلح الحديبية حدث تغيرٌ كبيرٌ في هذه اللهجة، حصل اتفاقٌ بين كيانين سياسيين، وحصل اعترافٌ جليٌّ من قريش بزعامةٍ سياسيةٍ في الجزيرة تتبع لمحمد ﷺ.

ومما يتفرع عن هذه النقطة، سلوك الداعية، فالداعية مقاتلٌ وليس مجرد مُنظِّر، ولا صاحب طريقة تعليمية تزكوية، يظن البعض أنَّ أقصى مهمة للداعية أن يفتح جمعية، يكتب مقالاً، يؤلف كتاباً.. هذا غاية ما يفعله الداعية في ظنهم!.



هذا الكلام لا يُدرِّسونه في المدارس والكليات، فاحفظوه وافهموه جيداً، لأن العالَم يكذب عليكم، ليصرفكم عما خُلقتم له، وليشغلكم بما يستنزف طاقاتكم، لذلك هم يرفضون أن يكون الإسلام نظاماً سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً، ويرعبهم أن يكون نظاماً عسكرياً!!، مع أن أصل الإسلام أن يكون نظاماً حاكماً في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾[النساء: 64]، فإذا جاء الإسلامُ بنظامٍ اقتصادي يُحرم الرِّبا فالرِّبا حرام، وإذا جاء بنظام اجتماعي يُلغي الطبقية، فالطبقية حرام، وإذا جاء بنظام عسكري يُقرر الدفاع عن الدعوة بالقتال، فالقتال واجب، لذلك لا يمكن أن يعيش المسلمون في سياق آخر يلغي نظام الإسلام وحاكمية الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ ﴾[النساء: 105]، وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾[النساء:60].

إن تغيير السياسات وأسلمة المجتمع له ضريبةٌ باهظة، وأعداؤنا يعرفون هذا جيداً، فلقد سمع الكبير والصغير أنَّ من أهداف الحرب عند اليهود هو إنهاء حكم حماس في غزة، ويعتقد كثيرٌ من الناس أنه لا ينبغي لنا طلب الحكم، وأنَّ سبيل الأنبياء هو الدعوة فقط، إنني أدعو المسلم في كل قطرٍ إلى قراءة قصة نبي الله سليمان عليه السلام، وتأمَّل كيف قدَّم لنا القرآن الكريم قصة نبيٍ ومَلِك.





نريد مسلماً وتداً

لقد جنينا على الدعوة كثيرا يا معاشر الدعاة، نحن الدعاة أصبحنا اليوم نتكيء بجانب الأفراد المتكاسلين، ونقول لهم: ربنا بحبك ولازم تحبه وتصلي وتكون خلوق وفقط، قدَّمنا الإسلام بصورةٍ ناقصةٍ مغشوشة.

دعوة الإسلام التي جاء بها النبي ﷺ هي دعوةٌ لإقامة رسالة الإسلام، بإقامة هدفه، وإقامة أبعاده، وإقامة منتهاه، وفي سياق هذه الخطوط الثلاثة جاءت دعوة الأفراد، ليُحسنوا التوحيد، ويُحسنوا الصلاة، ويُحسنوا العبادات، ويتجنبوا المعاصي، ويقوموا بالطاعات...، هذا كله لأجلهم، لكنه لا يبلغهم مراد الله منهم!.

اقرأ هذا المثال لزاماً: عندما يأخذ ابني المرتبة الأولى في الثانوية العامة، ويذهب ويسجل في كلية الطب، ثم يتخرج، ثم يأخذ ماجستير في تخصصه، ثم دكتوراه في تخصصه، ثم يصبح دكتوراً كبيراً، ثم أقول له: اقعد في البيت ولا تمارس مهنة الطب، وألف ألف مبرووك يا حبيبي، صرت أحسن طبيب في العالم!!، وفقط، لكن أين العلاج الذي سيعالج الناس به؟!، وأين العيادة؟!، وأين المستشفى؟!، وأين دوره في المجتمع؟!!!، وكأني فعلياً كنت أجعله يكتسب ويختزن أموراً عنده، ثم لا يؤدي وظيفتها!!!، أعتقد وصلتْ الفكرة.

ولذلك المطلوب في الدعوة يا مشايخنا هو أن نقول للفرد المسلم نظرياً وعملياً كيف يؤدي وظيفته في هذه الحياة، بحيث ينجو بها أمام الله...، حدَّث أحدُ الدعاة أنَّهم أقاموا مخيماً علمياً، وكان فيه أنشطةٌ لبناء الشاب المسلم، لينالوا أجر الإعداد، وألزموا الشاب أن يقطع ثلاثة كيلو متر ركضاً، ونشاطات أخرى للتعايش والصبر، وتسلقات أماكن عالية بنية الإعداد، ثم ماذا؟!، ثم انتهى المشروع وأعدوا أنفسهم!!، ولكن أين أرض الرباط التي سيرابطون فيها؟!، أين



مراغمة الباطل؟!، أين مواصلة التدريب؟!، أين اكتساب مهارات الميدان والرماية وغيرها؟!...

أذكر أن أحد المشايخ الكبار خارج غزة قال لأحد دعاة غزة عندما قابله: «أنتم تأخذون بِيَدِ المدعويين من الشارع حتى الشهادة في سبيل الله، أي من أول الطريق حتى لقاء الله، وهذا توفيق عظيم لكم يا أهل غزة نفتقده في كل مشاريعنا خارج غزة!».

المصيبة التي أحدثناها في الدعوة وضيَّعنا أعماراً فيها، وأفسدنا دعوتنا، أو لم نوصلها بطريقة صحيحة، هي أننا نأخذ نُكلِّم الشخص دهراً عن إيمانياته وطاعته وتجنبه للمعاصي ووو، ثم لا نُكلِّمُه أبداً أبداً عن الوظيفة التي خلقه الله من أجلها ليقوم بها!، وتدبر معي هذا، الله ﷻ يتحدث عن الإنسان الأول آدم عليه السلام ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:30]، لو كان الله يريد أن يجعل في الأرض من يقرأ القرآن ويلتزم بالسواك ويُطلق لحيته ويُصلي قيام الليل ووو لفعل، ولكن تعجبتُ من قول الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، والمعنى: فهل وظيفة البشر أنهم يسبِّحُون ويقدِّسُون مثلنا أيضاً، ألسنا نحن الملائكة أقدر منهم على التسبيح والتقديس؟!، فكان الإحكام الإلهي قد قرَّر: لا، لم أخلقهم للتَّسبيح والتَّقديس فقط، بل جعلتهم خلفاء للأرض يَعمُروها بِسياسة الدُّنيا بالدِّين، ﴿جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]، ﴿جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 165]، ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: 62]، ولذلك فالإسلام دينٌ له رسالة بمقتضى هذه الكلمة، رسالةٌ واضحةٌ كلَّ الوضوح، فلا تبتروا الدعوة يا معاشر الدعاة!.

من تقصيرنا في حق الدعوة أننا نسعى أن نُقيم أفراداً مسلمين يتعايشون مع سياق مختلف!، وكأننا نقول لأمريكا -بلسان الحال-: ارسمي السياق الخاص بكِ ونحن كمسلمين سنمدكم بالأفراد الذين يعيشون في أفكاركم!!، ثم نقول للمسلمين: يجب أن تبقوا لطيفين



وتسمعوا الكلام، ولا نريد مشاكل، والإسلام دين حلو وانتهى كل شيء!!، لا وألف لا يا دعاتنا الأكارم!.

فالإسلام جاء ليصنع السياق كلَّه، لا ليضع الأفراد في سياقٍ آخر لا علاقة له بالإسلام، ولا ليُسلم أفراده لسياقٍ مُجرم يعيش فيه المسلمون تحت الكرابيج وكذبة السلام!، إننا أحياناً نبني الأساس ونبقى ننظر فيه ونتأمل!! ولا نقيم البناء أبداً أبداً أبداً أبداً، ونبقى طيلة عمرنا في الأساس نتأمل فيه!!!!، النبي ﷺ وهو يبني الأساس كان يشير للناس إلى أعلى البناء، ويقول لهم مبشراً سيكون كذا وكذا، كما صحّ عنه أنه في أحلك أوقات الخوف والضعف في معركة الخندق بشّر بفتح بلاد فارس والروم[1].

دعوة الإسلام دعوةٌ فاعلة صانعةٌ متقدمةٌ، تسير وتصنع السياق، وتُحرِّك الأمة، هذا ما كان عليه النبي ﷺ والصحابة والسلف وفقهاء الأمة رضي الله عنهم، فمن قرَّر أن تكون دعوته مختلفةً في محتواها ومفرداتها عن دعوة محمد ﷺ فليراجع جهده وانتماءه!.

أسأل الله عز وجل أن يكون الكلام واضحاً وناطقاً وجلياً غير ملتبس، وأرجو أن يكون قد بلغ الأفهام وبلغ الأنفس، وبلغ القلوب والأرواح.



(1) الحديث بتمامه في سنن النسائي، حديث رقم 3176، وسنن أبي داود، حديث رقم 4302.



المجدُ للمجاهد وشيخه

المَجدُ لذلك المُجاهد الذي يرابط في عُقدته القتالية لأكثر من ستِ مئة يومٍ، يحمل قاذف الياسين ويتربص بهدفه، ويقدم نفسه فداءً لدينه وأمته.

والمَجد أيضاً لِشَيخ ذلك الشاب ومُعلِمه الذي غرس فيه حب الجهاد والتضحية، وتقدَّم الصفَّ قبله، فأعطاه درساً بفعله أبلغ من قوله.

تَخيل لو درس ذلك الشاب المجاهد عند سين وصاد من مشايخ هذا الزمن العجيب، وممن يعيبون على المجاهدين جهادهم، لكانت النتيجة ذُلاً وَهواناً وخنوعاً للطُغيان، رضوان الله على مشايخنا المُجاهدين.

رجال الله في غزة لو قادهم سين من العلماء لعلَّمهم التوحيد على مقاييسه النظرية، ولو قادهم سينٌ آخر لعلَّمهم البدعة وخطرها على العقيدة، ولو قادهم سينٌ ثالث من العلماء لعلَّمهم آداب الحديث وعدم رفع الصوت على الأجانب، وأخلاق النبي المتواضع الحنون، ولو قادهم سينٌ من الناس لعلَّمهم التوبة من الذنوب، وأنه ينبغي ترك جهاد الشوكة حتى نجاهد أنفسنا، ولو قادهم خامسٌ لفصَّل لهم في الفرق الضالة وبيَّن لهم خطرها عليهم، وأن معركتنا الحقيقية معهم لا مع العدو الكافر الصائل المجرم، هذا غاية ما سيضيفونه على قاموس رجال الله العاملين المجاهدين.

اللهم إنا عبيدك بنو عبيدك، أذلاء بين يديك، فأعنَّا ووفقنا واهدِ علماءنا ونخبة أمتنا، ووجِّهنا وإيَّاهم للعمل واصرف عنَّا الجدل.



دور الداعية والمُصلِح

هناك قناعةٌ مغلوطةٌ لدى كثيرٍ من العاملين لدين الله ﷻ وهي أنَّ العالِم والداعية يُؤلِّف كتباً ويعقد لقاءاتٍ وجولاتٍ وزياراتٍ ومواعظ... إلى آخره، لكن هل يقود الداعية حركةً إسلاميةً في وسط أحجار النظام العالمي، ويسعى لتمكين دين الله ويواجه الباطل وأركانه؟!.

أكاد أجزم أنَّ كثيراً من الدعاة لا يريد ذلك، أو لا يصلح لذلك، أو لم يتربَّ على ذلك أصلاً، لأنَّ الكثير يتعامل مع الأحداث كمجرد متابعين أو مُعلِّقين أو مُحلِّلين.

مصعب بن عمير رضي الله عنه يوم أن أرادته الدعوة داعياً كان سفيراً، أما يوم أن أرادته مقاتلاً فكان في مقدمة الصفوف مجاهداً، وقُتل شهيداً في يوم أُحد، لذلك أقول لنفسي ولكل شيخٍ وداعيةٍ وعالِمٍ له متابعين ومناصرين: اعلم أنَّ الكلام غالباً ليس عليه ضريبة، لكنْ لو نزلتَ لتقود الناس وتُحرِّكهم وتجابه الباطل فإنَّك ستعرف وقتها حقيقة علمك وأثره فيك، وقدر بلوغ العلم فيك، لا بلوغك فيه.

كلُّ تجارب الأنبياء هي تجربة عالمٍ يقود الناس....، لذلك لا أعرف نموذجاً في تاريخنا الإسلامي لعالمٍ قصَر نفسه على كتبه وتعليقاته دون الانخراط بالناس وسياسة المجتمع إلا وكان ضرره أكبر من نفعه، وأمثل أولئك طريقةً من يحترم نفسه ويخجل ولا يُعلِّق على كلِّ حدثٍ بنقدٍ وتوجيه، وهو قاعدٌ لا يجرؤ على مجابهة أقرب منكرٍ إليه.

وأخيراً تخيَّل معي: لو كُلِّفتَ بقيادة جماعةٍ إسلاميةٍ وعندك قوةٌ ورجالٌ مثل رجال الله في غزة، ماذا كنت فاعلاً بهم في هذا الزمان؟!، لعلك تستيقظ وتُوجِّه بوصلتك للعمل الحقيقي المؤثر، وتترك استنزاف طاقة الجيل فيما هو أدنى مع وجود الأوجب.



المثالية وخيرات الحروب

مساؤك (السَّيْفُ مَحَّاءُ الْخَطَايَا)[1]؛ قاله الضَّحُوك القَتَّال ﷺ.

أخي يا شقيق الإسلام؛ اقرأ هذا الكلام لجَدِّك الحسن البصري رحمه الله، اقرأه، ثم انظر الفرق بين سلفك الصالحين وبين كلام جمهرة دعاة زماننا البئيس.

اقرأه، ثم اقرأ الشرح والتفصيل بعده، لأَشهد وإياك الحق وحقيقته، قال الحسن البصري رحمه الله: «إِنَّ لِكُلِّ طَرِيقٍ مُخْتَصَراً، وَمُخْتَصَرُ طَرِيقِ الْجَنَّةِ الْجِهَادُ»[2]، وكان الرجل إذا اشتكى إليه كثرة الذنوب؛ قال له: «اجعل بينك وبينها البحر»[3]، يعني الغزو.

هذا منطق الفقهاء بالنفوس حقًّا، يرون الجهاد مَخرجًا للناس من ذنوبهم، وهو الذي أراده الله لهم قدَرًا وشرعًا، واليوم يُعَوِّقك عن الجهاد دعاةٌ بل جماعاتٌ، يصدونك عنه بدعوى بلوغ المثالية وكثرة ذنوبك، وأنَّك لست أهلًا للجهاد ما دمت مذنبًا مُقصِّراً.

لعلك تحسب أنَّ كلام الحسن البصري السابق هو رأيٌ واجتهادٌ خاص به، والحق أنَّه حقيقةٌ وعقيدةٌ من عقائد القرآن والسنة لمن تدبرهما.

تدبر قول ربك ﷻ: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأَٰخِرَةِ﴾ [النساء:74]؛ وكأن الآية تهتف فينا: يا من تريدون بيع الدنيا بالآخرة جاهدوا.

إنَّها ليست آيةً واحدةً؛ إنَّه القرآن من أوله إلى آخره، يربط بين مغفرة الذنوب وبين الجهاد ربطًا وثيقًا، أمَّا أوله فقوله تعالى بسورة البقرة على لسان الرسول والمؤمنين: ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:286]، وأمَّا آخره فسورة النصر:

(1) رواه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم 17657.
(2) حلية الأولياء (6/157).
(3) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر:1-3].

إنك لتقرأ حديث القرآن في سورة آل عمران عن الجهاد؛ فإذا آيةٌ فيه عن الغُلول في الجهاد، والغُلول: أخذُ الشيء من المغانم خِفيةً، سبحان الله! مَنْ يأخذ من مغانم الجهاد خفيةً يا رب!، إنهم بعض المجاهدين، المجاهدون القائمون بذروة سنام الإسلام يا رب!، المجاهدون الذين يهاجرون ويغتربون ويكابدون أنواع الأهوال يا رب!، المجاهدون الذين يبذلون بالجهاد دماءهم وأرواحهم رخيصةً في سبيلك يا رب؟!، أجل هم المجاهدون؛ إنهم وإن كانوا خير أهل الأرض قاطبةً فهم في النهاية بشرٌ، يجاهدون حين يجاهدون بنفوسٍ بشريةٍ وقلوبٍ بشريةٍ وعقولٍ بشريةٍ لا ينفكُّون عنها، يزيد إيمانهم بالجهاد، وينقص بنوازع النفوس، ثم تُبَدِّد أوهامك عن الذنوب وحيلولتها بينك وبين الجهاد آيةٌ أخرى في حديث آل عمران نفسِه، آيةٌ يقول الله ﷻ فيها لأصحاب نبيه ﷺ و رضي الله عنهم: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا﴾ [آل عمران:152]، سادة العالمين بعد أنبيائك منهم من يريد الدنيا يا رب؟!، أجل هم الذين أراد بعضهم الدنيا وقد خرجوا مع رسول الله مقاتلين في سبيل الله.

هل بلغك أنَّ في الفقه بابًا اسمه «حكم إقامة الحدود في دار الحرب!»[1]، وبقطع النظر عن تفصيل هذه المسألة؛ فإنَّ حَسْبك العلمُ باختلاف الفقهاء في هذه المسألة، بعد تصورهم لوقوع موجبات الحدود من بعض الغزاة والمجاهدين في سبيل الله.

أمَّا السنَّة فحَسْبك منها العلمُ بخطأ أسامة بن زيدٍ (الحِبِّ بن الحِبِّ) رضي الله عنه في قَتل نفسٍ بعد إسلام صاحبها[2]، وخطأ خالد بن الوليد (سيف الله المسلول) رضي الله عنه في قتل جماعةٍ من الناس

(1) انظر: الأم للشافعي (374/7)، بدائع الصنائع للكاساني (131/7)، الغاية في اختصار النهاية للعز بن عبد السلام (193/7)، السنن للبيهقي (402/3).

(2) الحديث بتمامه في صحيح البخاري، حديث رقم 6872.

بعد إسلامهم[1]؛ فماذا صنع رسول الله ﷺ؟!، تبرَّأ إلى الله مما فعلا ولم يتبرأ منهما، ولم يقل قائلٌ من السلف الأوائل قبل الجهاد: لا يقاتِل الذين لم يتأهَّلوا للجهاد بترك المعاصي، ولا قال قائلٌ بعده: أمَا وقد عصى من المجاهدين من عصى فلا جهاد لهم تارةً أخرى، فدعوة الإسلام وواجباته تستوعب الجميع، وليست لأفرادٍ معينين ولا تيارٍ معين، تستوعب فاعل الحرام ما دام يعلم أنَّ الله هو الآمر الناهي، ويتوب كلما أذنب ويرجع إلى ربه، والله يغفر ويرشد ويسدد.

تلك حقيقةُ الحقِّ التي أردتُ إيصالها من حاشيتي هذه على كلام سيدنا الحسن البصري رضي الله عنه: الجهاد فريضةٌ على كل مسلمٍ، والمسلم لا ينفكُّ عن معصيةٍ من المعاصي جاهد أم لم يجاهد؛ بل قد يقارف المجاهد في سبيل الله كبيرةً من الكبائر، بل قد يكون ظالمًا لبعض الخلق، بل قد يكون على بدعةٍ من البدع، إنه مسلمٌ من المسلمين يصيب ويخطئ، وإنْ كان ليس كآحادهم فيما اختصه الله به من شرف الجهاد في سبيله.

فمن قال لك: من أنت أيها المذنب -بتفريطك في واجبٍ، أو بفعلك محرَّمًا- لتجاهد؟!، فقل له: أنا لأجل ذنوبي ما ظهر منها وما بطن أريد أن أجاهد، أريد الجهاد خَلاصًا منها بمغفرة الله العامة التي وعد بها على الجهاد، أريد الجهاد فإمَّا نصرٌ عسى ربي أن يجعل جزاءَه توبةً مِنهُ عليَّ، وإما شهادةٌ عسى ربي أن يغفر لي بها ما قدمتُ وما أخرتُ بأول قطرةٍ مهراقةٍ من دمي، أريد الجهاد ابتغاء رفعة ديني الذي فرَّطتُّ في قدْره ما فرَّطتْ، أريد الجهاد ابتغاء عِزِّ أمتي التي قصَّرتُ في حقوقها ما قصَّرتْ، أريد الجهاد جبرًا لمكسور ما بيني وبين الله.

رضي الله عن الحسن، وداوِ اللهم بالجهاد عِلَلَنا، واغفر به زَلَلَنا، وسُدَّ به خَلَلَنا.



(1) الحديث في صحيح البخاري، حديث رقم 7189.

وهمٌ ومغالطة

صادفتُ في منصة إكس دعاءً لطالب علمٍ يعيش في دويلةٍ من دويلات التطبيع، جاء في دعاءه: «اللهم احفظ استقرار هذا البلد... اللهم أنعم علينا بالخلافة».

استوقفني طويلاً هذا الدعاء المبني على مغالطةٍ تدلُّ على جهل المتكلم بسُنَنِ التدافع وبديهيات الوجود.

يا فلان.. استقرار ماذا ومَن؟!، يعني أنتَ حقاً مقتنع أنَّ الاستقرار الحالي هو لصالحك أو لصالح الإسلام؟!، أيُّ شيطانٍ لعين هذا الذي أقنعك بأنَّ الاستقرار محمودٌ لذاته؟!، أليس نموذج الخلافة كدولةٍ هو نموذجٌ مضادٌ ومغايرٌ جذرياً لنموذج دول هؤلاء الأنجاس؟، وهل يمكن أن تعود الخلافة إلا بسقوط هؤلاء الأنجاس؟، وهل قامتْ دولةٌ قط في تاريخ الوجود في غير سياق الفوضى والقتل والدمار واجتثاث الطغيان، ثم يأتي الاستقرار الحقيقي بعد ذلك؟.

قل: اللهم فوضى تجتث الطغيان، وتفتح بها منافذ قَدَرك ليُمَكَّنَ لدينك، هذا دعاء مَن عرف الله وفهم سنن الوجود.





السيرةُ النبويةُ المُعلِّمة

كنتُ قد مررتُ على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وطالعتُها أكثر من مرة، ولكنْ عقدتُ العزم على عقد درسٍ دوريٍ في سيرة النبي ﷺ في مسجدنا، فكنت أجتهد في تحضير الدرس بعون الله، فأطالع الرحيق المختوم للمباركفوري، وفقه السيرة للغزالي، وتعليقات الشيخ راغب السرجاني، والتاريخ الحقيقي للرسول للشيخ حازم أبو إسماعيل، وبناء فرد ودولة وأمة لشيخنا محمد الأسطل، واللؤلؤ المكنون للعازمي، وما استفدته من تعليقات الشيخ بسام الصفدي على الرحيق المختوم، وكانت رحلةً شيِّقةً منذ مطلع عام 2023 م، ووصلتُ عند حادثة الهجرة، وجاءت جولة طوفان الأقصى، فكنتُ أرى السيرة في كلِّ مشهدٍ وفي كل موطن، وسأشير إلى بعضها إشاراتٍ سريعة، والهدف هو أن نعلم أنَّ السيرة مثمرةٌ ومستمرةٌ ومتحركةٌ معنا، وليستْ قصصاً عابرة، بل كل أزمات الأمة لها مخرجٌ في السيرة.

وهذه بعض المحطات التي ينبغي على دعاة الأمة التركيز عليها في سيرة النبي ﷺ، لتعلم الأمة أنَّ السيرة مستمرة:

1- المقارنة بين الهجرة للحبشة وهجوم السابع من أكتوبر، وعدم تسجيل أي خرق أمني.

2- التشابه بين حادثة الهجرة إلى المدينة، والنزوح خلال الحرب.

3- التضخم السكاني في المدينة بعد الهجرة، ومقارنته بتكدس السكان في النزوح، والأخلاق الواجبة حينئذ.

4- غزوة بدر (قومٌ يريدون القافلة)، كما كنا نريد تحرير الأسرى، لكنَّ الله أراد إحقاق الحق.

5- أعياد النبي ﷺ وتوقيتها، وأعياد أهل غزة.

6- مقتل خيرة الرجال في أحد، ومقتل قيادات كبيرة في غزة، وحِكمة ذلك.



7- الأحلاف التي كان يعقدها النبي ﷺ، والاستفادة من ذلك في واقعنا وزماننا.

8- ابن مسعود والجهر بالقرآن، والقتال حتى النفس الأخير في معارك غزة.

9- حالة العالَم بلا وحيٍ سماوي قبل البعثة، والنظام العالمي القائم الآن.

10- أول ما نزل من القرآن[1]، وأهمية تربية المجتمعات عليه.

11- صلح الحديبية والفرق بينه وبين المعاهدات والسلام الدائم والتطبيع.

12- أسفار النبي ﷺ في الجهاد والدعوة.



(1) سورة العلق وتُمثِّل العلم، وسورة المدثر وتمثل العمل، وسورة المزمل وتمثل العبادة، وسورة القلم وتمثل الكتابة، وسورة الفاتحة وتمثل المنهج.



لماذا نكرر الدعاء

كن على يقين أنَّ دعواتك عند الله لا تضيع، ولا ينساها الله، بل ويرفع الله دعوة المظلوم فوق الغمام ويقول: (وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ)[1]، لقد كشف النبي ﷺ عن الحكمة في تكرار الدعاء وارتباط الدعاء بكثير من أفعال العبادة فقال: (إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَرَمْيُ الْجِمَارِ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ)[2]، ومعنى هذا: لأنَّ الله يحبُّ لك أن تذكره، فيحبك ويرفعك.

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في كتابه الماتع (فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء): «كما نُكرِّر الغسل حتى يطهر اللباس، كذلك نكرر الدعاء»[3].

منذ أن كنتُ في السابعة من عمري وأنا أسمع إمام المسجد يدعو قائلاً: «اللهم أرنا في اليهود يوماً أسوداً»، وكرَّرنا الدعاء أكثر من عشرين سنة حتى جاء يوم السابع من أكتوبر، وأرانا الله فيهم يوما عظيما، وسمَّاه اليهود (السبت الأسود)، نحن مُكلَّفون بالدعاء، ولسنا مكلفين بالإجابة، بل من جملة الاختبار ألا يجعل الله لك ما تريد ﴿أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ [النجم:24]، تصوَّرْ عذاباتِ الصحابة ودعاءَهم على الظالمين في مكة، ومقاساة العذاب، وطول أمد الابتلاء، ولكن الله يُمهل ولا يُهمل.

ألفيتُ أشدَّ أنواع البلاء، أن تدعو فلا يستجاب لك، وأن تبقى ملازما للدعاء بكل همَّة، اعلم أنَّ هذا من البلاء الذي يحتاج إلى صبرٍ ومصابرة، فقد تدعو الله ولا تجد الإجابة كما تريد، لكن على يقين أنَّها تحصل كما يريد الله، لقد كان بين دعاء إبراهيم عليه السلام ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة:129]، وبين استجابة دعائه خمسة آلاف عام تقريباً.

(1) سنن الترمذي، حديث رقم 2526.
(2) سنن أبي داود، حديث رقم 1888.
(3) فن الذكر والدعاء، ص52.

إذا دعوتَ الله ﷻ فلم ترَ إجابة دعائك، فلا تقل: دعوتُ ولم يُستجب لي!، بل قل: دعوتُ فلم يستجب لي كما أريد، وإنما استجيب لي كما يريد الله ﷻ، فقد تكون الاستجابة ألا يتحقق مُرادك، وقد تكون الاستجابة في أن يمنع الله عنك مُرادك، وقد تكون الإجابة مُدَّخرة لك في لآخرة ولَم تُعجَّل لك في الدنيا، أتدري لماذا؟؟!، لأنَّ علاقتنا مع الله الحكيم ليست مبنيةً على الأمنيات!!، ولأن الله أرحم بك من نفسك، قال ﷺ: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ الله بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا ، قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ: الله أَكْثَرُ)[1].

بعض المسلمين يريد إله الأمنيات، يريد منه أن يُلَبِّي له كلَّ طلباته، هذا لا يصلح مع الإيمان ومفهوم العبودية، والخلاصة في أصدق الكلام، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحج:11].



(1) مسند الإمام أحمد (213/17)، حديث رقم 11133.



مخمصةٌ في سبيل الله

(هَذَا أَوَّلُ طَعَامٍ أَكَلَهُ أَبُوكِ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ)[1]، لقد قالها النبي ﷺ لابنته فاطمة رضي الله عنها عندما ناولتْه كِسرة خبز، قرأتُ هذا الحديث قديماً، لكن لم أتصور الحال، ومثلُه حديث عائشة رضي الله عنها: (إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الهِلَالِ، ثُمَّ الهِلَالِ، ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَارٌ)[2].

لقد مرَّتْ الأيام ولم نأكل الطعام، ومرتْ أسابيع وأشهر ولم يوقد في بيوتنا نار، فَمِنَّا من هو خارجٌ للغزو، وَمِنَّا من فارق أهله فلا يرى أمَّاً ولا زوجاً تُعِدُّ له طعاماً، إنَّ ذلك كُلَّه يهون في سبيل الله، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة:120].

وممَّا زاد المخمصة والجوع علينا أخلاقُ بعض التُجَّار الفُجَّار، الذين أرادوا بناء غناهم من بطون الجوعى والفقراء، ويا ويلهم من الله، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنِ احْتَكَرَ يُرِيدُ أَنْ يُغَالِيَ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ خَاطِئٌ، وَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهِ)[3].

كنَّا دائما ننظر إلى الأمور بإيجابية ونبحث عن المِنح وسط المِحن، فنحسب أنَّ الله يُربِّي بهذه الشدائد جيلاً عنيداً، جيلاً تعوَّد على قسوة العيش ونبذ المدنية والترف، لأنَّ الترف والرَّغد بريدُ الفساد، قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: 16]، وقوله (أَمَرْنَا) هنا بِمَعْنَى أَكْثَرْنَا، أَيْ أَكْثَرْنَا مُتْرَفِيهَا

(1) مسند الإمام أحمد، حديث رقم 13223.
(2) صحيح البخاري، حديث رقم 2567.
(3) السنن الكبرى للبيهقي (6/ 49)، حديث رقم 11149.

فَفَسَقُوا، وَيَدُلُّ لِذَلِكَ حَدِيثِ النَّبِيَّ ﷺ الذي قَالَ فيه: (خَيْرُ مَالِ امْرِئٍ مُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ)[1][2]، فاللهم إنا نسألك الستر والعافية، ونعوذ بك من التَرَف والبَطَر.





(1) أي كَثِيرَةُ النَّسْلِ والنتاج. والحديث في مسند الإمام أحمد، حديث رقم 15845.

(2) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (3/ 76).



ليلةٌ في المستشفى

اضطررتُ للمبيت في المستشفى في ليلةٍ دامية، فرأيتُ مشاهدَ هدَّت قُوَّتي، وأُصبتُ بالإرهاق النفسي، لا تذهبُ من ذاكرتي صورةُ بلاط المستشفى وهو مليءٌ بالجثث والجرحى، فلا تستطيع وضع قدمك إلا بحذرٍ شديد، ولا تغيبُ من ذاكرتي صور الأطفال المصابين وأنا أعبر ممر المستشفى وأحدهم يمسك بقدمي ويقول: ماء ماء، لقد رأيتُ فوق المئة شهيد، ومثلهم مصابون وأكثر، والله إنَّ أصوات المصابين وآهاتِ الجرحى كانت تدقُّ في أعماق قلبي.

«مات أبوكي يمَّا»، لا يزال صدى هذه العبارة يتردد في أذني، امرأةٌ قُتل زوجها وقُصف بيتها، وتم إخراجها من تحت الأنقاض هي وابنتها، باتتْ من الساعة الحادية عشر ليلاً حتى الفجر وهي تبكي وتقول: «مات أبوكي يمَّا، مات سندنا».

لقد رأيتُ الدماء في كل مكان، لقد كان قرار بتر القدم أو اليد هو الخيار الوحيد للحفاظ على حياة المصاب في ظل نقص المعدات الطبية ونقص كل شيء، صديقنا أُصيب بشظيةٍ في قدمه، ولعدم توفر مقدرة ومعدات صحية بُترتْ قدمه -صبَّره الله-، رأيتُ المصابين وهم ملقون على الأرض بدون مرافقين، ولا يوجد مُتَّسَعٌ لهم، ولا حتى أَسِرَّة بيضاء.

لقد كانتْ رائحة الجثث في كلِّ مكان، رأيتُ الدُّود وهو يأكل الجثث، رأيتُ جثثاً صارت عظماً وهجمتْ القطط والكلاب على العظام!! لقد كرَّرتُ دعاء النبي ﷺ: (الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلاً)(1) عشرات المرات.

إنَّ أهل العافية غرقى في العافية والله، والإنسان ظلومٌ كفار، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: 34].

(1) سنن الترمذي، حديث رقم 3431.



وقال ﷺ: (نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ)[1].

إنّ أهل البلاء اليوم في كربٍ وشدة، ولكنهم هم السعداء الآمنون المغبوطون غداً، قال ﷺ: (يَوَدُّ أَهْلُ العَافِيَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ البَلاَءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالمَقَارِيضِ)[2]، وأهل البلاء هم المرفوعون عند الله ﷻ في الدرجات العلى، يقول النبي ﷺ: (إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ، لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ ابْتَلاهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ، أَوْ فِي مَالِهِ، أَوْ فِي وَلَدِهِ، ثُمَّ صَبَّرَهُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يُبْلِغَهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى)[3].

تمنيتُ وأنا في المستشفى أن أكون طبيباً، كي أحاول إنقاذ عشرات الأرواح، لقد مات كثيرٌ من الجرحى بسبب الانتظار على غرفة العمليات، ولعدم وجود معداتٍ وكادرٍ طبيٍ يكفي لمداواة هؤلاء، وهنا تحية إجلالٍ للأطباء المُخلِصين الذين لم يتركوا ثغورهم رغم الخطر وقِلة الإمكانيات، رأيتُ طاقم الأطباء يُجري عمليةً جراحيةً على ضوء جهاز الهاتف.

إنَّ همومي مهما كانت كثيرةً أو كبيرةً في نظري، فإنّها أقلُّ من شابٍّ بُترت يده أو قدمه، أو ذهب بصره، أو فقد سمعه

وختاماً: أقول لك يا أخي، يا من قضيتَ عمرك تنظر وتتابع أهل الرغد والترف، وتقارن نفسك بهم وتتحسر، وتقول أين نصيبي؟!، ولماذا أنا لستُ مثلهم؟! ،صدِّقني إنَّ ليلةً واحدةً في المستشفى ستجعلك تستحيي من ربك، فالحمد لله في السراء والضراء، واللهم عافنا في أبداننا.



(1) صحيح البخاري، حديث رقم 6412.
(2) سنن الترمذي، حديث رقم 2402.
(3) سنن أبي داود، حديث رقم 3090.



أكاديمية دار القرآن الكريم والسنة الإلكترونية العالمية[1]

تأسستْ هذه الأكاديمية المباركة عام 2015 م، وكانت في بدايتها مقرأةً إلكترونيةً لإقراء القرآن وتعليمه، ثم توسَّعت وأصبحت تُدرِّس القرآن الكريم في أكثر من مئة دولةٍ حول العالم[2].

زرتُ مكان الأكاديمية في الشهر الثالث للحرب، فرأيتُ المكان مدمَّراً -دمَّر الله ديارهم-، ولي في هذا المقام وقفتان:

الأولى: استشهاد أحد معلمي الأكاديمية هو وعائلته، وهو الشهيد محمد حمودة رحمه الله، وقد أحزننا فقده كثيراً، لكنْ هنيئاً لأخينا هذه الخاتمة، فاللهم إنَّا نَشهد أنَّه كان مُبلِّغاً عنك، مُعلِّماً للقرآن، فاجعل يا ربِّ مِداد العلم ودم الشهادة شفيعاً له يوم التناد.

الثانية: عَكَفْنَا في الفترة الأخيرة قبل الحرب على إعداد برامج علميةٍ مكثفةٍ ونافعةٍ لأبناء الأمة الإسلامية، كان من أجملها برنامج مثاني[3]، الذي سعينا من خلاله لتحريك الأمة بالقرآن، وإنْ مدَّ الله في الأعمار سنجتهد في إعداد دبلوم (رباط)، ونهدف من خلاله إلى أمرين:

الأول: تقديم تجربةٍ عمليةٍ لأبناء أمة الإسلام، فغالب البرامج المطروحة تدل الشاب المسلم على طريق السلامة الدنيوية، لكنَّنَا نريد أن نَدُلَّه على طريق السلامة الأُخروية، ونُوصِله إلى آخر الطريق بأن ينال الشهادة في سبيل الله، أو يشهد نصراً مؤزراً، يكون هو سبباً فيه.

---

(1) الشيء بالشيء يُذكر، من عيون المطويات التي تمت قبل حرب طوفان الأقصى بيومين (مدونة صفوة الحفاظ)، لتحميلها اضغط هنا: https://drive.google.com/file/d/1PoRgU7-pXz2eJIaRMR4nDucxDwD4n6CE/view?usp=sharing

(2) هذه هي قناة الأكاديمية عبر التيلجرام. https://t.me/ERQURANY

(3) رابط حفل الفصل الأول من مثاني: https://www.youtube.com/watch?v=Dal_vQYfBsQ



الثاني: الإحساس بالانتماء لأمةٍ عظيمة، تحتاج مِنَّا العطاء والبذل، فالبرنامج يحتوي على خُطط ومشاريع تَخرُّج ستُقدَّم لقيادة العمل المجاهد، من شأنها أن تنفع وتُغيِّر بإذن الله، وقد استفدنا كثيرا من مادةٍ قام بإعدادها مجموعةٌ من العلماء وطلبة العلم حول موضوع الإعداد، وأرسلوها لنا للاستفادة منها، وهَاكَ نسخةٌ منها[1].



(1) https://drive.google.com/file/d/1WvK6RQYI_XVyZrX7EpVRUUeKgjIZONwo/view?usp=sharing



بركة حفظ العلم في الصدور

يزعم بعض المتعالمين أنَّه لا فائدة من الحفظ، وأنَّ المهم هو الفهم، وقد رأيتُ بعضَ من كتب ذلك، فأقول مستعينا بالله:

إنَّ من أعظم شُعب الإيمان (حفظ العلم في الصدور)، كما قال ربنا: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: 49]، ولو لم يكن في فضل حفظ العلم إلا بركة دعاء سيدي رسول الله ﷺ لكفى: (نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ)[1].

كلُّ من يقول أنَّ الحفظ غير مهم، يُضمر في نفسه رهبةً أمام حُفَّاظ العلم، وذهولًا منهم إذا بدأوا في سرد محفوظاتهم، وهذا مُشاهَدٌ، والذين يزعمون أنَّ الحفظ غير مُهمٍّ للأسف لا يفهمون معنى الحفظ، فضلاً عن معنى التدبر لغة وشرعاً صدقوني..!

يظن الكثير أنَّ المقصود بحفظ القرآن هو مجرد التكرار، وهذا صحيحٌ جزئيًا، فتكرار اللفظ طريقٌ عمليٌّ فعّالٌ لحفظ العلم، لكنَّه ليس هو الطريق الوحيد، بل الصحيح -ودقِّق يا مُوفَّق- أنَّ كل وسائل معاناة العلم بإدمان النظر فيه وطول الصُّحبة والتأمل والشرح والتلخيص والمدراسة وبحث مسائله، كلُّها من وسائل حفظ العلم ورسوخه في الذهن، فالذي يحفظ القرآن يكون غالباً قد تأمل ولخَّص وبحث وسأل وتفكَّر وتدارس مئات المرات، وصاحَب القرآن ليلاً ونهاراً.

كلَّما حَفِظَ طالب العلم قدرًا أكبر من المعارف زادت إمكانياته، فتيسَّر له فهمُ مقدمات العلوم، وصارتْ بيده مفاتحها، وقد كان السلف في القرون المفضلة منهمكون في حفظ

(1) سنن الترمذي، حديث رقم 2656.

العلم، فيحفظون ألفاظ النصوص الشرعية وآثار الصحابة والأسانيد وأحوال الرواة وتاريخ وفيات الأعيان ولغة العرب وشواهدها ونحوها من المعلومات، واستمر منهج الحفظ في الأمة قروناً طويلة، حتى شاع مصطلح الحافظ بين العلماء لكثرة ما كان يحفظ.

والحفظ من جهة نفس المحفوظ نوعان، حفظ ألفاظٍ وتراكيب: وهو حفظ التكرار، وحفظ معانٍ: وهو حفظ الأذكياء أو حفظ المعرفة، وهو الغالب على الفقهاء، والنوع الثاني مشابهٌ لما وَصف به الحافظ السخاوي شيخَه ابنَ حجر العسقلاني قائلا: «كان رحمه الله رُزق في صغره سرعة الحفظ بحيث يحفظ كل يوم نصف حزب، وبلغ من أمره في ذلك أنه حفظ سورة مريم في يومٍ واحد، وأنَّه كان في أكثر الأيام يُصحِّحُ الصفحة من الحاوي الصغير ثم يقرأها تأملًا مرة أخرى، ثم يعرضها في الثالثة حفظًا، ولم يكن حِفظُه الدرس على طريقة الأطفال، بل كان حِفْظُهُ تأملًا على طريقة الأذكياء في ذلك غالبًا»[1].

وللحفظ نوعٌ ثالثٌ أضيفه من عندي، وهو حفظ الأغبياء، وهو من لا يحفظ شيئاً ولا يريد لغيره أن يحفظ، ويزعم أنَّه مشتغل بالفهم والتدبر، ويزداد صفاقةً إذا بدأ يستدل بالقرآن على أن الحفظ غير مطلوب شرعاً والمطلوب هو التدبر فقط... فيظنُّ أنَّه فَهَّامة عصره، والحقيقة أنه مصيبة أهلِه!!، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

نحن في حلقات التحفيظ من عشرين سنة وزيادة والحمد لله، ولم نسمع يوماً مُعلماً يقول لنا: أوصيك أن تحفظ ولا تفهم!، بل كلُّ من يقول لنا: احفظ يقول لنا: افهم، ولكن المصيبة في من يقول: افهم ولا تحفظ!، وختاماً: أسأل الله أن يوسع لكم في أوقاتكم وأقواتكم.



(1) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (124/1).



أحرفٌ في صفوة الحُفَّاظ

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [القصص: 86]، هذه الآية لا تغيب عنِّي، فما كنتُ أرجو واللهِ هذا الفضل، غَمَرَنا الله برحمته وفضله، وسعادتي برؤية إخواني الساردين من حولي كانت عظيمة، فعن يمينك وشمالك أحبةٌ يرتلون القرآن عن ظهر غيب، لطالما دعوتُ الله بذلك، فاللهم لك الحمد.

ما معنى سرد القرآن على جلسةٍ واحدةٍ؟؟، سأجتهد في الإجابة قدر المستطاع، لأني لا أملك أن أُجيب إجابةً وافية، فأقول مستعيناً بالله:

سرد القرآن يعني أن تمرَّ على كلِّ قصص القرآن قصةً قصة وموقفاً موقفاً، فتسرد قصة سيدنا آدم عليه السلام وخَلقه، ومعركته مع إبليس، ثم دعاء سيدنا آدم واستغفاره وتوبة الله عليه... وقصة سيدنا نوح عليه السلام مع قومه، وحمله همَّ دعوته، وابتلاءات الله له...، وقصة إمام التوحيد إبراهيم عليه السلام وجهاده الطويل مع أبيه وقومه والملك الظالم، وثمَّة شيءٌ عَجَبٌ في قصة سيدنا إبراهيم في سورة مريم، ما أحنَّها على القلب، وقصص سورتي الشعراء والصافات وعظمة المواقف، وقصة نبي الله موسى عليه السلام، وهي الأكثر ثراءً من حيث الفعاليات والأحداث والعلاقات الإنسانية المتشابكة والمواقف المتغايرة والتقلبات، فأنت تقرأ لسيدنا موسى حياتين وتاريخين، حيث كان كلُّ نَّبي يعيش مع قومه حتى يهلكهم الله وينجو بمن ينجو من أهل الاتِّباع والإسلام، لكنَّ موسى عليه السلام عاش حياتين؛ عاش مع فرعون حتى أهلكه الله، ثم استمر في دعوة بني إسرائيل حتى أضلهم الله في الصحراء، ومات موسى عليه السلام وبني إسرائيل في التيه، وأنت تقرأ قصة نبي الله موسى مع فرعون وبني إسرائيل، تتجسد أمامك مشكلات العصر من شعوبٍ مقهورة وحاكمٍ مستبدٍ طاغية، وداعيةٍ مصلح، ومؤمنون ومنافقون، وملأٌ متكبرٌ وأغلبيةٌ صامتة، وسننٌ وابتلاءات،

ومعجزاتٌ وكرامات، وإهلاكٌ ونجاة، وشكرانٌ وكفران...، قصة سيدنا موسى تحتاج مجالس تفسير خاصة بها والله!، أثناء مرورك على قصص القرآن يبرز قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، فيقف القلب والله!.

سرد القرآن على جلسةٍ واحدة يعني أن تقرأ آلاف الآيات التي تُحدِّثك عن الله وتُعرِّفك به في عشر ساعات، بينما على وجه الكرة الأرضية ستة مليار شخص تقريباً لم يُشرِّفوا أنفسهم بمعرفة هذا الإله العظيم.

سرد القرآن على جلسةٍ واحدة يعني أن تُجدد إيمانك بالرسول ﷺ، لتعلم حقيقة النور الذي جاءنا ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾[المائدة:15]، فتقرأ آيةً تُقرِّر أنَّ ترك الإيمان به كفرٌ وضلال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[النساء: 170]، وآيةٌ أخرى تُقرِّر أركان الإيمان ومنها الإيمان بالرسول ﷺ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[النساء: 136]، وآيةٌ تجمع بين التقوى وبين الإيمان به ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الحديد: 28]، إنَّه النور مرةً أخرى، لكنه هنا مقرونٌ بالرحمة!، وآيةٌ ما رأيت أصرح منها ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾[الفتح: 13]، يا حسرة من ضَلُّوا طريق محمدٍ ﷺ، وزعموا أنَّ مجرد العلاقة مع الله تُغني عن باقي الأركان، ويا سعد من آمن وعمل الصالحات وآمن بما نُزِّل على محمد ﷺ.

سرد القرآن يُوقِفك أمام أهم معاني عِزَّة المؤمن، في الزمن الذي تنتشر فيه تصوراتٌ بأنَّ الأمم الغربية قوةٌ لا تُقهر، وتقرأ في كتاباتهم مصطلح «المعجزة الغربية»، وما يحمله هذا المصطلح من إيحاءات الاستسلام والهزيمة...، ولأنَّ العليم الخبير ﷻ يعلم مايتسرب إلى النفوس من هذه التصورات فقد نبَّهنا سبحانه بكثيرٍ من الآيات التي تعالج هذه الظاهرة، ومن أحبها للقلب قول الله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [النور: 57]، ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ [الأنفال: 59]، ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ [آل عمران: 196].

سرد القرآن يعني أن تسرد سورةَ الأنعام، فتشعر أنَّ سبعين ألف مَلكٍ قد أحاطوا بك ليستغفروا لك..!!، فقد روى الطبراني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (نَزَلَتْ عَلَيَّ سُورَةُ الْأَنْعَامِ جُمْلَةً وَاحِدَةً يُشَيِّعُهَا سَبْعُونَ أَلْفِ مَلَكٍ لَهُمْ زَجَلٌ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ)[1].

سرد القرآن يعني أن تسرد سورة النحل فَتَتَنَقَّل في أجمل لوحةٍ فنيةٍ كونيةٍ ممكن أن تتخيلها، هي لوحةٌ من صنع الله وبكلمات الله!، صدِّقني هي أجمل بكثيرٍ من قصور باريس وشوارع نيويورك، ومن كل الصناعات الألمانية، ولكنَّ قومي لا يعلمون.

في يوم السرد العظيم الأَغَر أنْ تكون واحداً ضمن مئات الحفاظ لكتاب الله الذين يسردون القرآن على جلسةٍ واحدة، معناه أنَّ عباداً كُثر غيري يتعبدون الله بسرد الأجزاء، ويثنون عليه بأحبِّ شيءٍ إليه، ليس قلبي فقط هو من يحمل القرآن، بل أنا أحد هؤلاء، فقلوبٌ كثيرةٌ تتعبد الله، وتتعرف عليه من خلال تكرار الآيات، فناديتُ بلسان حالي ومقالي: «إنْ قصَّرتُ فاجبرني يا ربِّ بإخواني»، وظنِّي بإلهي الجميل أنه سيفعل!.

(1) المعجم الصغير للطبراني (145/1)، حديث رقم 220.



كانت نفسي المسكينة تُصوِّر لي أنني تعرفت على عظمة هذا الكتاب العظيم خلال العشر سنوات الأخيرة..!!، لكن حقاً لقد تكشَّف لي يوم السرد قبسٌ من العظمة، فأيقنتُ أنَّ هذا القرآن عظيم.. عظيم ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87].

عن عظمة الاجتماع على القرآن أُحدِّثكم، عن عظمة انسدال سورةٍ بعد سورة أُحَدِّثُكم، عن عظمة جيشٍ يسعى لخدمة الحافظين أُحَدِّثُكم، عن عظمة لحظة ختم القرآن أُحَدِّثُكم، عن عظمة الفاتحة بعد الختم استبشاراً بختمة جديدة، عن عظمة شيوخنا وعظمة أجورهم أُحَدِّثُكم، عن عظمة آلاف الختمات في مكانٍ واحدٍ أُحَدِّثُكم، عن عظمة آيات وصف ربي جل وعلا أُحَدِّثُكم، عن عظمة سرد قصص القرآن مجتمعةً أُحَدِّثُكم، فأيقنتُ أنني لا زلتُ طفلاً صغيراً أمام جبال العظمة القرآنية[1].

اللهم ارزق قلوبنا حُبَّ كتابك، اللهم إني لا أُطيق عن القرآن بُعداً، فأعنِّي على نفسي، وأكرمني وإنْ كنتُ لا أستحق[2].



(1) وهذه صورة للشهيد يوم السرد المبارك في مشروع صفوة الحفاظ:
https://drive.google.com/file/d/1xzXeVmDMzAne3RcuhBR066GNaS_vIdxn/view?usp=sharing

(2) وهذه صورة أخرى للشهيد في يوم الصفوة المبارك:
https://drive.google.com/file/d/1qXoLqTKKuQM0z9ZjSibyPCbojLaEUelW/view?usp=sharing



تدبر القرآن المكي

ما أعظم القرآن المكي، وما أحوجنا إلى تدبره والتوقف معه، وسأختار عدداً من السور المكية التي نزلت في أول البعثة والرسالة، ونتوقف مع بعض الآيات منها لما لها من أثرٍ عظيم في ترسيخ الإيمان وتعزيز اليقين، وخاصة أنها نزلت في مرحلة الاستضعاف والتعذيب، لكنها كانت مليئةً باستعلاء الإيمان، ومُطمئِنةً بعاقبة المؤمنين في الدنيا والآخرة.

تدبرٌ في سورة الفجر

سأبدأ مع سورة الفجر، وما أجمل مطلعها...!، سكينةُ الفجر!، وهدوءُ الليل!، ودويُّ الليالي العشر، وصلاةٌ يحبها الله، والشفع والوتر، ثم تنتقل السورة إلى شدائد عجيبة، مشهد لهلاك عاد إرم، وقوم ثمود، وطغيان فرعون...، وهكذا الحياة سكينة وشكيمة...!.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ إنَّ هذا المقطع نزل من أوائل ما نزل، أيْ وقتُ تعذيب قريش لضعفاء الصحابة، روى الإمام أحمد في مسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «أوَّلُ من أظهَرَ إسلامَه سَبعةٌ: رَسولُ اللهِ ﷺ، وأبو بكرٍ، وعَمَّارٌ، وأمُّه سُمَيَّةُ، وصُهَيبٌ، وبِلالٌ، والمِقْدادُ؛ فأمَّا رَسولُ اللهِ ﷺ فمنَعَه اللهُ بعَمِّه أبي طالِبٍ، وأمَّا أبو بكرٍ فمَنَعه اللهُ بقَومِه، وأمَّا سائِرُهم فأخَذَهم المشرِكونَ فألبَسوهم أدراعَ الحديدِ وصَهَروهم في الشَّمسِ، فما منهم إنسانٌ إلَّا وقد واتاهم على ما أرادوا إلَّا بلالٌ؛ فإنَّه هانت عليه نَفْسُه في اللهِ، وهان على قَوْمِه، فأعطَوه الوِلْدانَ وأخَذوا يَطوفون به شِعابَ مكَّةَ وهو يقولُ: أحَدٌ أحَدٌ»[1].

(1) مسند الإمام أحمد، حديث رقم 3832.



﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ إنَّها رسالةٌ قويةٌ وجديدة!، مِن وراء كلِّ المصارع تنزل الطمأنينة، فالله يرقب ويراقب، الله يرصدهم...، أناة الله حيَّرت قلوب الظالمين، أنفاسهم تُعَد فلا تعجل عليهم!

﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ، وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ﴾، فليوثقوكم كما شاؤوا، فسيوثقهم الله وثاقاً فوق التصورات والظنون، يا أهل القيد والوِثاق، يا أسرانا في السجون، يا علماء الأمة في السجون... تذكَّروا ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ﴾!!، أسأل الله أن يوثق من أوثقكم، وأن يحبسه في دمه ونفَسه.

ثمَّ اللهَ اللهَ في خاتمة السورة وهي تنزل على أولئك المبتلين بالتعذيب والمُوثَقين.. ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾، هكذا في عطفٍ وقُرْبٍ وسط كل العذابات! ...يا أيتها النفس المطمئنة بمجيء اليوم الآخر، ارجعي إلى دارك الحقيقية، بعد غُربة الأرض وفُراق وطنك.. الجنة!، النفس المطمئنة للقدر، للسراء والضراء، للبسط والقبض...، مكانك هو بين العباد في جَنَّات القُربات.





تدبرٌ في سورة الضحى

سورة الضحى هدهدةٌ ولمسة حنانٍ على قلب النبي ﷺ بعد أن انقطع الوحي عنه فترة، فقال المشركون: لقد وَدَعَ محمداً ربُّه!!.

هل تعرف ما معنى أن ينقطع الوحي والنبي في أمس الحاجة إليه؟، الوحي هو الذي يدير المعركة، فكيف يترُك نبيٌّ في أرض المعركة بلا وحي؟!، لذلك لمَّا نزلت سورة الضحى كبّر النبي ﷺ، وقد استحبَّ بعض الفقهاء التكبير عند بداية كل سورة من سورة الضحى إلى سورة الناس عند الختم، ثم نزلت سورة الشرح بعد سورة الضحى زيادةً في الفرج.

أرأيتَ حاجة النبي ﷺ للوحي؟، فيا ترى ما هي حاجتي وحاجتك له!!، هل تعلم أننا غرباء مجاهيل بدون الوحي؟!، وهكذا سيكون حالي بدون الوحي: لا أعرف شيئا عن أعظم آية.. آية الكرسي!!، ولم أسمع قبل ذلك بسورة قل هو الله أحد!!، ولا أسمع القرآن وأنصت وأتدبر فأُرحم!!، ولا أحفظ الأذكار!!، ولا أقول كل يوم: سبحان ربي الأعلى!!، وليس لدي وازع داخلي للندم على المعصية ومراقبة الله..!!، وأنام دون أن أصلي العشاء!!، ولم أقرأ سورة الكهف قبل ذلك!!، ولا أعرف محمداً ﷺ!!، ولم أتفكه بسورة الرحمن ويوسف ومريم ويونس والأنعام!!، ولا أعرف شيئاً عن رمضان وعبادة الصيام !!، قال ربي ﷻ: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٢ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الحجر:1-3]، قد نكون أقوياء ولكن لا قيمة لنا بدون الله!!، ممارسة الحياة بأكلٍ وشربٍ ونومٍ تساوي حياة دابّة دَسَّت فمها في مِزْوَدها ثم انصرفت!!، وللأسف هذه حياة ملايين البشر الذين لا يعرفون الله!.



اقرأ بقلبك: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾، وتأمل الحديث القدسي: (يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ)[1]، فتحتَ عينيك يا محمد على عالمٍ يَعِجُّ بالتصورات الجاهلية المضطربة، فأنقذك الله بالوحي، الله لم يتركك قبل النبوة أفيتركك بعدها؟؟!.

إلهَنا.. الضحى ضُحاك، والجمالُ جمالك، والبهاءُ بهاؤك، والعطاءُ عطاؤك، والرضا رضاك، والجلالُ جلالك، والسعادة جنتك، والبقاء لذاتك، والفناء لخلقك... سبحانك ربنا ما أعظمك، دُلَّني عليك.. وكِلني كيلاً يليق بفضلك لا بفقري، اللهم صلِّ على من نزلت عليه سورة الضحى.



(1) صحيح مسلم، حديث رقم 2577.



تدبرٌ في سورة القلم

﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ﴾، تجربة سيدنا يونس عليه السلام تجربةٌ مليئةٌ بالعِبر...، والغريبُ أنَّ فيها درساً عظيماً للجماعات الإسلامية العاملة!.

ألا ترون في هذه القصة أنَّ الله عز وجل قد عاقب الداعية وترك المدعويين!!، وذلك أنَّ سيدنا يونس عليه السلام شقَّ عليه تلكُّؤ قومه في الاستجابة، فتركهم مُغاضباً... فالتقمه الحوت وهو مليم، أي عندما أتى يونس عليه السلام بما يُلام عليه!.

عندما ينظر الداعية في زماننا لنفسه ويبحث عن راحته على حساب دعوته، عندما يستميت للبحث عن أنانيته، عندما تتفرغ الجماعات للفروع وتترك عظائم الأمور، عندما ننشغل بالأشخاص وننسى المبادئ، عندما ننشغل بالخلافات ونترك أولويات الخطاب الدعوي من تحقيق العبودية وواجب النصرة للأقصى والأسرى والمستضعفين ومتطلبات الصراع في هذه المرحلة... فقد يعاقب الله الجماعات (الدُعاة) ويترك المدعويين!.

تصوَّر أنَّ هذه الدروس نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في اللحظات الأولى من التأسيس في المرحلة المكية، لأنَّ سورة القلم من أول السور نزولاً، ولعلها رابع سورةٍ نزلتْ!!، النبيُّ لا زال يُكوِّن الفريق المؤسِّس.. فتنزل هذه الوصايا للجماعة المسلمة، ولا تكن كصاحب الحوت!!.

والرسالة إلينا في هذا: كلما انشغلتَ بالأشخاص وتركتَ المبادئ، كلما انشغلتَ بالفروع وتركتَ الأصول وواجب الوقت، فاعلم أنك قد جانبتَ الصواب!.





تدبرٌ في سورة ص

سورة ص كان لها وقعٌ خاص على آذان القرشيين في المرحلة المكية، وتنبَّه في أول رسالةٍ في هذه السورة كيف أنَّ هذا الحرف يُمد ست حركات (صاااااااد)، وأثر ذلك على سامعه!!، الله هو الذي خلق هذا الحرف في حناجركم، وهو من صِنعة الله، وهو الذي خلق الحنجرة وما خرج منها من أصوات، ولا تملكون معاشر الكفرة أن تصنعوا هذه الحنجرة الحية التي تُخرج الأصوات!!، أفيبغي الواحد منكم أن يُغيِّر نواميس الكون وقوانينه؟!، هل يملك كفرة قريش الخزائن؟ أم لهم مُلك السماوات ليعترضوا ﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَا﴾؟!، هل يستطيعون أن يرقوا الأسباب أو يبتغوا إلى العرش سبيلاً؟!، غاية ما تصلون إليه يا كفرة قريش أنكم ﴿جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾!!.

وهذا هو حال الطغاة في كلِّ زمان، يظنُّون أنَّهم قادرون، والحقيقة أنَّهم عاجزون، هل رأيتَ اليهود اليوم بترساناتهم وتبجحهم، يظنُّون أنَّ السماء خاضعةٌ لهم، والحقيقة أنَّهم لا شأن لهم فيما يجري في ملك الله ﴿جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾!!، (جندٌ ما): جندٌ مجهول منكر.. هين الشأن!!، (مهزوم): كأنَّ الهزيمة صفةٌ لازمةٌ لهم، لاصقةٌ بهم، موصولةٌ بكيانهم، (من الأحزاب): من الاتجاهات المختلفة المحاربة لأولياء الله، المتشتتة لكلٍّ منهم رأي!!، فاللهم اشدُد وطأتك على يهود، ومزِّقهم شرَّ مُمَزَّقٍ يا رب.





تدبرٌ في سورة يس

القرآن المكي طافحٌ بآيات الكون الفسيح، ولطالما أعياني أن أعرف الحكمة من هذا؟!، والحقيقة أنَّه ليس لنا من علوم الكون إلا قُصاصاتٍ صغيرة، ولا يتسع عمرنا المحدود لإدراكها كلها ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء:85].

أحسب أنَّ سورة يس قد أخذت قريش إلى رحلةٍ في الكون العابد، من فرشه إلى عرشه، والقوم على فريقين، قوم يبصرون، وقوم سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون!، فتَنَقَّلتْ الآيات بين الأرض الميتة والأزواج كلِّها والشمس التي تجري وتَسْبحُ، والقمر وتقلباته، والفلك المشحون والأنعام، ثم مركزية الحياة الأخرى بعد الموت، رسائل كثيرة تحملها الآيات، نعرف بعضها ونجهل الكثير.

الرجل العربي كان يحسب نفسه مفصولاً عن الكون، وكلُّ قطعةٍ في الكون تُدبِّر أمرها بنفسها، وإلهُ هذا العالم خلق وترك واعتزل!، فجاءتْ سورة يس وغيرها تُخبره أنه جزءٌ من هذا الكون، وأنَّ هذا الكون كُلَّه مُسبِّحٌ عابد، ثمَّ أنتَ أيها الإنسان أَخٌ لذلك الكوكب الآفل في السماء، فهو يسجد ويُسَبِّحُ ويخضع ولا يخرج عن مساره، فما بالك خارجٌ عن مسارك، شاذٌ عن خشوع الكون والكائنات؟!، ﴿أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨١ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [يس:81-83].

آياتٌ مثل هذه كانت تُشكِّل هزَّةً للعقل البشري آنذاك!، وهذا المعنى متكررٌ في غالب السور المكية، مشهد جمع الكون في إطار واحد، كما في سورة الشمس، والليل، والتكوير، والقيامة، والمرسلات، ونوح، وغيرها كثير، ثمَّ إنَّ معاني القرآن معينٌ لا ينضب، فهذه رسالةٌ

للإنسان الحديث - إنسان ما بعد الحداثة!-: اعلم أنَّ مفارقة أيِّ شيءٍ لمساره يُخرجه من نسق الجمال إلى عبثية القُبح، فالشمس لم تزل جميلةً في مدارها الذي كتبه الله تبارك وتعالى لها، والقمر لم يزل منيراً يرسل سكينته الضوئية بالتزامه حدَّه الذي حدَّه الله تبارك وتعالى له، وكذلك كلُّ شيءٍ في هذا العالم، ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾، وأعظم جمالٍ للعبد أن يلتزم معنى عبوديته، فإنَّ ذلك مقتضى العقل والحكمة، لاسِيَّما مَن عَلِم فقرَه وضعفه، وفهمه المحدود، وتفكيره المكدود، ولْيخضع للذي يقول للشيء كن فيكون!، وفي كل ذلك للشيطان قذارته التي لا تنتهي، لذا فالله عهد إلينا ألا نعبد الشيطان!!، وأن نخلص العبادة له ونلزم صراطه المستقيم.



تدبرٌ في سورة الفرقان

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾، القرآن المكي نزل على النبي ﷺ وهو في المرحلة الأصعب من حياته، إلا أنَّه كان يُوجِّهه من اللحظة الأولى نحو عالمية الدعوة!!، لماذا؟، لأنَّ العالم كان ينتظر محمداً ﷺ، أنت يا أيها النبي لديك مشروعٌ عالمي تستطيع أن تُنقذ به البشرية من الضلالات التي كانت تعيشها آنذاك!.

إذا فهمت هذا أقول لك: الإلحاد مشروعٌ ضخم، لكنَّه عاجزٌ عن تحريك الحياة، وعن تقديم نموذجٍ صالحٍ للبشرية، وسيقع في ورطةٍ أمام كثيرٍ من الأمور، فليس في جُعبته ما يقدمه للبشرية، لأنه معدوم المبادئ.....، مثلاً: سؤال الأخلاق، يُشكِّل أزمةً كبيرةً للملحدين[1]، وقد صرَّح رأس الإلحاد دوكنز بهذا في كتابه «وهم الإله» فقال: «من الصعب جداً الدفاع عن القيم الأخلاقية المطلقة على أرضية غير أرضية الدين»!!، علماً بأنه يوجد ملحدون على خُلق، لكن لا يوجد إلحاد أخلاقي.

نرجع فنقول: إنَّ هذا القرآن الذي جاء للعالمين، يريد أن يقيم العدل ويمنع الظلم، ويتمِّمَ مكارم الأخلاق، ويُحرِّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ويُغيِّر السياسات الفاسدة، ويَحكم الحُكَّامَ، ويُعبِّد البشر لله ﷻ، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:57-59]، تلك رسالة الإسلام الكبرى، وفي سياقها جاءت دعوة الأفراد لإصلاح أنفسهم وتزكيتها.

(1) انظر كتاب: لماذا الجيد جيد؟ لروبرت هاند، وكذلك كتاب: هل يمكن ان نكون صالحين بدون الله؟ لروبرت بروكمان.

المنهج الذي قدَّمتْه سورة الفرقان منهجٌ جديد للحياة في كل جوانبها، اقرأ السورة بنية أن تعرف ماذا قدم محمد ﷺ للعالم لتعيش ذلك!، وتذكَّر أنَّها سُمِّيتْ سورة الفرقان لأنَّها تُفرِّق بين المنهج الإسلامي وبين سائر المناهج، فقد ذَكرتْ أصولَ الانحراف للمناهج البشرية ثمَّ فرَّقت بينها وبين المنهج الإسلامي، فقد تكلمت السورة عن المنهج الكفري الإلحادي، والمناهج العلمانية والليبرالية، والحركات النسوية، والمناهج الجدلية، والمنهج الساخر -ترند الموسم-، ثم عرضت مصارع أعداء الأنبياء في ستِّ آياتٍ بشكلٍ عجيب، ثم رسمت لوحةً فنيةً للكون من ظلاله إلى أعماق بحاره، ثم خُتمت بما يُميِّز أتباع المنهج الإسلامي عن غيرهم ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ... ﴾، أرأيتَ تلك الصفات الرفيعة لعباد الله؟!، هذا ما يرضاه الله، أمَّا البقية الباقية من مناهج الضلال ﴿مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي﴾.





تدبرٌ في سورة الجن

ما علاقة سورة الجن بمعركتنا حول المسجد الأقصى؟!، تأمَّل معي في جوِّ نزول السورة، النبي ﷺ في مكة يُؤسِّس الفريق العامل، وأعداد الصحابة لا تتجاوز مئة وثلاثين صحابياً، ومن يُسْلِم يُؤذى، بل يُطاف به ويُنكَّل به، في ظل هذه الظروف الصعبة، والنبي ﷺ يبحث عن فردٍ واحد لِيُسلم، إذ بربك يُمدُّه بوفدٍ من الجنِّ، يستمعون القرآن وينصتون، ويدخلون في الإسلام، إنَّها جنود ربك، التي لم ترها قريش!!، ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا﴾ [الجن: 19]، ونحن كنا ننتظر صاروخاً واحداً، فإذ بربنا يمددنا برشقات، إنَّها جنود ربك...

هل تصوَّرتَ فرحة النَّبي ﷺ بالجنود المجهولة التي دخلت الإسلام؟!، فرحةٌ وبشرى لقلب النبي ﷺ، جنودٌ عرفوا للقرآن قدراً ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ، يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ﴾ [الجن: 1-2]، جنودٌ يؤمنون بحكمة الله ﴿لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا﴾ [الجن: 10]، جنودٌ يؤمنون بقدرة الله ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا﴾ [الجن: 12]، تنزل الآيات كالماء البارد على قلب النبي ﷺ، فقد مدَّه الله بمددٍ من عنده!!.

لكنَّ المفاجأة الأهم في السورة لم تأتِ بعد، ولا أدري كيف تلقَّاها النبي ﷺ من جبريل عليه السلام وهو يوحيها له: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [الجن: 18]!!، المساجد وليس المسجد الحرام!!، الله أكبر!!، أيُّ مساجد يا رب؟، لم يكن على وجه الأرض سوى مسجدين، المسجد الحرام والمسجد الأقصى المبارك، وقد كان المسجد الحرام تحت سلطة قريش، وكان المسجد الأقصى تحت حكم الرومان، والقرآن يقول يا محمد ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن: 18]، المساجد كلها، إنها بشرى من قلب الأوضاع المكية الحرجة، أنك ستفتح المسجد الحرام والمسجد الأقصى يا محمد!!، الله ما أبرد هذه البشارة على قلب النبي ﷺ، وهذا مما أطلع الله عليه نبيه والله أعلم،



ولذلك قال في ختام السورة: ﴿عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾ [الجن:26-28].





تدبرٌ في سورة سبأ

سورة سبأ أخت سورة الفرقان... تسرد شبهات المشركين وتردُّ عليها، وتُركِّز السورة أيضاً على عظمة الله وقدرته، فربنا له كل شيء في السماوات والأرض، ويعلم كل شيء وحكمته ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِى ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [سبأ: 1]، وتركز السورة كذلك على الرد على منكري البعث، وهي قضيةٌ متكررةٌ في السورة، وجاء في سياق السورة بعض القصص الملهمة لرسول الله ﷺ، خاصة وهو في الفترة المكية... فتدبرها إنْ أردتَ نفعاً، وقضايا كبيرة غيرها...

لكنْ ما لفت نظري في السورة هو استدعاء قصة داود عليه السلام، فهي رسالةٌ للكفار في قريش مفادها: لا تحسبوا محمداً عبداً مسكينا وشيخاً في زاوية حوله غنيمات!! كلا بل هو نبيٌّ مَلِك، سيبلغ ملكه ما بلغ ملك داود وسليمان عليهما السلام، وسيغير محمدٌ السياسات والثقافات الموجودة إلى ما يحبه الله ويرضاه.

تأمَّل كيف جمع الله لداود عليه السلام في السورة بين أمرين مهمين: الأول: هو التفاعل الناعم مع الكون، فقد كان يذكر الله ويتغنى ويرتل، وكانت تراتيله ومزامير صوته توقف الطير في السماء من سِحر صوته ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَ﴾ [سبأ: 10]، والأمر الثاني: هو المهارات العسكرية والبأس الشديد الذي يُحوِّل الحديد إلى رماحٍ وسيوف ودروع، ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ، أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٍ..﴾ [سبأ: 10-11]، كلُّ هذا إلى جانب الصوت الشجي الحنون!!.

الخلاصة: إنَّ العقل الذي يفقه الحياة فيحركها وفق مراد الله هو عقلٌ يفقه الآخرة، ولن يستطيع نصرة الإيمان أبلهٌ ولا كسول، والكلام يحتاج بسطاً إلَّا أنَّ هذا يكفي، وختاما: ما أجمل سورة سبأ إذا رتَّلها القُرَّاء المجاهدون.

ختمتان بالسند المتصل

أكرمني الله بأنْ قرأ عليَّ أحدُ الإخوة المجاهدين الفضلاء ختمةً بقراءة الإمام عاصم قبل حرب الطوفان، وقد كان معي هذا الأخ في حصار الثلاثين يوما الأولى، وقرأ عليَّ القرآن أثناء الحرب والمعارك، لقد قرأ عليَّ صيفاً وشتاء، وحرباً وسلماً، فوق الأرض وتحت الأرض، في ليالي الرباط وفي محاريب المساجد، وأحسبه قد نشأ على حبِّ القرآن والتعلق به.

وقد كنتُ أنتهز الفرصة لتكتمل الختمة في هذه الجولة، فوفَّق الله أن يختم عليَّ ختمة السند غيباً في أول أيام شهر شوال عشية الجمعة، وقد أوصيتُه بتقوى الله، وأن يجتهد في تبليغ القرآن، وعدم التكبر على الناس، وأوصيتُه بأن يصون مقام أهل القرآن، فهو الآن في سِلك أشراف الأمة، وألَّا ينساني ووالديَّ ومشايخي من دعوةٍ صالحة في ظهر الغيب، وأحمد الله أنَّ هذه الختمة جاءت في خِضَمِّ المعركة، لأنَّ أهل القرآن هم فرسان المعارك، ورحم الله سالماً مولى أبي حذيفة رضي الله عنه عندما قال: «بِئْسَ حَامِلُ الْقُرْآنِ أَنَا إِنْ أُتِيتُم مِنْ قِبَلِي»[1]، ولله الحمد أولاً وآخراً.

وقد يسَّر الله بفضله ختمةً أخرى أثناء الحرب، فقد ختم عليَّ قائد الكتيبة ختمةً كاملةً بالسند المتصل، وقد قرأ عليَّ القرآن كاملاً في أنفاق العز القسامية، وهذا فضلٌ من الله عز وجل، ثم إنَّه من لطائف الإسناد، فقد تمت الختمة كاملة في الأنفاق وليالي الرباط، وكان ينعقد مجلس الإسناد بعد صلاة العشاء، ويمتد من ساعتين إلى ثلاث ساعات، رغم المناورة المستمرة للعدو على حدود الكتيبة، وقد كان يحرص قائد الكتيبة أن يأتيَ إليَّ بنفسه، ولم يرضَ أن آتيه، فرفع الله قدره وأعلى شأنه، ووفقه لما فيه الخير والصلاح.

---

(1) المستدرك على الصحيحين للحاكم، حديث رقم 5006.



وقد تلقيتُ الإجازة بالقراءة والإقراء عن شيوخي الكرام في غزة العزة، ومنهم (م. رائد المدهون، م. حميد أبو وردة، د. بلال جبر عماد، م. هاني العلي)، وهم عن شيوخهم بأسانيدهم المتصلة إلى النبي ﷺ عن جبريل عن رب العزة تبارك وتعالى، جبر الله كسرنا ببركة القرآن، اللهم آمين.







الأذكار

الأذكار باقةٌ من أبهى الكلمات والأدعية التي نُقلت لنا عن سيدنا رسول الله ﷺ، تَتَجمَّلُ بها أفواه البشر، فتكتبها الملائكة، ليُظهر بها العابدُ شرفَ انتسابه للمذكورِ ﷻ.

اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور، اللهم لا حول لنا ولا قوة إلا بك فأعنَّا.

بعضُ الأذكار المأثورة التي لو داومتَ عليها في صباحك ومسائك، فلن تحسن الحياة بدونها بعد ذلك!، من بركتها وأثرها وتعلقك بالمذكور سبحانه، وشعورك بفقرك واحتياجك إليه، وهذه جملةٌ مقتطفةٌ من كتاب الأذكار للإمام النووي رحمه الله وكتاب عمل اليوم والليلة لابن السُّني رحمه الله، ردِّدها مع الأذكار التي تحفظها وتعرفها ورطب لسانك بها أيضاً: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي جَلَّلَنا اليَوْمَ عافِيَتَه، وَجاءَ بالشَمْسِ مِنْ مَطْلَعِها، الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي وَهَبَ لَنَا هَذَا اليَوْمَ وأقالَنا فِيهِ عثراتنا، اللَّهُمَّ أصْبَحْتُ أشْهَدُ لَكَ بِما شَهِدْتَ بِهِ لِنَفْسِكَ، وَشَهِدَتْ بِهِ مَلائِكَتُكَ وحَمَلَةُ عَرْشِكَ وَجَمِيعُ خَلْقِكَ أنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لا إلهَ إلاَّ أنْتَ القائِمُ بالقِسْطِ، لا إلهَ إلاَّ أنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ، اكْتُبْ شَهادَتي بَعْدَ شَهادَةِ مَلائِكَتِكَ وأُولِي العِلْمِ، اللهُمَّ مَا أَنتَ قَاسِمُه في هَذا اليَومِ مِن خَيرَي الدُّنيَا والآخِرَةِ فَاجعل لَنَا مِنهُ أَوفَرَ حَظٍ وَنَصِيب، بِسمِ اللهِ عَلى نَفسِي وَمَالي ودِينِي، اللهم رضِّني بقَضائِك، وَبارِك لِي في قَدَرِك حَتَّى لا أُحِبَّ تَعجيلَ مَا أخَّرت وَلا تَأخيرَ مَا عجَّلت، لا إله إلا الله حَقاً حَقاً تعبداً ورِقاً، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَجْأَةِ الْخَيْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فَجْأَةِ الشَّرّ، اللهم اجعَلني مِن أَعظَمِ عِبادِك عِندك نَصيبًا في كُلِّ خَيرٍ تَقسِمُه الغَداة، ونورًا تهدي به، ورحمةً تنشرها، ورِزقًا تَبسُطُه، وضُرًّا تَكشِفُه، وبَلاءً ترفعه، وفتنةً تَصرِفُها».



أصولُ الأذكَار

لقد أمر الله سبحانه وتعالى عبادَه المؤمنين إذا أرادوا الثبات عند لقاء عدوهم أن يُكثروا من ذكر الله تعالى، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفال:45]، وقد عَقَدْتُ بحمد الله سلسلةً أتذاكر فيها معاني وأسرار الأذكار مع إخواني المجاهدين، وعلاقة الأذكار بالصلة بالله، فكان مما جاء في دَرجِ الكلام عن أصول الأذكار والتدبر فيها:

سبحان الله: فكما أنزهك ربي عن كلِّ نقص، فطهِّرني من عيوبي حتى أَصْلُحَ لعبادتك، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.

الحمد لله: إنَّ التحميد إذا صدر بعد البلاء فهو برهانٌ على الإيمان، عبادتنا لله ليست لمصلحةٍ نأخذها، وكنتُ أتصور حواراً بين الله وملائكته، تقول الملائكة: البشر يَعبُدُونك لأنَّك ترزقهم، فيمنع الله رزقه عنهم ويبتليهم بنقص الأنفس والثمرات، فنقول: الحمد لله، فيباهي الله بنا ملائكته.

لا إله إلا الله: أعظم كلمة حرية تقال هي: لا إله إلا الله، وخير ما قال النبيون: لا إله إلا الله، توقفنا عند قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ [النجم:49]، وعن حجم الشمس بالنسبة للأرض، وحجم السماء الأولى بالنسبة للسابعة والعرش، لا إله إلا الله حقاً حقاً ديانة ورِقاً.

الله أكبر[1]: تحدثنا عن معنى اسم التفضيل (أكبر)، وعن الكبرياء والقوة الإلهية التي نستمد منها المدد، وعن العلو والقهر والغلبة، وأن الله كبيرٌ لا أكبر منه، فازددنا قوةً وثباتاً.

---

(1) يستفاد في هذا الباب من الكتاب النافع: (هنيئاً لمن عرف ربه)، د.خالد أبو شادي.

أستغفر الله: تدبرنا في قَدْرِ الاستغفار عند الله، وأنَّ العبد إذا فعل الخيرات الكثيرة لكنه شاردٌ وضالٌّ عن منهج الله فلن تنفعه عند الله، لأنه لم ينكسر يوماً بين يدي الله ويستغفره، ولم يضع جبينه على الأرض ويقول: رب اغفر لي، إنه ذات الموقف الذي رواه الإمام مسلم حين سألت أمنا عائشة رضي الله عنها: «يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟، قَالَ: لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ»[1]... إنَّ مقاييسنا سماوية، ومقاييسهم طينية.

يا ذا الجلال والإكرام: إنَّها وصية رسول الله ﷺ: (أَلِظُّوا بِيَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ)[2]، إنَّ افتتاح طلبنا بهذا الدعاء والمداومة عليه سبيلٌ لِأَن يكرمنا الله، حتى ولو كنا لا نستحق الإكرام.

لا حول ولا قوة إلا بالله: لا تَحوُّلَ من الضعف إلى القوة إلا بالله، ولا قوة لنا على الرمي إلا بالله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:17]، وقد أوصانا النبي ﷺ بهذا الدعاء فقال: (قُلْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ)[3]، وهو دعاءٌ عظيم يطرد الداء والهم.

الصلاة على النبي ﷺ: ما من خيرٍ سيق إلينا في هذه المعركة إلا ولرسول الله ﷺ سببٌ فيه، وعجبي لأمة ضيَّعت سبيل النبي ﷺ، أبمحمدٍ تفعل هذا؟!.

أبمحمدٍ تفعل هذا؟!، تُقال لحاكمٍ مسلمٍ يشهد أنَّ محمداً رسول الله، ثم يوالي أعداء النبي وينصرهم على المسلمين، أبمحمدٍ تفعل هذا؟!، تُقال لشابٍ قضى من عمره ثلاثين دون أن يُضحيَ بمالٍ أو حتى وقتٍ لنصرة رسالة محمد، أبمحمدٍ تفعل هذا؟!، تُقال لمن يبيت شبعاناً وجاره يموت جوعاً وهو يعلم به، أبمحمدٍ تفعل هذا؟!، تُقال لجنديٍّ مسلمٍ يحرس مخازن

(1) صحيح مسلم، حديث رقم 214.
(2) سنن الترمذي، حديث رقم 3525. وألظوا: أَيِ الْزَمُوهُ وَاثْبُتُوا عَلَيْهِ وَأَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِهِ وَالتَّلَفُّظِ بِهِ فِي دُعَائِكُمْ.
(3) صحيح البخاري، حديث رقم 7386.



الأسلحة لدولته وهي تصدأ في المخازن، بينما إخوانه في غزة يقتلون بأسلحة كل أوروبا، أبمحمدٍ تفعل هذا؟!، تُقال لصحفيٍ يطعن في المجاهدين ويلمزهم ويتهمهم بإهلاك الناس، وعلى الجانب الآخر يمجد ويبرر للصهاينة أفعالهم، أبمحمدٍ ودين محمدٍ تفعلون هذا؟!.





بسم الله على نفسي وأهلي

يُطبع المرء على التعلق بزوجته وأولاده وأفراد العائلة، لكنَّ مشروع الجهاد ليس مشروع دنيا وترف، بل إن عائلته تشاركه أجر جهاده، ، فزوجة المجاهد تشاركه أجر جهاده، لأنَّها كانت تُعينه في الإعداد، وتصبر على فراقه ورباطه، وإنَّ العون من الله يزداد إنْ كان مشروع الجهاد مشروع أسرة، وليس مشروع زوج لا علاقة لزوجته به.

في أول أيام الحرب مع ضغط القصف والدمار والمعارك، نسيت أشكالهم، أحاول جاهداً أن أغمض عيني لأتذكرهم!!، للأسف: لا نتيجة، نسيتُ أشكالهم والله، ولعلَّ هذا من لطف الله ﷻ لئلا يضعف المجاهد ويفر ويرجع إلى الدنيا ويركن إليها.

بعد أربعين يوماً رأيت أولادي لمدة نصف ساعة، ثم رأيت أمَّهم المصون بعدهم لمدة ساعة فقط، ثم لم أرهم لحتى الآن، مَرَّت ثلاث مئة وسبعين يوماً، وأنا لا أملك إلا الدعاء وأن أستودعهم عند الله قائلاً: بِسْمِ اللَّهِ عَلَى نَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي.

كان من الممكن أن أتصل بهم أحيانا، لكنَّ هذا مكلفٌ جداً من الناحية الأمنية، وفيه مخاطرةٌ كبيرة، لأنَّ العدو النذل إذا علم مكان تواجد أهلنا كان يقصفهم، فيُصاب المجاهد بفاجعة فقدان العائلة، وقد شهدتُ في ذلك أكثر من حادثة، وكان وقعها عظيماً، اللهم عافنا فيمن عافيت.

كنتُ بين نار الشوق أن أكلمهم وبين نار الخوف من أن يُقصفوا، وكانت تمرُّ عليّ الأسابيع لا أعرف عنهم شيئاً، ولا أملك لهم إلا الدعاء، (سَمِعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ اللهِ وَحُسْنِ بَلَائِهِ عَلَيْنَا، رَبَّنَا صَاحِبْنَا وَأَفْضِلْ عَلَيْنَا، عَائِذًا بِاللهِ مِنَ النَّارِ)[1].

---

(1) صحيح مسلم، حديث رقم 2718.



كنتُ أنتهز أيَّ فرصةٍ لأطمئن فيها على أهلي، وتأمين ما أستطيع أن أوصله من شيءٍ يسترهم ويحفظ ماء وجوههم، وأحاول أن أرسل لهم ما يلزم، ولستُ أحبُّ الرجل الذي يُضيِّع من يعول بِحُجَّةِ انشغاله، فيمكنه أن يوصي بهم أحداً حفاظاً على الجانب الأمني، وهذا واجبٌ على المسلمين وإن لم يوصِ، لأنَّ رعاية أسر المجاهدين من الجهاد في سبيل الله، قال ﷺ: (مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا)[1].

(خلف غازيا): أي قام مقامه في قضاء حاجات أهله حال غيبته، (بخير): أي بإحسانٍ وأمانةٍ وإخلاصٍ، وهذا أمرٌ تضبطه التقوى والخوف من الله، لذا قُرنت آيات التقوى بآيات النساء.

كانت نساؤنا رقيقات مُنَعَّمَات، فجاءت هذه الحرب فَحَمَلْنَ الهَمَّ والهِمَّة، كانت دوماً تقول لي: «نحن بخير المهم أنت احفظ حالك»، نزحوا ذات يوم وباتوا على الرصيف، وهم الآن في خيمةٍ صغيرة، ومع ذلك كانت تقول لي: نحن بخير!!، كانت تجبر خاطري بكلماتها هذه، وتُقوِّي ضعفي، رضي الله عنها وسلَّمها وصانها في الدنيا والآخرة، ورزقني الله الشهادة وإياها -اللهم آمين-.



(1) صحيح البخاري، حديث رقم 2843.

فقهٌ وتفقه

عَرضَتْ لنا بعضُ المسائل الفقهية في هذه الجولة، وكنا قد مررنا على بعضها في كتب الفقه الشافعي، وبعضها مستجدٌ متعلقٌ بنازلة الحرب، وأذكر طرفاً منها مستعينا بالله:

أولاً: التيمم بسبب صعوبة الحصول على الماء

لقد أجاز فقهاؤنا التيمم عند فقد الماء حقيقةً أو حُكماً، ومن أمثلة المسألة في المعركة:

1- التيمم بسبب وجود الماء في منطقةٍ غير آمنة، فالطريق إلى الماء محفوفٌ بالمخاطر، كقناصٍ للعدو وطيران استطلاع مركّز على المنطقة، وأحياناً يكون الماء متوفراً فوق الأرض لكنه في الأنفاق يكلفنا مؤنةً كبيرة كنقل الماء من أعلى لأسفل، ففيه مشقةٌ كبيرةٌ وأحياناً مخاطرة بالأرواح، فنصلي فوق الأرض بوضوء وتحت الأرض بالتيمم، وهذا كلُّه مُخرَّجٌ إن شاء الله على ما قرره إمامنا الشافعي رحمه الله: «فَإِنْ كَانَ فِي رَحْلِهِ مَاءٌ، فَحَالَ الْعَدُوُّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَحْلِهِ، أَوْ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ سَبُعٌ أَوْ حَرِيقٌ حَتَّى لَا يَصِلَ إلَيْهِ، تَيَمَّمَ وَصَلَّى، وَهَذَا غَيْرُ وَاجِدٍ لِلْمَاءِ»[1].

2- التيمم بسبب الاحتياج للماء في الأمور الضرورية، ففي بعض العقد القتالية والكمائن المُتقدِّمة التي يصعب إيصال الماء لها، يتيممون على الدوام، مع أنهم يملكون خزان مياه، لكنهم سيحتاجونه حالاً أو مآلاً للحاجة الضرورة من الشرب والطبخ، وهذا مُخرَّجٌ على ما ذكره الشرواني في حاشيته على التُّحفة، حيث قال: «بَلْ لَوْ عَلِمَ فِي الْقَافِلَةِ مَنْ يَحْتَاجُهُ لِعَطَشٍ حَالًا أَوْ مَآلًا لَزِمَهُ التَّيَمُّمُ وَصَرْفُ الْمَاءِ إلَيْهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ بِعِوَضٍ أَوْ بِغَيْرِهِ»[2]، وَقَدْ فصل شيخ الإسلام زكريا الأنصاري معنى الحاجة للماء، فقد نقل عن الشَّيْخ وَلِيّ الدِّينِ الْعِرَاقِيّ فِي فَتَاوِيهِ قوله: «وَيَلْحَقُ بِهِ حَاجَة

(1) الأم للشافعي (1/ 63).
(2) تحفة المحتاج في شرح المنهاج للهيتمي وحواشي الشرواني والعبادي (1/ 341).

الْبَدَنِ بِغَيْرِ الشُّرْبِ كَالِاحْتِيَاجِ لِلْمَاءِ لِعَجْنِ دَقِيقٍ وَلَتِّ سَوِيقٍ وَطَبْخِ طَعَامٍ بِلَحْمٍ وَغَيْرِهِ»[1]، وما أحسن ما ذكره ابن قدامة: «قِيلَ للإمام أَحْمَدَ: الرَّجُلُ مَعَهُ إدَاوَةٌ مِنْ مَاءٍ لِلْوُضُوءِ، فَيَرَى قَوْمًا عِطَاشًا، أَحَبُّ إلَيْك أَنْ يَسْقِيَهُمْ أَوْ يَتَوَضَّأَ؟ قَالَ: يَسْقِيهِمْ، ثُمَّ ذَكَرَ عِدَّةً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَيَمَّمُونَ وَيَحْبِسُونَ الْمَاءَ لِشِفَاهِهِمْ»[2].

فائدةٌ مهمة: شَرطُ الوضوء والغُسل سيلان الماء على أعضاء الجسم[3]، والبخاخ[4] يقوم بهذا، فيمكن لمن كان معه ماءٌ ليس بالكثير، أن يضعه في عبوة البخاخ ويستعملها للوضوء والغسل، فهي تُزيل النجس وترفع الحدث.

ثانياً: مسألة الماء الذي خالطه ترابٌ أو طُحلب

قرر الفقهاء أنَّ الماء لو خالطه ترابٌ أو طُحلبٌ فإنَّ الماء يبقى على إطلاقه، وهذه المخالطة لا تسلب الماء إطلاقه، وسبب ذلك أنَّ هذه الأمور لا يمكن التحرز منها في الماء الموجود في الطبيعة، والماء مخلوقٌ لنا، فلا نحرم أنفسنا منه، يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم﴾ [النحل: 10]، يقول الشيخ مصطفى البغا رحمه الله في الفقه المنهجي: «ولا يُخرجه عن كونه ماءً مطلقاً تغيُّره بطول مكثٍ، أو بسبب ترابٍ، أو طُحلبٍ، وذلك لتعذر صون الماء عن ذلك»[5]، وصورةُ المسألة عندنا: أنَّ كثيراً من المناطق كان يتجمع فيها الماء في حفرة كبيرة[6]، فكان يعلوه طحالب، فالواجب عندئذ لمن يريد التَّطهر كوضوء ونحوه أن يزيل بيده ما على سطح الماء ثم يتطهر، وتكمن أهمية المسألة: في أنَّ من يقدر على فعل هذا، لا يجوز له الانتقال إلى

(1) أسنى المطالب في شرح روض الطالب (1/ 78)، فائدة: قد تكلف ابن المقري في المسألة فقال: «وَلَا يَدَّخِرُهُ أَيْ الْمَاءَ لِطَبْخٍ وَبَلِّ كَعْكٍ وَفَتِيتٍ»، وقد فصل الشيخ زكريا الأنصاري المسألة في الشرح كما ذكرت أعلاه، ووافقه الشربيني فقال في المغني: وقول الشيخ زَكريا الأنصاري أَوْلَى مِنْ قَوْلِ ابْنِ الْمُقْرِي فِي رَوْضِهِ.

(2) المغني لابن قدامة (1/ 195).

(3) السيلان يختلف عن المسح، فالمسح لا يحصل به سيلان الماء على العضو، أما الغسل فيحصل به سيلان قطرات الماء على العضو. مستفاد من: أسنى المطالب في شرح روض الطالب (1/ 64).

(4) عبوة البخاخ التي تكون عند الحلاقين، أو التي يوضع فيها المعطر، يمكن تفريغها مما فيها، وملؤها بالماء.

(5) الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي (1/ 31).

(6) ماء المطر أو ماءٌ خرج من الأرض بفعل القصف الثقيل!.

التيمم، لأنه واجدٌ للماء.

ثالثاً: جمع الصلاة لأجل الخوف

غالبًا ما تمسُّ الحاجة عند المجاهدين لجمع الصلاتين بسبب الحذر، وذلك لكثرة العوارض، فالقصف العشوائي لا يكاد يتوقف، وربما يتسلل العدو لتنفيذِ مهمةٍ ما، وقد يكون الإخوة قائمين على عملٍ وإعداد يستغرق معظم النهار، ونسأل الله ألا يكون هنالك حرجٌ بالجمع بين الصلاتين لأجل الخوف من قدوم العدو، يقول الشربيني في الإقناع: «قد عُلم مِمَّا مرَّ أنه لَا جمع بِغَيْر السّفر وَنَحْو الْمَطَر كَمَرَضٍ وريحٍ وظُلمةٍ وَخوفٍ ووحلٍ وَهُوَ الْمَشْهُور[1]، لِأَنَّهُ لم ينْقل وَلخَبَر الْمَوَاقِيت، فَلَا يُخَالف إِلَّا بِصَرِيح، وَحكي فِي الْمَجْمُوع عَن جمَاعَةٍ من أَصْحَابنَا جَوَازه بالمذكورات، وَهَذَا هُوَ اللَّائِق بمحاسن الشَّرِيعَة، وَقد قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾[2]، ويُستأنس بما ترجم له النووي في صحيح مسلم، باب: الجمع بين الصلاتين في الحضر، فقد ذكر الغزو كسببٍ من أسباب الجمع، ثم ساق الحديثين: عن مُعَاذ بْن جَبَلٍ رضي الله عنه، قَالَ: «جَمَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، وَبَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، قَالَ: فَقُلْتُ: مَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ؟، قَالَ: فَقَالَ: أَرَادَ أَنْ لَا يُحْرِجَ أُمَّتَهُ»[3]، وعَنِ ابْنِ عباس رضي الله عنهما قَالَ: «صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعاً، وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا، فِي غَيرِ خَوفٍ وَلا سَفرٍ»[4]، فالذي يُفهم من الأحاديث أنَّ الجمع لأجل السفر والخوف كان متعارفاً عليه، وإنما سيق الحديث ليُنبِّه على سببٍ آخر ليس مما اشتهر، والله أعلم.

(1) المشهور في المذهب أن الجمع يكون لأجل السفر والمطر.
(2) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع (1/ 176).
(3) صحيح مسلم، حديث رقم 706.
(4) صحيح مسلم، حديث رقم 705.

قال بعض العلماء: «والذي تستريح إليه النفس أنَّ الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء في الحضر لا يُرخَّص به إلا عند مشقةٍ عارضةٍ تُورث حرجًا على المُصلي لكلٍّ منهما في وقته، على ألا تُتخذ قاعدةً وعادةً له»[1].

رابعاً: الصلاة إلى غير القبلة

قال الإمام النووي رحمه الله: «استقبال القبلة شرطٌ لصلاة القادر إلا في شدة الخوف ونفل السفر»[2]، وقد تمثلتْ هذه المسألة عندنا في الصلاة داخل الأنفاق، فلم نكن نعرف بالضبط اتجاه القبلة، فكنا نجتهد ونتحرى ثم نصلي، وفي صلاةٍ أخرى قد يطرأ اجتهادٌ جديدٌ فنصلي إلى جهة أخرى، ومعلومٌ أنَّ الاجتهاد لا يُنقض بالاجتهاد.

وقد أتاحت الشريعة مساحةً لهذه المسائل[3]، ففي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: 239]، قال ابن عمر رضي الله عنهما: «أي: مُسْتَقْبِلِي الْقِبْلَةَ، وَغَيْرَ مُسْتَقْبِلِيهَا، قَالَ مَالِكٌ قَالَ نَافِعٌ مَا أَرَى عَبْدَ اللَّهِ ذَكَرَ ذَلِكَ إِلَّا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»[4].

فائدةٌ مهمة: قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: «التَّوَجُّهُ لِلْقِبْلَةِ بِالصَّدْرِ لَا بِالْوَجْهِ»[5]، وأثر هذه الفائدة أنَّ المصلي قد يلتفت يميناً وشمالاً بسبب ضيق النفق والخندق، فهذا لا يُؤثِّر على صحة صلاته ما دامت طائفةٌ من الصدر متجهةٌ نحو القبلة، وكذلك لو التفت بوجهه يميناً وشمالاً لأجل الحراسة والاستطلاع فلا بأس، وكذلك لو مشى خطوات للأمام أو الوراء ليرد على مكالمة الهاتف الآمن[6]، فلا تبطل صلاته ما دام صدره إلى جهة القبلة[7].

---

(1) فتح المنعم شرح صحيح مسلم (3/ 314).

(2) منهاج الطالبين وعمدة المفتين في الفقه. ص24.

(3) يحسن أن يطَّلع المجاهد على صلاة الطالب والمطلوب، لنعلم أن الإسلام أحاط بنا من كل الجوانب، وأن الانشغال بالعبادة لا يصح أن ينسينا معركتنا مع الباطل، فلقد ود الذين كفروا أن نغفل عن أسلحتنا وأمتعتنا فيميلون علينا ميلة واحدة!، إنَّ ضعف الحراسة إثمٌ يفوق إثم التقصير في الصلاة، والله أعلم.

(4) الأم للشافعي (1/ 117).

(5) فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب (1/ 42).

(6) شبكة الاتصال الأرضية الآمنة الخاصة بالعمل العسكري، واتصال الهاتف قد يكون تكليفاً بمهمة أو أمرًا بمتابعة سلوك العدو.

(7) ويجوز له عندئذٍ رفع السماعة ووضعها على أذنه، فإن قدَّر الموقف أن الاتصال لشيءٍ غير مستعجل، رفع صوته بالتكبير ليسمعه من على

خامساً: صلاة الجماعة

يحرص المجاهدون عندنا حرصاً كبيراًعلى صلاة الجماعة، وهذا ممكنٌ في غالب الأوقات ومتعذرٌ في بعضها، وهنا بعض الفوائد في هذا الباب:

1- صلاة شخصين معاً تُعدُّ جماعة[1]، ينالان بها خمساً وعشرين درجة[2].

2- تحصل فضيلة الجماعة لمن أدرك جزءاً من الصلاة، وفائدة هذا أنَّ العقدة القتالية قد تكون من ثلاثة أشخاص، فيصلي اثنان ويتابع الثالث الحراسة، وقبل أن يُسَلِّم الإمام بلحظة يسيرة يشرع الثالث في الصلاة معهما، وبهذا يكون مغطياً للحراسة ومدركاً لفضيلة الجماعة، يقول شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: «(وَلْتَحْصُلْ) أَيْ: الْجَمَاعَةُ فَضْلَهَا (لِمُدْرِكِ الْجُزْءِ) مِنْ الصَّلَاةِ (وَإِنْ لَمْ يَطُلْ)، قال الرملي: قَبْلَ شُرُوعِ الْإِمَامِ فِي التَّسْلِيمَةِ الْأُولَى، وقال الهيتمي: مَا لَمْ يَنْطِقْ الإمام بِالْمِيمِ مِنْ عَلَيْكُمْ»[3].

3- لو صلى المجاهد وحده لظرف المعركة والحراسة فنرجو الله أن ينال أجر الجماعة، لحديث النبي ﷺ: (إِذَا مَرِضَ العَبْدُ، أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا)[4]، فمعظم المجاهدين كانوا من أهل الجماعة في المساجد، وما منعهم عنها هو طارئُ القتال والرباط، فيُرجى لهم أجر الجماعة، وهذا قياساً على المريض والمسافر المذكورين في الحديث.

سادساً: التيمم لحمل المصحف

قرَّر فقهاء الشافعية أنَّ الوضوء يجبُ على من يريد مسَّ المصحف[5]، وهذا من تعظيم الله وتعظيم كلامه، هذا في الوضع الطبيعي، أما في مثل حالنا والماء مفقودٌ ونحن نتيمم للصلاة

الهاتف ويتم صلاته، وإن كان الأمر مستعجلاً قطع صلاته وأجاب على المكالمة ثم صلاها حال التمكن.

(1) فائدة: اعْلَم أَن الْجَمَاعَة تحصل بِصَلَاة الرجل فِي بَيته مَعَ زَوجته وَغَيرهَا. انظر: كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار، ص129.

(2) أو سبعاً وعشرين درجة على اختلاف الروايات.

(3) الغرر البهية في شرح البهجة الوردية بحاشيتي الشربيني والعبادي (1/ 406).

(4) صحيح البخاري، حديث رقم 2996.

(5) مسألةٌ معلومةٌ في الفقه الشافعي، قال النووي في المنهاج: «وَيَحْرُمُ بِالْحَدَثِ الصَّلَاةُ وَالطَّوَافُ، وَحَمْلُ الْمُصْحَفِ، وَمَسُّ وَرَقِهِ».

بسبب فقد الماء، فكذلك يُشرع التيمم لمن أراد مسَّ المصحف.

فائدةٌ مهمة: قال الشربيني: «يَجُوزُ حَمْلُ المصحف لِضَرُورَةٍ، كَخَوْفٍ عَلَيْهِ مِنْ غَرَقٍ أَوْ حَرْقٍ[1] أَوْ نَجَاسَةٍ أَوْ وُقُوعِهِ فِي يَدِ كَافِرٍ، وَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ الطَّهَارَةِ، بَلْ يَجِبُ أَخْذُهُ حِينَئِذٍ»[2].

سابعاً: شروط السجود الصحيح

يُشترط لصحة السجود شروط[3]:

1- أن ينوي السجود: وقد يحصل أن يهوي المصلي للسجود بسبب سماع قصف قريب، فيكون هُوِيُّهُ ليحصِّن نفسه من القصف لا بنية السجود، فعندئذٍ يعتدل ويعود ليهوي مرةً أخرى بنية السجود إنْ أمَّن نفسه من القصف، أمَّا إنْ استمر القصف فيتم الصلاة على الكيفية التي يقدر عليها، جالساً أو منحنياً أو بالإيماء، بحسب القدرة.

2- أن يسجد على سبعة أَعْظُم: وهي الرجلان، والكفان[4]، والركبتان، والجبهة والأنف[5].

3- أن ترتفع أسافله على أعاليه: أي ترتفع مؤخرته على رأسه وهو في حال السجود، لأنه لو كانت أسافله مقابل أعاليه أو أعلى منهما فلا يُعدُّ ساجداً والحالة هذه، ونحن مأمورون أن نسجد كسجود النبي ﷺ، وقد يحصل أنَّ بعض المجاهدين يحرسون فتحات الأنفاق وهم جلوسٌ على الدرج المنحدر قرب الفتحة، وتحضرهم الصلاة، فلو صلوا على حالهم لارتفع رأسهم عند السجود على مؤخرتهم، فالأفضل لو كان الظرف ممكناً صلُّوا عند بداية الدرج من أسفل حتى يتموا سجودهم، أما في حالات قرب العدو والاشتباك فيصلوا بالكيفية التي يقدرون عليها، والله

---

(1) ومثله المصاحف الملقاة على الأرض في الأبنية والمساجد المهدمة، (لعن الله اليهود المجرمين).

(2) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (1/ 149).

(3) ينظر: حاشية الرملي على أسنى المطالب (1/ 160)، الرُّكْنُ التَّاسِعُ وَالْعَاشِرُ.

(4) لا بأس إن غطى كفيه (بالكفات) للبرد وغيره، رَوَى ابْنُ مَاجَهْ أَنَّهُ ﷺ صَلَّى فِي مَسْجِدِ بَنِي الْأَشْهَلِ وَعَلَيْهِ كِسَاءٌ مُلَفَّعٌ بِهِ، يَضَعُ يَدَيْهِ عَلَيْهِ يَقِيهِ الْحَصَى.

(5) وأقل الفرض وضع بعض الجبهة على الأرض، قال الإمام الغزالي عن الأنف والجبهة: «هُمَا كَعُضْوٍ وَاحِدٍ». أسنى المطالب في شرح روض الطالب (1/ 162).

أعلم.

4- أن يُمكِّن جبهته من الأرض[1]: بأن يسجد على كامل جبهته لا على مقدم الرأس فقط، ويكون ثقل رأسه على جبهته لا على عظام الرقبة، بحيث لو سجد على عشب لانكبس، هذا وقد يصلي المجاهدون على الفراش أحيانا لضيق الكمائن والأنفاق، فلا بأس بهذا، لكن إن سجد فليُمكِّن جبهته من الفراش، والله أعلم.

ثامناً: صلاة فاقد الطهورين[2]

وقد قرأنا المسألة في كتب الفقه مع تفصيلات الفقهاء الكثيرة، لكن لم أكن أتصور حين قراءتها أن أُعاين بعضها في مستقبل الأيام، لكن حدث أن سألني كثيرٌ من الإخوة الذين تعرَّضوا للاعتقال[3]، وكان العدو قد قيَّدهم وعرَّاهم من الملابس، وألقاهم في الجو البارد على شاطئ البحر ليوم وليلة!، فكيف هي الصلاة عندئذ؟! قال فقهاء الشافعية عن حكم فاقد الطهورين: يُصلي صلاةً حقيقية[4] بنيةٍ وقراءةٍ تامة[5]، ويومئ بالركوع والسجود برأسه أو بما يستطيع، لأنه مقيدٌ وجالس على الأرض، ويُعفى عن كونه عرياناً بلا ثوب وغير مستقبل القبلة وعليه نجاسة من بولٍ أو غائط[6]، والله أعلم[7].

وقد يقول قائلٌ: هل تُطلب صلاةٌ في مثل هذه الحال؟، قال الفقهاء: والغرض من هذا إنَّما هو حرمة الوقت وإظهار الخشوع والخضوع لله ﷻ في جميع الأحوال، فما دام الإنسان قادراً على إظهار هذا الخشوع بأيِّ كيفيةٍ من الكيفيات فعليه أن يفعلها، وله على ذلك أجر العاملين

(1) قال النبي ﷺ: «إِذَا سَجَدْتَ فَمَكِّنْ جَبْهَتَكَ وَلَا تَنْقُرْ نَقْرًا». صحيح ابْنُ حِبَّانَ، حديث رقم 1887.

(2) من عجز عن الوضوء والتيمم يقال له: فاقد الطهورين.

(3) كانت قوات العدو الجبان تهجم على مراكز الإيواء فتعتقل الرجال وتعريهم من الملابس، وتتركهم مقيدين الساعات الطوال، فتمر عليهم أوقات الصلوات وهم كذلك، وتحقق معهم وهم مقيدون عراة.

(4) يصلي الفرض فقط.

(5) إن كان جنباً في حالته تلك: فإنه يصلي صلاة حقيقية، ولكنه يقتصر على قراءة الفاتحة فقط.

(6) غالباً ما يكونوا قد بالوا على أنفسهم أو عليهم دماء من آثار الضرب والتحقيق، وقد يخرج المني من بعضهم بسبب الخوف والبرد وهذا واردٌ.

(7) انظر: الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع (1/ 88)، منهج الطلاب في فقه الإمام الشافعي، ص12.



الأقوياء، بل ربما كان أوفر أجراً منهم.

قلتُ: وهذا من العزائم، فلا يُستبعد أن يتسلط اليهود بالضرب المبرح المميت على من فطنوا له وهو يُؤدِّي صلاته، وعليه فلا حرج أن يُقلِّد المسلم مذهب الإمام مالك في هذه الحالة، فإنَّ معتمد المذهب عندهم بأن فاقد الطهورين لا تجب عليه صلاةٌ ولا قضاءٌ[1]، قلتُ: وإن قضى الصلاة بعد خروجه من مكانه ذلك كان خيراً له، لأنَّ الصلاة أعون العبادات على الصبر.

تاسعاً: الاكتفاء بالأحجار في الاستنجاء

مع نُدرة الماء وقِلَّة وجوده، كان المجاهدون يستعملون الورق[2] فقط للتنظف بعد قضاء الحاجة، وهذا لا بأس به، لأن الاستنجاء[3] بالحجر وما في حكمه[4] جائزٌ عند جمهور الفقهاء، وهنا مسألتان يحسن التنويه لهما:

الأولى: هل يضر أثر الغائط بعد مسح الموضع بالورق؟

الجواب: لا يضر، لأنها نجاسةٌ معفوٌّ عنها، قال الإمام النووي رحمه الله: «النَّجَاسَةُ الْوَاقِعَةُ فِي مَظِنَّةِ الْعَفْوِ، وَهُوَ أَضْرُبٌ، الْأَوَّلُ: الْأَثَرُ الْبَاقِي عَلَى مَحَلِّ الِاسْتِنْجَاءِ بَعْدَ الْحَجَرِ، يُعْفَى عَنْهُ مَعَ نَجَاسَتِهِ»[5].

الثانية: هل يلزم استعمال الماء مع الورق؟

الجواب: لا يلزم، بل هو فَضْلَةٌ وزيادة، قال العمراني: «وإنْ أراد الاقتصار على الأحجار جاز، سواء كان الماء موجودًا أو معدومًا»[6]، والاقتصار على الحجر وما في معناه له شروطٌ عند الشافعية،

(1) «وَتَسْقُطُ الصَّلَاةُ بِفَقْدِ الطَّهُورَيْنِ، أَوْ الْقُدْرَةِ عَلَى اسْتِعْمَالِهِمَا»: الْمَذْهَبُ أَنَّ فَاقِدَ الطَّهُورَيْنِ، وَهُمَا الْمَاءُ وَالتُّرَابُ، أَوْ فَاقِدَ الْقُدْرَةِ عَلَى اسْتِعْمَالِهِمَا، كَالْمُكْرَهِ وَالْمَصْلُوبِ تَسْقُطُ عَنْهُ الصَّلَاةُ أَدَاءً وَقَضَاءً، كَالْحَائِضِ. ينظر: حاشية الصاوي على الشرح الصغير (1/ 200).

(2) نسميه عندنا الكلنس أو المحارم.

(3) قال الشربيني: الاستنجاء وَاجِبٌ من خُرُوج الْبَوْل وَالْغَائِط وَغَيرهمَا من كل خَارج ملوث وَلَو نَادرا، كَدمٍ ومذيٍ وودي. الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع (1/ 53).

(4) ويدخل في حكم الحجر كلُّ جامد طاهر قالع غير محترم، والجامد كالخشب، والطاهر يخرج به النجس كالروثة، والقالع لتتنبه إلى غير القالع كالتراب، وغير المحترم: فالمقصود به النِّعمة كقطعة خبز جافة أو ورقة فيها قرآن أو علم ينتفع به. ينظر: منهاج الطالبين وعمدة المفتين في الفقه، ص11.

(5) روضة الطالبين وعمدة المفتين (1/ 279).

(6) البيان في مذهب الإمام الشافعي (1/ 217).

فليُرجع لها، لكن ما يلزم هنا أنَّ المجاهد قد يفقد الورق والماء ولا يجد شيئاً يستنجي به، وقد حصل هذا كثيراً في هذه المعركة، فالواجب على المسلم وقتها والحالة هذه أن يتنظف قدر المستطاع، ولا شيء عليه بعد ذلك، وقد أفتى بهذا من الشافعية الإمام المزني وهو أيضاً مذهب السادة الأحناف، وَاحْتَجُّوا بِأَنَّهُ نَجَاسَةٌ قَلِيلَةٌ، وَالنَّجَاسَةُ الْقَلِيلَةُ عَفْوٌ، وَلِأَنَّهُ مَحَلٌّ تَعُمُّ بِهِ الْبَلْوَى فَيُعْفَى عَنْهُ[1].

عاشراً: حكم العورة في الصلاة (ما هو اللباس الذي تصلح فيه الصلاة؟)

تهترئ الملابس كثيراً وتتمزق من القصف والتنقل بين الركام وغير ذلك، فيلزم المجاهد هنا بعض المسائل:

1- تجوز الصلاة بالثياب المُخرَّقة تقليداً لمذهب أبي حنيفة، فمعتمد مذهبه إنْ بان من العورة المغلظة، وهي: القبل والدبر قدر الدرهم في الصلاة لم تبطل الصلاة، وإن بان منها أكثر من ذلك بطلت، وإن بان من العورة المخففة، وهي: ما عداهما، أقل من الرُّبع لم تبطل، هذا في الرجل، وأما المرأة فإن انكشف ربع العورة كأن ينكشف ربع شعرها، أو ربع بطنها بطلت صلاتها، وإن كان أقل من ذلك لم تبطل[2].

2- قد يُغيِّر المجاهد أو غيره ملابسه ويستعمل ملابس الناس للحاجة، فمنها ما يكون ضيقاً والصلاة بالضيق جائزةٌ، وهذه المسألة تحتاجها النساء، لأن غالب النساء لم يكن معهن ملابس بسبب قصف البيوت وحرق مراكز الإيواء، فلو صلت بثوب ضيق صحَّت صلاتُها، قال الغزالي في وصف اللباس الساتر في الصلاة: «أما لو ستر اللون ووصف حجم الأعضاء فلا بأس، كما لو

(1) ينظر: البيان في مذهب الإمام الشافعي (1/ 213)، الاختيار لتعليل المختار لابن مودود الموصلي الحنفي (1/ 36)، المغني لابن قدامة (1/ 111).

(2) انظر: البيان في مذهب الإمام الشافعي (2/ 116)، أما مذهب الشافعية فلو انكشف شيء من العورة صغيراً كان أو كبيراً وكان قادراً على ستره بطلت صلاته، فعند الشافعية لو لبس ثوباً أو لفَّ وسطه من موضع الخروق بقطعة قماش صحَّت صلاته، فإن عسر عليه فعل ذلك فليقلد أبا حنيفة ولا بأس عليه إن شاء الله.



لبس سروالًا ضيقًا أو ثوبًا ضيقاً»[1]، لكنَّ لبس الضيق في الصلاة خلاف الأولى في حق الرجل، ومكروهٌ تنزيهاً في حق المرأة، ومعلوم أنَّ الكراهة تنتفي لأدنى حاجة، وهنا نتكلم عن حاجة المصلي للبس الضيق لإقامة فريضة الصلاة في واقعٍ صعب، إذن والحالة هذه فلا كراهة ولا مخالفة للأولى، والله أعلم.

حادي عشر: صلاة المرأة بحضرة الرجال

لا حرج بصلاة المرأة بحضرة الرجال، قال الإمام النووي: «ويقف خلف الإمام الرجال ثم الصبيان ثم النساء»[2]، وكُنَّا قد أقمنا مصلىً صغيراً في مركز الإيواء يصلي فيه الرجال، والنساء خلفهم، وكان بينهم حاجز، فقال لي أحدهم متفلسفاً: هل يجوز يا شيخ أن تقف النساء وتجلس ونحن ننظر إليهن؟!، قلتُ: سبحان الله نحن أمامهن وهنَّ خلفنا ولا نستطيع رؤيتهن، ثم إن النساء في مركز الإيواء يقمن بالخبز والعجين ونضح الماء ذهاباً وإياباً ولم تنكر هذا.

والعجيب أنَّ كثيرًا من النساء تظنُّ أنَّها لو كانت في حضرة الرجال، فلا تصحُّ صلاتُها، فمنهن من تؤخر الصلاة بهذه الحجة، وهذا لا أصل له، ومن يُقرِّره فمطالبٌ بالاستدلال على ما يقول.

ثاني عشر: سقوط الجمعة بسبب الخوف

قام العدو المجرم بقصف المُصَلَّيات داخل مراكز الإيواء، وهذه خِسةٌ وحَقارة، فصار اجتماع الناس لصلاة الجُمع والجماعات مدعاةً لقصفهم من العدو بحجة وجود مطلوبين، وعندئذ والحالة هذه فمن ترك الجمعة بسبب عذر الخوف، وصلى ظهراً فلا شيء عليه، قال العمراني: «ولا تجب الجمعة على خائفٍ على نفسه أو ماله»[3].

(1) فتح العزيز بشرح الوجيز = الشرح الكبير للرافعي (4/ 92).
(2) منهاج الطالبين وعمدة المفتين في الفقه، ص40.
(3) البيان في مذهب الإمام الشافعي (2/ 545).

والشيء بالشيء يُذكر، فمن ترك صلاة الجماعة أو الجمعة[1] لأجل الاعذار المعتبرة في الشريعة، كوحلٍ وشدة الأمطار والبرد والريح في الليل، أو شدة الحر، أو حال مدافعته للبول والغائط، أو أن يكون تائقاً للطعام، أو كونِه مريضاً، أو قائماً على رعاية مريض، أو وجوده عند قريب يحتضر، أو راجياً لعود شيءٍ ضاع منه، أو أن يخاف فساد مالهِ أو ضياعه كأن يكون الخبز على النار مثلاً فيخشى من اشتغاله بالجماعة احتراقه، أو خوف غلبة النوم إن انتظر الجماعة، إلى غير ذلك مما ذكره الفقهاء في الأعذار التي تبيح ترك صلاة الجماعة[2]، فلا شيء عليه، ولو صلى وحده بسبب الأعذار المعتبرة نال فضيلة الجماعة، لأنه تَخلَّف عنها لعذرٍ حبسه، ولو زال العذر لصلّى جماعة[3].

مسألةٌ مهمة: من شروط وجوب الجمعة الاستيطان أو دار الإقامة، لأنها لم تُقمْ في عهد رسول الله ﷺ، ولا في أيام الخلفاء إلا في أبنية، قال الإمام الشافعي: «وسواء كانت أبنيتهم من حجارة، أو طين، أو خشب، أو شجر، أو جريد، أو سعف، فَلَا تُقَام الْجُمُعَة فِي الْبَوَادِي وَلَا عِنْد الْخيام لِأَنَّهَا معرضة للنَّقْل[4]، قال ابن الصباغ: وظاهر هذا أن أهل الخيام لا يُجمِّعون[5]، وقال البويطي: ومن كان في بادية يبلغ عددهم أربعين رجلًا حرًا بالغًا، وكانت مظالُّهم بعضها إلى جنب بعض، وكانت وطنهم في الشتاء والصيف، لا يظعنون عنها إن قحطوا، ولا يرغبون عنها بخصب غيرها ... وجبت عليهم الجمعة[6].

والمفهوم من كلام الإمام البويطي: أنها لو لم تكن لهم وطناً في الشتاء والصيف... لم تجب عليهم الجمعة، وهذا كحال خيام النازحين الذين يعانون من النزوح الدَّوار، أو كحال

---

(1) قال العمراني: «والأعذار التي ذكرناها أنها أعذار في ترك الجماعة، هي أعذارٌ في ترك الجمعة». البيان في مذهب الإمام الشافعي (2/ 545).
(2) انظر: البيان في مذهب الإمام الشافعي (2/ 368)، [مسألة أعذار ترك صلاة الجماعة].
(3) كل هذه الأعذار وغيرها عليها أدلة من السنة، وتناقلها الفقهاء تناقلاً لا شك فيه.
(4) انظر: الوسيط في المذهب، للغزالي (2/263).
(5) أي لا تجب عليهم الجمعة.
(6) انظر: البيان في مذهب الإمام الشافعي (2/ 559).

آلاف الناس-أعانهم الله- الذين كانوا يخرجون لجمع المساعدات على شاطئ البحر من الإنزال الجوي الذي كان في وقت المجاعة، فقد بلغني أن أحدهم كان يُلزمهم بصلاة الجمعة في حالٍ كهذه، والله المستعان[1].

ثالث عشر: الإفطار لأجل انقاذ المصابين

حصل في رمضان الماضي عدة مواقف صعبة، قصفٌ لعقدة من العقد القتالية، وكذلك قصفٌ لبيوت الناس، وغرقٌ لبعض الناس في البحر أثناء محاولتهم الحصول على مساعدات الإنزال الجوي، والمسألة هنا: أنَّ من يريد إنقاذ هؤلاء صائمٌ، ومعلومٌ أنَّ إنقاذ شخصٍ مُشرفٍ على هلاكٍ يحتاج قوةً في البدن، فيُريد المنقِذ أن يُفطر ليتقوَّى؟!، فما حُكم ذلك؟، قال الفقهاء: والفطرُ في هذه الحالة واجبٌ لإنقاذ حياة الناس[2]، وعليه قضاء ما أفطر حال تمكنه بعد ذلك.

الخلاصة: يا طالب العلم احفظ المسائل وتفقَّه، فإذا لم تحتج للفقه الآن، فستحتاجه غداً، احفظوا المسائل حتى لا يموت العلم، وليحذر الذين يحسبون أنَّ المقاتل في المعركة لا ضوابط له، وأنَّ الله غفور رحيم، فلا بأس بترك الصلاة والوضوء والتيمم ونحو ذلك.... فهذا نذير شؤم وخطر...

إنَّ لمحةً في أحاديث النبي ﷺ لتُجلِّي لكَ مكانة العبادة والشعائر، وخاصة الصلاة،ففي حديث وفاة النبي ﷺ الذي ترويه أمنا عائشة رضي الله عنها قالت: «ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ:أَصَلَّى النَّاسُ؟، قُلْنَا: لاَ، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ، قَالَ: ضَعُوا لِي مَاءً فِي المِخْضَبِ، قَالَتْ: فَفَعَلْنَا، فَاغْتَسَلَ، فَذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ ﷺ: أَصَلَّى النَّاسُ؟، قُلْنَا: لاَ هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ضَعُوا لِي مَاءً فِي المِخْضَبِ، قَالَتْ: فَقَعَدَ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: أَصَلَّى النَّاسُ؟، قُلْنَا:

---

(1) لا يُفهم من الكلام أن أهل الخيام لا يجوز لهم صلاة الجمعة، بل لو صلوها نالوا فضلاً وأجراً وبركةً، لكن ليست واجبةً في حقهم، وهذه مسألةٌ قد بحثها الفقهاء في كتبهم فليُستفد منها.

(2) النجم الوهاج في شرح المنهاج،للدميري (3/ 341).

لاَ، هُمْ يَنْتَظِرُونكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: ضَعُوا لِي مَاءً فِي المِخْضَبِ، فَقَعَدَ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: أَصَلَّى النَّاسُ؟، فَقُلْنَا: لاَ، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَالنَّاسُ عُكُوفٌ فِي المَسْجِدِ، يَنْتَظِرُونَ النَّبِيَّ عليه السلام لِصَلاَةِ العِشَاءِ الآخِرَةِ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِأَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ»[1]، وفي الحديث الذي يذكر الدجال ولبثه في الأرض يقول النبي ﷺ: (أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟[2]، قَالَ: لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ[3])، ولا تخفى علينا قصة (لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ)[4]، وكذلك أول سؤالٍ سأله سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أفاق بعدما أُغمي عليه بعد طعنه، كان: هل صلى الناس؟!، وأعجب من هذا كلِّه قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ ...﴾ [النساء:102][5].

إنَّ الهدف من الجهاد هو إقامة العبادة، فمن أقام الجهاد وأغفل العبادة فقد تمسك بالوسيلة وضيَّع الغاية، وشتان بين الوسائل والغايات، ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الحج:41].



(1) صحيح البخاري، حديث رقم 418.
(2) سؤال الصحابة رضوان الله عليهم عن الصلاة أثناء الخطوب العظيمة دليلٌ على الإيمان.
(3) صحيح مسلم، حديث رقم 2937.
(4) صحيح البخاري، حديث رقم 946.
(5) من الفقه أن نعرف أنَّ هذه الكيفية ليست ملزمة، وأنَّ صور القتال المعاصر غالباً لا تتيح لنا صلاة الخوف بالطريقة المذكورة في الآية.



باب في كون النشيد سبيلٌ لرفع همَّة المجاهدين

منذ الصغر وأنا أحفظ النشيد الهادف وأُدَوِّنه في دفترٍ خاص، كان هذا حتى عام 2018م، لكن منذ عام 2018م شغلني الله بالقرآن حفظاً وسماعاً وتلاوة وتفسيراً، فلم يبقَ في القلب متسعٌ للنشيد، لكنْ شعرتُ في هذه الحرب بأثرها على إخواني فنزلتُ عند رأيهم، وكنتُ أنشد لهم أحياناً، وأورد هنا بعض المقاطع التي كنت أنشدها بالدموع:

أنشودة:

هاجرَ اللذائذَ وانبرى ❖ ليثاً بأدغال الشرى

باعَ الحياةَ رخيصةً ❖ لله والله اشترى...

وأنشودة:

ومهاجرٌ في الله ودَّع أهله ❖ لم يلتفت يوم الفراق وراء

ألقى ثقال الأرض عن أكتافه ❖ ورمى الهوى لما أراد سماء...

وكذلك أنشودة:

أحبائي خُذُوا منِّي سلامي ❖ يرفُّ عليكم مثل السحاب

فؤادي عندكم يُضْحِي ويُمسي ❖ يلازمكم وإن بعدت ركابي

وكان لنا أنشودةٌ جماعيةٌ ننشدها معاً:

ما وَهَنَّا ما وهَنَّا ❖ نحنُ أحفادُ المثنى

في طريق المجد سِرنا ❖ اسألوا التاريخَ عنَّا

ومن الأناشيد التي كتبتها على حائط كنا نرتكز إليه، وكنا ننشدها ونذرف الدموع:

وتـــذكَّـــرتُ زمـــاني مـــعهمُ ❖❖ آهِ ما أجـــمـــله ذاك الزمـــانا

حين غابوا لم تغبْ ذكراهمُ ❖❖إنْ نسينا الدهر لم ننسَ هوانا

ومن المقاطع التي كنت أحفظها وأنشدها:

ضَمِّدي يا أمّ جرحي واعلمي ❖❖ أنَّ جرحي التاجُ إذ يعلو الجبين

واذكـــري يا أخـــتُ بالفـــخر أخاً ❖❖ راح يسعى لقتال الغابرين

ومنها:

لَـسوفَ أعودُ يا أمي ❖❖ أُقبِّلُ رأسَك الزاكي

أَبثُّكِ كلَّ أشواقي ❖❖ وأرشفُ عِطرَ يُمناكِ...

ومنها:

ويـــومَ وداعِـــنا فـــجراً ❖❖ ومـــا أقـــساهُ مـــن فـــجرِ

يحار القول في وصفِ ❖❖ الذي لاقيتِ من هجري

لا أُخفيكَ أخي أنَّ هذه الكلمات كانت محفزةً وباعثةً للهِمَّة.





تقديس الحضارة المادية

كُلَّما قرأتُ قصة ثمود تساءلت؟!، قوم ثمود كانوا على مستوىً عالٍ من التمكُّن السياسي ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: 74]، وكذلك بلغوا مبلغاً عظيماً من الناحية العمرانية والهندسية، فهم كما وصفهم القرآن: ﴿وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ﴾ [الشعراء: 149]، ومساكنهم التي في الحِجر كانت تُوفِّر لهم أمناً مجتمعياً عميماً، ﴿وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: 82]، وفوق كلِّ هذا حَظي قوم ثمود ببيئةٍ زراعيةٍ متقدمة، ﴿أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ﴾ [الشعراء:146-148]، إذن كان عندهم تقدمٌ في كل المجالات!!، أمنياً واجتماعياً وزراعياً وسياسياً ووفرة في الموارد، والناس ليس عندهم مشاكل مادية!، ما حاجتهم لرسول من عند الله إذن؟؟!.

الإجابة تحتاج منك تجرداً ومصارحةً، والقرآن لم يجعل المسألة قابلةً للأخذ والرد، بل عرضها بكلِّ وضوحٍ لا مِراء فيه ولا التواء!!، الجواب: لأنهم كانوا يُعظِّمون المادة وغارقين في اللذة، وكانت غايتهم في الحياة هي تحصيل اللذات فقط!!، فهم قد كانوا مشركين بالله، ولكنَّ مسألة الإيمان بالله مُؤجلةٌ عندهم، ولا وقت لديهم للحديث عنها... يَبنُون القصور الشاهقة ويعمرون الأرض بالبنيان ومع ذلك يُسميهم القرآن مُفسدين ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف: 74]، نعم مُفسدون، فأصحاب التقدم الهندسي والزراعي في زماننا يَعدِمُون الحيوانات إذا ضاق بهم الأمر، ويُتلفون المحصول بعد حصاده إذا فاض ونزل سعره في السوق، ولا يطعمونه للفقراء، بل ومستعدون لإبادة الناس اذا تعلق الأمر بحضارتهم المادية، وهكذا فعلت ثمود، فقد سعوا لقتل نبي الله صالح

عندما أمرهم بترك الفساد والإسراف ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٥٠ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝١٥١ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾ [الشعراء: 150-152]، فما كان منهم إلا أن ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [النمل: 49]، وما أجمل بصيرة الإمام الرازي حين شَّخص مشكلتهم فقال: «واعْلَمْ أنَّ ظاهِرَ هَذِهِ الآياتِ يَدُلُّ عَلى أنَّ الغالِبَ عَلى قَوْمِ صالِحٍ هو اللَّذّاتُ الحِسِّيَّةُ، وهي طَلَبُ المَأْكُولِ والمَشْرُوبِ والمَساكِنِ الطَّيِّبَةِ الحَصِينَةِ»[1].

هل تُصدِّق أنَّ هذه القصة تكرَّرتْ في قرآننا الكريم في أكثر من ثلاثين موضعاً!!.. لماذا؟، لأنَّ العليم الخبير سبحانه يعلم ما سيتسرب إلى نفوس أمة محمد من تصورات تقديس الحضارة المادية، لذا جاءت أغلب القصص القرآني تعالج ظاهرة الارتماء في أحضان المادة، يقول الشيخ إبراهيم السكران -فك الله بالعزِّ قيده-: «قصص الأنبياء في القرآن الكريم لو أردنا أن نضع عنواناً مناسباً لصراعهم مع أقوامهم لصحَّ أن يكون العنوان: (الصراع بين المظاهر المادية والقيم الدينية)»[2].

ما أحوج الأجيال المسلمة اليوم إلى بثِّ العزة فيهم، فالعالم الغربي والأمريكي يحتاجك أيها الشاب أكثر ممَّا تحتاجه، واقتصادهم وممالكهم قائمة على غفلتك واستهلاكك المفرط، ولهثك خلف سلعهم ومنتجاتهم الكمالية، بل غير اللازمة أصلاً طبعاً هذه المعاني لا تُعجب المنافقين ولا يستسيغونها، وعندئذ نقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [المنافقون:8].

---

(1) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير للرازي (525/24).
(2) انظر: كتاب مآلات الخطاب المدني، الفصل الثالث «صراع الأنبياء مع الأقوام.. دراسة تحليلية».



معضلة المجتمعات الغربية

كثيراً ما يُردِّدُ البعض أنَّ المجتمع الغربي ليس فيه إلا مشكلة الجنس، بينما يتمتع بأخلاق العدالة والصدق والأمانة!، والحقيقة أنَّ هذا كلامٌ غير صحيحٍ للأسباب التالية:

1- الثقافة الغربية تُعاني من اضطراب حادٍ على صعيد الإلهيات، فالناس هنالك يعانون من تشوشٍ كبير في مفهوم الإله، ونُخَبُهم المثقفة تَعُدُّ قضية الدين قضيةً مؤجلةً غير محسومة، ولأنهم لم يُشرِّفوا أنفسهم بنبوة محمد ﷺ فلا يزالون محرومين من التصورات الصحيحة عن الله والمعاد والنبوات ونحو ذلك من المطالب العالية!، ثم هم لا يعلمون شيئا عن مستقبلهم الأخروي!.

2- كذلك لم يهتدوا إلى أصول وتفاصيل العدل التي كشفها الوحي ، فلا زالوا يرتعون في كارثية الربا والمَيْسِر والمُسكرات ،ولم تتطور عقليتهم إلى معرفة كثير من تفاصيل نظام القضاء الشرعي والحدود وقواعد العلاقات الأسرية، ناهيك عن فقدهم لأساسيات سنن الفطرة من الطهارة وإزالة الأوساخ التي نبَّهنا عليها الوحي.

3- بل إنهم يعانون من ظاهرة الوثنية التي هي أحطُّ مستويات التخلف، ولست أقصد هنا عبودية الأصنام الحجرية، بل عبودية المال والمادة والجنس والثراء والهوى... (تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ)[1]، ربما تعِي الآن مشكلة الكافر من قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: 43-44].

4- ومن باب التنزُّل، فلو فرضنا أنَّ المجتمع الغربي لا يُعاني إلا من الفوضى الجنسية!، فهل هذا هيِّن؟!، اتخاذ الأخدان وانتهاك الأعراض وضياع الأنساب وزواج المثليين...، هذا وحده كافٍ

(1) سنن ابن ماجه، حديث رقم 4136.

للدلالة على تخلف المجتمع الغربي، وعلى أنه محتاج للتنوير الإلهي الحقيقي، فظاهرة الشذوذ وحدها هي أحد موجبات الغضب الإلهي، فقد قلب الله قرى قوم لوط وجعل عاليها سافلها لهذا الخروج عن الفطرة والسوية، ولك أن تتخيل أنَّ المجتمع الغربي قد فاق فعل قوم لوط وأصبح يُنظِّم جمعياتٍ وقوانين لحفظ حقوق المنحرفين!، فهل بعد هذه الجاهلية من جاهلية؟؟!!.

5- ولا تنسَ أنَّ حياتهم ليس فيها قرآنٌ يُتلى أو يُسمع أو يُتدبر، وكفاهم ذلك حرماناً وتيهاً وضياعاً.

6- ومن عجيب قول عبيد الغرب، أن المجتمع الغربي أَسّس للعدل والقسط!!، قلنا: كذلك هو أُسِّس لتطبيق الرذيلة والجريمة ووفّر لها أرقى الإمكانيات التكنولوجية، ولكل منبهرٍ بالعفن الغربي الكفري، راجع إنْ شئتَ معدلات الجريمة والتزوير والرشوة وانتشار السلاح والعنف الأسري والتحرش الجنسي وأمراض اللذة المحرمة وأزمة الديون!![1].

هذا الشقاء الغربي في الإيمانيات وكثير من الماديات، لا يعرفه الكثيرون!!، وصدق ابن القيم لما قال: «لولا النبوات لم يكن في العالم علمٌ نافعُ البتة، ولا عملٌ صالح، ولا صلاحٌ في معيشة، ولا قوامٌ لملكة، ولكان الناس بمنزلة البهائم والسباع العادية والكلاب الضارية التي يَعْدو بعضُها على بعض»[2].

ادخُل ساحة القرآن لترى الأشياء بمنظور الوحي وتقرأه بهذا الفكر ستجد أنَّ الإيمان عِزَّة، وأنَّ الكفر والشرك بالله جريمة، وأنَّ القرآن كتابٌ عزيزٌ يبثُّ العزة فيمن يتلوه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾[التوبة: 28].



(1) لمعرفة أزمات المجتمع الغربي انظر: علم الاجتماع، للكاتب انتوني غدنز، طبعة 2005.
(2) مفتاح دار السعادة (118/2).



رصيد القيم

هيمن الإسلام على العالم لعدة قرون، فانتشر العدل وساد الأمان، ولهذا وقائع وشواهد كثيرة، ولمَّا هيمن النظام الغربي وأخوه الأمريكي على العالم فعل بالبشرية الأعاجيب، وكل هذا باسم العلم والتطور والحضارة[1].

إنَّ القيم في النظام الغربي قد أوشكت على الزوال، وإنَّ الرجل الأشقر الذي يقتل الأطفال ويدمر المستشفيات ويريد أن يُلبِّس على العالم بأنه ما زال رجل الأخلاق والقانون الإنساني قد سقط، لقد كشف الطوفان زيفهم، فلا تصدقوهم إذا حدثوكم عن حقوق الطفل[2] ولا عن حقوق المرأة ولا عن حرية التعبير ولا عن غيرها، فهؤلاء بحاجة لأبسط دروس الإنسانية.

إنَّ الذي يقصف المستشفيات ويدمرها ويقتل الجرحى والأطباء هو الذي ينبغي أن تُشرح له الحقوق والواجبات.

لقد كانتْ كاميراتهم تُسلَّط على بطةٍ توقف خط السير لتعبر الطريق، أو كلبٍ يمر من أمام السيارات فيفسح له شرطي المرور الطريق، كلُّ ذلك كان كذباً، لكنهم مبدعون في التعامل مع الكاميرات، فانتبه أيها العاقل ولا تشترِ وهماً.

سيكتب التاريخ أنَّه قُتل في غزة خمسة عشر ألف طفلٍ في عام 2024م، بينما انسحب المسلمون من سمرقند بعد أن تم فتحها، لأنَّ أهلها لم يُخيَّروا بين الجزية والقتال.... ذاك في عهد الخلافة الإسلامية، أما في عهد الخلافة الأمريكية فشيءٌ آخرٌ تماماً.

(1) نظرة سريعة في التاريخ الحديث لأوروبا وأمريكا والمنطقة، تنبئك بمستوى الإجرام الذي مارسه الغرب من إبادة الشعوب وعشرات ملايين القتلى، بدءاً من إبادة الهنود الحمر مروراً بالحروب الداخلية ثم الاستعمار والحروب العالمية ثم ما أسموه بالحرب على الإرهاب، وتدمير دول وقتل ملايين الأبرياء.

(2) بلغ عدد الأطفال الأبرياء الشهداء في هذه الحرب وحدها لحتى الآن أكثر من ثمانية عشر ألف طفل.



النظام الأردني

من الأفكار التي كان يُكرِّرها أستاذنا محمد إلهامي -سدَّده الله-، أنَّ الأنظمة العربية تنوب عن المحتل، وأنَّ أولى الواجبات هو قلع هذه الأنظمة الخائنة بطريقةٍ أو بأخرى، ولقد وُفِّقَت حركة حماس في حسم قطاع غزة يوم أن حسمت النظام الخائن، وحكمها أبناؤها المجاهدون[1].

لقد جاءتْ الحرب وطالتْ وكشفتْ الأنظمة على حقيقتها وخيانتها الصريحة، وما كان يحصل تحت الطاولة أصبح يحصل عياناً بلا خجل، ولكن المهم في كل هذا: هل بقي بيننا إلى اليوم من لا زال مخدوعا بهذه الأنظمة، وأنها من أكبر أسباب نكستنا وذُلنا؟!!

وتأمل معي في النظام الأردني، فهو من أخطر الأنظمة العربية الحاكمة، ويعتبر صمام أمان للكيان الصهيوني من جهة الشرق، ومدخل للنفوذ الغربي في منطقتنا، وفي المئة سنة الأخيرة تغيَّرت غالب الأنظمة في الوطن العربي عدا النظام الأردني، بقي بأحجاره كما هو!!!،ألا يعد هذا ملفتاً؟!.

إنَّ نظرةٌ سريعة في النشأة التاريخية للنظام الأردني والخيانات المتلاحقة والولاء للإنجليز والتعاون معهم ثم التعاون مع اليهود بعد ذلك، تنبئك بمدى خطورة هذا النظام على الإسلام والمنطقة، ثم حرصهم على سياسة تعظيم العائلة الحاكمة وتعبيد الناس لهم، وفرض العقوبات والملاحقات والرُّهاب على كل من يتعرض لمقام الملك ولو بالتلميح، وكلُّ ذلك خوفاً من يقظة الناس وتحركهم، ويأتي كل هذا في نفس الوقت الذي يُهاجم فيه الدين والثوابت، وتُغير المناهج، وتُفرض الاتفاقيات المخالفة للفطرة بمباركةٍ وموافقةٍ من النظام لتضييع المجتمع والتحكم فيه أكثر مما هو موجود، وخاصة وأن الغرب وأعوانه يعرفون ما

(1) مقتبس من تغريدة للأخ محمد إلهامي يوم 7 أكتوبر، ومن بعض محاضراته.

يمكن أن تفعله جبهة شرق فلسطين لو استيقظ أهلها وتحركوا باتجاه الأرض المباركة، ولذلك يبذلون كلَّ جُهدٍ لِوَأدِ أيِّ مُحاولة شَريفةٍ في ذلك، وتأخير هذه اليقظة ما استطاعوا.

ومن ناحيةٍ أخرى إذا نظرتَ إلى الحدود الأردنية الفلسطينية وطولها -حيث هي أطول وأضعف حدود برية مع فلسطين-، عرفتَ أهمية بقاء النظام الأردني بالنسبة لإسرائيل، وهذا ما صرَّح به النتن ياهو بأنه سيدافع بنفسه عن النظام الأردني إذا تعرض للخطر ولم يستطع الدفاع عن نفسه، ببساطة: لأنه لن يجد حامياً مُخلصاً وعَميلاً وَفيَّاً أفضل من هذا النظام منذ قامت ما تسمى بدولة إسرائيل.

إنَّ المسلمين في الأردن يقع على عاتقهم واجبٌ ثقيل جداً، يتمثل ابتداءً في الحفاظ على دينهم من العبث والتحريف من خلال هذا النظام وأجهزته وأدواته التي وصل بها الحال لمحاربة مراكز تحفيظ القرآن الكريم وإغلاقها، ثم يقع على عاتقهم المحافظة على يقظة الجيل، وعدم ترويضهم وخداعهم ليكونوا عبيداً للنظام القائم، بل يبنونهم بالقوة والشجاعة والإعداد في سبيل الله، وتعريفهم بما أوجب الله عليهم من امتلاك القوة ودفع عدوهم ونصرة إخوانهم وجيرانهم في فلسطين المحتلة، لأنهم إن بقوا صامتين متفرجين فالدور سيأتي عليهم كما يصرح العدو بذلك في الفترة الأخيرة-، ووقتها سيذوقون شؤم خذلانهم لأهلهم وإخوانهم، وسيحكمهم الإسرائيلي مباشرة بدلا من وكلائه وأعوانه، إلا إن تداركوا أنفسهم بعودةٍ صادقة إلى ربهم يقيمون بها دينه، ويرفعون لواء الجهاد في سبيله.





النظام المصري

تُمثِّل مصر الكنانة بموقعها الاستراتيجي وخزانها البشري ومواردها المتعددة وملاصقتها للأرض المباركة مطمعاً لكلِّ مُحتلٍ وغازٍ، فكانت مقصداً للحملات الصليبية والمستعمر الأجنبي عبر الأزمان، وذلك لاحتلالها وتغييبها عن المشهد الإسلامي، ومنعها من أخذ دورها الحقيقي الفاعل في نصرة الإسلام وإقامة دولته، فحاول المحتل الأجنبي تنفيذ ذلك بالاحتلال المباشر تارةً، وبالاحتلال بالوكالة عن طريق الأنظمة القمعية تارةً أخرى، مع تغييرٍ لثقافة المجتمع وفتح الباب لشتى أنواع الغزو الفكري.

فابتلي المصريون بأنظمة فاجرة متعاقبة وحُكام ظلمة، علَّموا الأنظمة الأخرى في الوطن العربي أساليب الظلم والقهر والتعذيب والتغييب، وأعطوا الولاء والتبعية للمستعمر الخارجي، بدءاً من محمد علي باشا ومروراً بالمَلَكية ثم السادات وعبد الناصر ومبارك إلى أن أوصلنا شؤم الأيام إلى السيسي عدو الله وحقبته القمعية الفاجرة، التي لم تشهد مصر لها مثيلاً في الظلم والقتل والسجن والفقر والضياع.

لقد حرص الكيان الصهيوني اللقيط على إبقاء جبهة مصر نائمةً وخارج الصراع عن طريق تجديد التزامه اللفظي فقط باتفاقية كامب ديفد الخيانية، وتكبيل مصر في حاجاتها الأساسية للطاقة بإلزامها باتفاقيات الغاز الذي يسرقه الكيان ثم يرجع ويبيعه لمصر بأغلى الأثمان، والأنكى من ذلك هو الاتفاق مع النظام القائم حالياً على ضرورة تعويض النقص في السوق الإسرائيلية نتيجة الحرب واستدعاء قوات الاحتياط وتوقف المصانع عندهم وتعطيل النقل البحري، فأظهرت الإحصائيات الرسمية أن الصادرات المصرية للكيان الغاصب من الإسمنت والصلب والمواد الغذائية زادت بنسبة أعلى من 3000% عن الفترة قبل معركة طوفان



الأقصى، في الوقت الذي يعاني فيه الشعب المصري من فقر شديد وغلاء في الأسعار وعدم قدرة على توفير ضروريات الحياة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إن النظام المصري شريكٌ حقيقي بل مباشر في حصار أهل غزة وتجويعهم، وإغلاق المنفذ البري الوحيد للقطاع من طرفهم وبإرادتهم، ومنع دخول شاحنات المساعدات حتى تكدست بعشرات الآلاف كمدن من الشاحنات، وفسدت حمولتها بعد ما يقارب سنتين من الانتظار، وتم إتلافها ورميها في القمامة في الوقت الذي يحتاج فيه الغزي المسلم إلى شربة ماء وكِسرة خبز.

إن النظام المصري والجيش المصري يستطيع القيام بجهودٍ جبارة وفاعلة في تهديد الكيان الصهيوني وإلجامه لو أراد ذلك، ولكنه الخضوع والخنوع، ورحم الله الرجل الصالح يوم أن قال: لن نترك غزة وحدها، واتخذ وقتها بعض الخطوات البسيطة فاضطرت اسرائيل لوقف الحرب.

لو قُدِّر لمؤرخٍ إسلامي أن يُدوِّن الأيام التي نحياها لكتب: في سنة 1446 للهجرة عجزت مصروالأمة العربية والإسلامية -وهم يومئذ كثير وذوو مال وجاه وقصور وجيوش وعُددٍ وعتاد- أن يُدخلوا الخبز لأهل غزة المحاصرين الجوعى العطشى من معبر رفح المصريّ، وفي السنة نفسها مات كثيرٌ من أطفال الغزيين من شدة الجوع، وصار سعر شوال الدقيق يساوي خمسة عشر غراماً من الذهب.. مع ندرته!!، ولم تملك دولة مصر المحتلة أن تفتح المعبر إلا بإذن الجانب الإسرائيلي، لأن مصر تنوب عن إسرائيل في إدارة المعبر حسبما تنص اتفاقية المعابر...، وفي السنة نفسها وبعد أن قتلت إسرائيل أكثر من خمسين ألفاً من سكان غزة حافظت معظم الدول العربية والإسلامية على معاهداتها مع اليهود، ولا حول ولا قوة إلا بالله على هذا الضياع والخذلان.

سلطة الخيانة

منذ اللحظة الأولى لانطلاق جولة الطوفان وُضعتْ سلطة عباس في ورطة!!، هل ستتنكر العملية البطولية التي فرح بها كلُّ مسلمٍ وتُعزِّي إسرائيل في مصابها، وبهذا تَظهر أنَّها موالية كلَّ الولاء للمحتل ولا علاقة لها بالمعارك التي تقوم بين الحق والباطل، أم ستمدح العمل وتخسر كلَّ أصدقائها من إسرائيليين وأمريكان وغربيين وصهاينة؟!![1].

إنَّه مأزق المنافقين في كل زمان، وهذه سُنة الله في خلقه كما في قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾[آل عمران:179]، طبعاً بكلِّ حماقة ما كان من سلطة العار إلا أنَّها جعلت الأمر اقتتالاً بين فئتين (حماس واليهود)، (السنوار ونتنياهو)، حتى صرَّح ابن سلول الناعق بخزاياهم فقال: نتن ياهو يحرص على الحكم، وحماس تحرص على الحكم، وقد صرح بهذا وقت اقتحام مستشفى الشفاء.

ثم ما كان من المجرم عباس إلا أن قال: «إنَّ خطيئة حماس يوم السابع من أكتوبر جرَّأت المحتل ليوغل في دماء شعبنا»، وخاطب المجاهدين بأولاد الكلب وطالبهم بتسليم الأسرى الإسرائيليين بالمجان، وحمَّل المسؤولية للمقاومة وساوى بين الجلاد والضحية، ومن العجيب أن تصريحه هذا جاء في نفس اليوم الذي حصلت فيه مجزرتان كبيرتان قتل فيما مئات الشهداء المدنيين الأبرياء.

إنَّ الانتماء لهذه السلطة جريمةٌ شرعية، وخاصةً بعد أن ظهر تعاونها مع المحتل في ملاحقة المجاهدين والمقاومين، وتسليمهم للمحتل بيدها، إنَّ هذه الأفعال وإن سمَّاها فاعلوها تنسيقاً لكنها في الحقيقة ردةٌ عن دين الله، وعلى كلِّ من ينتمي لهذه السلطة أن يُطهِّر سلاحه،

---

(1) ورغم كل ذلك مع الأسف صمتت في البداية ثم رجعت وأدانت المجاهدين والعمل المقاوم ووصفته بالإرهاب.



فأمامه فرصةٌ للاستدراك، خاصةً وأنَّ المحتل الغاصب يعيث في الضفة فساداً ليلاً ونهاراً، مع أنَّ عدد العساكر في أجهزة السلطة أكثر من سبعين ألف مسلح.

إنَّ ما قدمه عباس منذ عام 2005 م حتى الآن للشعب اليهودي يفوق ما قدَّمه بعض رؤساء الوزراء الصهاينة!!، ولا أجد لهذا تفسيراً إلا أنَّه ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:51].

إنَّ مسلسل عباس وزمرته في حلقاته الأخيرة، وها هو يعيش الآن لحظات المسخ والذل، وقد اقترب موت نظامه، ولكن يا تُرى هل سيكون الشباب المسلمون الشرفاء في الضفة جاهزين لقيادة دُفة البلاد بعد هلاك هذا الخائن، أم سيطلُّ علينا منافقٌ آخر!.





الجزيرة العربية

مَن كان يعتقد أنَّ المدينة المنورة وتلك الخيام التي كانت خلف رمال الصحراء، ستكون يوماً مهبطاً لأعظم رسالات التاريخ، وَمَن كان يعتقد أنَّ الجزيرة العربية سيخرج منها خير رجال التاريخ بعد الأنبياء (الصِّدِّيق)، وَمَن كان يعتقد أن الجزيرة العربية ستنتج فاروقاً بين الحق والباطل، وولي الله علي، وسيف الله المسلول؟!!، هذه مآثر آبائكم يا أبناء الجزيرة العربية فلا تُضيعوها.

إنَّ الثلة التي تحكم بعض بلاد الجزيرة العربية اليوم هي أسوء بكثيرٍ من مشركي قريش، فلا حكم بما أنزل الله، ولا نصرة للمؤمنين، مع تغييرٍ لأنماط الحياة وقِيمها، وإفسادٍ يريدون بها أن تعيش المرأة الخليجية بروحٍ غربية أوروبية، وفوق كل هذا حبسٌ وتغييبٌ العلماء الصادقين.

إنَّ الجيل الذي يرضى بأن تُستبدل تلك المآثر السابقة لأبطال الإسلام بهذه السفالات على خطرٍ عظيمٍ، اخرُجوا من تيهكم، واعلموا أنَّ أعظم الجهاد رجلٌ قام إلى إمامٍ ظالمٍ فنهاه وأمره، إنَّكم بحاجةٍ إلى العودة للجهر بالقرآن بين الطغاة كما جهر به ابن مسعود رضي الله عنه، وكلما طال الأمد، كلما عَسُر التغيير ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء:131].

هل سمعتم بالجنسية المشتركة لليهود في الإمارات؟!، هل سمعتم بالديانة الإبراهيمية؟!، هل سمعتم بحفلات الرقص الجماعية؟!، أخبروني بالله عليكم بمَ يُؤوَّل هذ؟!!، فما حجتكم عند الله!، ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء: 144].



الجزيرة العربية مصنع الرجال، وذخيرة أسرار القامات العالية التي زيَّنت وجه التاريخ، فالهمة الهمة يا شباب الأمة، ولا تُعولوا على الجيل الكبير، فلكم دورٌ مهمٌ جداً في تغيير قرارات البلاد، وسقف الممكن مذهل، فاستعينوا بالله، والله معكم ولن يَتِرَكم أعمالَكم.





طوفان السجون

إنَّ عمليـة طوفان الأقصى، جرَّأت المظلوم على الظالم[1]، وأبانتْ أنَّ الضعيف المظلوم إذا استغل اللحظات الفارقة فسيصفع الظالم صفعةً قوية، يستردُّ بها بعض حقوقه، ويؤسِّس بعده لجيلٍ لا يسكت على الذل والاستعباد.

إنَّ حبس العلماء جريمةٌ كبرى شرعيةٌ ودنيوية، لا يرضى بها عرفٌ ولا قانونٌ ولا مُعتقَد، وإن تغييبهم عن واقع المسلمين لَهُوَ أعظمُ الفَساد والإِفساد، وَهُو أفضلُ طَريقةٍ لتمريرِ تَحريفِ الدِّين وتَغييرِ قيم الشعوب ونكس فطرتها.

إنَّ كتائب النُّخبة التي سيُكتب لها قيادة الأمة سيكون من أولِّ مهامها إخراجُ علمائنا من السجون، وذلك عن طريق:

1- خطف الرهائن من كبار المسؤولين في حكومات الظُلم ومبادلتهم، وإرغام الفجرة على إخراج العلماء.

2- هجمات سريعة على مقرات الدولة تُحاكي (طُوفَان الأَقصَى)، وأقولها بكل وضوح: لا تغتروا بأنظمة المراقبة، فقد دمَّرنا بفضل الله أقوى أنظمة المراقبة العالمية.

3- تهديد أفراد العائلة الحاكمة تهديداً حقيقياً وتنفيذه، ليتحسسوا رقابهم، وليرجعوا خطوةً وخطوات إلى الخلف، وليعلموا أننا لا نساوي أحداً بعلمائِنا كائناً من كان.

إنَّ إخراج العلماء العاملين من السجون وفكاك أسرهم وإرجاعهم لأخذ دورهم في قيادة الأمة وتوجيهها من أوجب الواجبات في زماننا، ويا لسعد من كان سبباً في هذا الخير العظيم.

(1) أظهرت المعركة نقاط ضعف العدو وأعوانه، مثلاً: الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر والموانئ، وأثر ذلك على الدول الكبرى، فليُتنبه إلى مواطن ضعف القوي، وليتم ضربه فيها.



القضية التي سنُحاسب عليها جميعاً (الأسرى)!

إنَّ أحكام الإسلام ترفض أن يتسلَّط أو أن يعلو الكافر على المؤمن في موقفٍ من المواقف، فما ظنَّكم بحبسه وتعذيبه؟!، آلاف الأسرى يقبعون خلف القضبان ظلماً وعدواناً، والمجاهدون والمقاومة تحمل همَّهم، وتعود أهلهم وتواسيهم، وتعدُّ الخُطط لخطف الجنود حتى تُحرِّرهم، والأمة لا تُحرك ساكناً.

لقد مات كثيرٌ من رجالُنا في السجون، وبعضهم فقد بصره، وثالثٌ أُصيب بالجنون بسبب كثرة التعذيب، تصوَّر أنَّ الأسير أو الأسيرة هي (أختك) أو (أمك) أو (ابنتك)؟!!، هل كنتَ ستقعد وكأنَّ الأمر لا يعنيك؟!، ألم تقرأ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾؟!، ألم تقرأ: (ذِمَّةُ المُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ...)[1]؟!، ألم تقرأ: (المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ)[2]، تاللهِ لنُسألنَّ عن أولئك، ماذا فعلنا للأسرى؟!، فلنُجهِّز للسؤال جواباً، ودونكم بعض الخطوات العملية لنصرة الأسرى:

1- خطب جمعةٍ عن قضيتهم لتعريف وتحفيز الناس على العمل لفكاكهم.

2- اعتصامات مستمرة بلا كللٍ أو ملل.

3- فضح السجَّانين دولياً، ووصفهم بأنهم مجرمو حرب، وتهديدهم وأهلهم عبر مواقع التواصل.

4- الحديث عن قيادات الأسرى في السجون وكتابة سيرة حياة من ماتوا في الأسر.

5- تفقد أهلهم وذويهم وكفالتهم.

وهذا كلُّه جهد المُقِل قبل إخراجهم وفكاكهم، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل.

---

(1) صحيح البخاري، حديث رقم 7300.

(2) صحيح مسلم، حديث رقم 2564.

نتن ياهو

لقد طغى نتن ياهو في الأرض وأكثر فيها الفساد، وتعجرف بطريقةٍ لم يسبقه إليها أحدٌ في هذا الزمن، حتى وصل به الحال إلى أن قال: سنهزم حماس حتى ولو كان الله معهم.

دعك من الواقع الميداني ومن كونه لا يستطيع حسم معركةٍ مع جماعةٍ مجاهدةٍ مُحاصَرة لا تُعدُّ شيئاً في عالم الجغرافيا، لكنَّها عظيمةٌ كبيرةٌ في عالم التاريخ، وانظر معي إلى جانب مهمٍ سأذكره.

إنَّ النتن ياهو بهذا العلو والصَلَف يستنفد رصيد إمهاله، ليأخذه الله نكال الآخرة والأولى، وجنون العظمة الذي عنده، بل عقدة النقص، ستودي بهذا الأرعن المتعجرف لمثل مصير الطغاة والمتجبرين من قبله، فالله يُمهل ولا يُهمل، قال الله تعالى عن فرعون: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ٢١ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ٢٣ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ٢٤ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ [النازعات: 21-25].

أجزم أنَّ النتن ياهو كفرعون، لقد كانا مصابين بالأرق والقلق الكبير خوفاً من سقوط مُلكهم... وسينكسر النتن ياهو يوماً كما انكسر الفرعون، وستنتهي الأسطورة التي لهث ليصنعها... الطاغية هو عبدٌ يدور حول نفسه، لا يعرف عظمة الله، يظن أنَّ الله يطير مع الطيور، أو يظنه جالساً على السحاب، لا يعرف العرش ولا الكرسي، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام:91].

وعد نتياهو شعبه بالنصر المطلق، ووعدنا الله بالتمكين ولو بعد حين، وسنرى أي الوعدين يُنجز، ووالله لن يُنجز إلا وعد الله، ولن تنتصر إلا دعوة الله، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ



دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنًاۚ يَعۡبُدُونَنِى لَا يُشۡرِكُونَ بِى شَيۡـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [**النـور**:55].







الوفد المفاوض

لماذا يتركون غزة ويتنعمون في فنادق تركيا وقطر؟!، انطلقتْ هذه الفكرة على كثيرٍ من الناس، وزيَّنها الشيطان لهم، مع أنَّ وقفةً قصيرةً مع النفس تُجلِّي الحق للعاقل، وأن الخطر يتهددهم أينما كانوا، وقد اغتال العدو بعضهم خارج غزة، وعلى رأسهم قائد الحركة أبو العبد هنية، ونائبه الشيخ صالح العاروري رحمهم الله، ونحن على يقين أنهم لو كانوا في غزة لتم استهدافهم جميعاً وقتل قيادة الحركة ورأس هرمها، ولما استطعنا مفاوضة العدو ومخاطبة العالم.

ثم إنَّ كلَّ نظامٍ مُبصرٍ يجعل له جسماً آخر ونُسَخاً في عدة أماكن ليُحافظ على بقائه، لقد حدَّثتنا السيرة النبوية أنَّ النبي ﷺ أرسل مئة صحابيٍ للهجرة إلى الحبشة في الوقت الذي كان فيه إخوانهم في مكة يُعذَّبون، وذلك لنبني للدعوة جسماً آخر في أماكن متعددة، بحيث يصعب اجتثاثها وإفناؤها.

وبالنظر في سلوك عدونا فإنَّ عدداً كبيراً من اليهود الصهاينة يعيشون في أمريكا وأوروبا، ويُحرِّكون اللوبي الصهيوني، ويقومون بمهمة التحريض والتحشيد وجمع الأموال لمصلحة الشعب اليهودي، وكثيرٌ منهم هم عناصر مدربة عاملة خارج الحدود في الملاحقات والاغتيالات وغير ذلك، وهذا يُوجب علينا كأمةٍ ممتدةٍ ومنتشرةٍ في أصقاع الأرض أن نسبقهم لذلك، وأن تكون لنا قواتٌ ضاربة في كلِّ مكان، فنحن أولى بذلك منهم، ولا يتصور أن تبقى غزة تقاتل لوحدها بلحمها الحي وجميع مكونات الأمة تتفرج من بعيد!!

إنَّ من تعظيم الشريعة إكرام العلماء العاملين السابقين، وإكرام المجاهدين المدافعين عن حياض الشريعة، والناطقين باسمهم، والمفاوضين عنهم، والدعاء لهم، فأحوج الناس للدعاء بالتوفيق والسداد هم إخواننا المفاوضون، وقد أخبرني أكثر من أخٍ من المجاهدين أنه يخص



وفدنا المفاوض بالدعاء في الأيام الفاضلة وفي ساعة الإجابة وهذه علامة خير وتلاحم وتراحم، وأوصي وفدنا المفاوض بالاستخارة في كل أمرٍ ذي شأن ولزوم الاستغفار وطلب الهداية والسداد، فاللهم ألهمهم رشدهم وأعذهم من شرور أنفسهم.

في عام 2014 م فاوض (عزام الأحمد) عن المقاومة، فجنينا الويلات من تملُّكهم زمام المفاوضات، لكنْ الحمد لله أنَّ الذي يفاوض عنا اليوم هي المقاومة الأمينة، وهذا من حقنا أن تكون لنا قيادةٌ أمينة نُأمِّنُها على أنفسنا وقضيتنا إذا ما خَلَتْ في الغرف المغلقة بأنظمة الكفر والفجور، ونكون واثقين بما تُخطط وتتفق عليه، فاستيقظوا يا شباب الأمة، لأنَّ حكامكم في الغرف المغلقة يعتذرون عن ماضيكم ويبيعون حاضركم ويتنازلون عن مستقبلكم ومقدساتكم، وسيسألنا الله عن ذلك.

والشيء بالشيء يُذكر فقد رُوِّجَتْ إشاعةٌ أخرى، وهي أنَّ قيادة المقاومة آمنةٌ في الأنفاق بينما الناس في بأسٍ وتنكيل، وقد سمعتُ بعض مشايخ السوء من خارج غزة يُردِّد مثل هذا، وقد دعم الإعلام اليهودي هذه الشائعات عن طريق الرسم والاستهزاء والأخبار المضللة.... ويا للعجب اليهود يقولون لقيادة المقاومة: اتركوا الأنفاق ولا تختبؤوا فيها فإنَّ هذا جبن، ونحن نقول لهم بنفس المنطق: أزيلوا الجدار العازل، وأوقفوا أنظمة المراقبة ثم قاتلونا وجهاً لوجه يا جبناء!!.

خنادقنا وأنفاقنا ليست جبناً يا جبناء، فميادين القتال تعرف صولتنا، ودباباتكم الثقيلة تعرف أحجامها الضئيلة عندما يعتليها مجاهدونا، أنفاقنا تكتيكٌ وفنٌ من فنون القتال اضطرتنا إليه طبيعة المعركة وجُبنُكم عن المواجهة المباشرة، أقول هذا حتى لا يضحك أحدٌ على المسلمين ويهز ثقتهم بأنفسهم !.



وختاماً حتى أكون واقعياً: صدِّقوني الأنفاق ليست فنادق، ولا تصلح للحياة الآدمية، ولكنها ضريبة العزِّ والجهاد في سبيل الله والجنة التي يهون أمامها كلُّ شيءٍ.







الدعوة رأس مال الداعية

كلّما قصَّرتُ في دعوة الناس لربِّ العالمين، تذكرتُ سيدَنا يوسف وحرصَه على الدعوة وهو في غياهب السجن، معتقلٌ على قضية أخلاقية، وهو بريءٌ ورجل شريف يصعب عليه أن يُتهم في عرضه، ومع ذلك يمارس الدعوة بكل هِمَّة، فيقول: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [يوسف:39]، التقيتُ في هذه الحرب مع أُناسٍ أنقياء يحبون الله، فعلَّمُت بعضهم الوضوء، ووفقنا الله بشرح أحكام التيمم لهم ولغيرهم.

إنَّ وظيفة الداعي ليست مقترنةً بزمنٍ ولا بأوضاع، والناسُ في البلايا والحروب أحوجُ ما تكون إلى الوعظ والبيان، وقد رأيتُ في هذه الحرب تعطش الناس لكلِّ ما يربطهم بالله، وهذه خطوطٌ عريضةٌ للداعية يحسن التزامها والحديث حولها في الحروب والأزمات:

1- القضاء والقدر، وتعزيز الإيمان بهما، وربط الناس بالله، وحسن التوكل عليه.

2- سؤال الشر وبيان أنَّ اللهَ عدلٌ حكيم، وله في كل قدرٍ حِكمٌ كثيرة، نعرف بعضها ويخفى علينا غيرها.

3- أحكام فقهية لازمة من فقه الطهارة والصلاة وبعض المعاملات اللازمة.

4- التوبة والاستغفار وفقه الرجوع إلى الله لكشف الكربات.

5- الأُخوة والترابط الاجتماعي والتكافل والتعاون على البر والتقوى.

6- النفاق وخطره وفضح سلوك المنافقين وطريقتهم.

7- الشهادة والجهاد حُكماً وفضلاً، وربط القلوب بالدار الآخرة.

يا معشر الدعاة ما أعظم وزركم إنْ نِمتم مع النائمين، لا تبرحوا ثغوركم، وما أجمل أنْ تُستشهد وأنتَ على ثغر الدعوة تثبّتُ الناس، فتُبعثُ يوم القيامة عظيماً.



لقد قُتل في بئر معونة سبعون رجلاً من صحابة رسول الله ﷺ وهم في مهمةٍ دعوية، وما أشرفها من خاتمة.

لقد رأيتُ في هذه الحرب همةً عاليةً لدعاةٍ يُحيون حلقات التحفيظ، ويُقيمون الجماعات والجُمعات، ويعظون الناس ويشرحون أحكام الصلاة والصيام، ورأيتُ دعاةً تنصلوا من مهماتهم بسبب شدة الأوضاع، رضي الله عن المخلصين، وهدى الله المقصرين، والعطاء في ميزان الداعية كالأخذ، بل فرحه بالعطاء وحسن الاستعمال أكبر.





صُحبة الأطهار

ما أجمل صحبة الصالحين، إنَّها من أعظم عطايا الكريم سبحانه، إنَّها الأُنس في زمن الغربة، إنَّها من نعيم الجنة المُعجَّل في الدنيا، إنَّها الحُب الدائم الذي لا ينقطع بالموت، كما قال ﷺ في حديث السبعة الذين يُظلهم الله بظله يوم القيامة: (...وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ)[1].

إنَّ الصديقَ الحقَّ مَن كانَ معك ❖❖ ومَن قد يضرُّ نفسَه لينفعَك

ومَن إذا هَمُّ الزمانِ صدَّعك ❖❖ شَتَّتَ فيكَ نفسه ليَجْمعك

لِبَعضِ أصحابي عليَّ فضائل في هذه الجولة، بعضهم ساعدك دون أن تطلب شيئاً، اتصلت بأحدهم مرةً ليُؤمِّن لأهلي مكاناً يبيتون فيه من النزوح المتكرر، في ذلك الوقت كان من المستحيل توفير مكان صغير للإيجار، لكنَّه شهمٌ، فقد غطَّاني بكرمه، فأخبرني أنَّ صَدر بيتهم يتسع لاستقبال أهلي، فدعوت الله أن يكافأه، وما نسيتُها له.

صاحبٌ آخر لم يكن يعلم أنَّ أهلي نازحين في منطقتهم، ولما علم قال لي: «سامحك الله، أهلك عندنا ونحن لا نعلم»، تلمح من طهارة صداقته أنَّه يريد أن يُقدِّم لهم أي شيء، فجزاه الله عني خيراً، كثيرون قد تفضلوا علينا في هذه الحرب، فأخي الأكبر حفظ لي زوجتي وأبنائي، وأخي الآخر لم يكن يقصر في رعايتهم، إنَّ أخلاق النفس تظهر في الشدائد، فاللهم أكرم من أكرمنا، وافتح لهم أبواب الخير والبركة من حيث لم يحتسبوا.



(1) صحيح البخاري، حديث رقم 660.



اشدُد به أزري

كلُّ أفراد العائلة نازحون في جنوب القطاع، ولا يوجد من أستطيع رؤيته من العائلة إلا أخي الأصغر مني مباشرة (أبو البراء)، وأختي المتزوجة التي كانت مستقرةً عند أقاربها – جزاهم الله خيراً–، أخي هذا شعلةُ عمل، يجمع بين روح الفتوة وبين رجولة شابٍ يقتحم الشدائد، سخيٌّ لا يبخل على أحد، كنت أشعر أنه أمانةٌ عندي، لكنَّه كان يُشعرني أنَّني أمانةٌ عنده.

لا يغيب عن بالي أولُ لقاءٍ لنا في أرض المعركة بعد اثنين وثلاثين يوماً، لا قطع الله لنا وصلاً، ولا أبعد الله عنا حُباً، كان له قدم السبق في خدمة الناس أكثر مني، وكان يشاورني في غالب أمره، ولم أكن أبخل عليه بما يفتح الله، لقد قوَّى ظهري في هذه الجولة، وتعلَّمتُ منه الإخلاص في الأُخوة، إنَّه سلاحٌ آخر كان معي غير سلاحي الشخصي.

أخاك أخاك إنَّ مَنْ لا أخاً له ❖ كساعٍ إلى الهيجا بغيرِ سلاحِ

لقد تبايعنا على الموت، ووضَعَ كلَّ واحدٍ منا معه قنبلةً للحظة الصفر، نلقي بها على العدو ونشتبك، وما هي إلا لحظات وتنتهي الحياة إلى جنة الله، إنَّ هذا الإقدام أهون بكثير من كُلفة الاعتقال، وقد اشترى لي شنطةً صغيرة ووضع فيها القنبلة وأهداني إياها، أخي هذا كان مديراً للإيواء، خدوماً معطاءً، وإمام الناس في الصلاة، والمصور للمشاريع والمُنفِّذ لها، لقد وفقه الله أيَّما توفيق، وأسأل الله له مزيداً من الثبات والتمكين، رب اشدُد به أزري، وأشركه في أمري، كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً، إنك كنت بنا بصيراً.





قصف مأوى للنازحين وصدمة تحذير المأوى

اتَّبعَ العدو المجرم سياسةَ قصف مَرْكز الإيواء بمن فيه بِحُجة وجود مطلوب، إنَّ هذا السلوك إجراميٌّ بامتياز، فالمجاهد لا يُطلق الصواريخ من مركز الإيواء، ولا يُخَبِّئ الأسلحة في مركز الإيواء، بل بعضهم يُحفظ القرآن للصبية والفتيان، وبعضهم يؤم الناس في الصلاة، وقد قصف العدو أكثر من مئة مركز إيواء وارتكب مجازر مروعة.

كُنَّا قد افتتحنا حلقات لتحفيظ القرآن الكريم في المأوى، وكنا نعقد كل شهر اختباراً[1]، وفي يوم الاختبار كان ينتظر على الدور ستون طالباً، كلُّهم من الأطفال، وفجأةً جاء اتصال لأحد النازحين في المأوى: «معكم عشر دقائق لإخلاء المركز سنقصفه..!»، هكذا بدون مقدمات... فقام الناس يركضون ليأخذوا ما استطاعوا من لِحافٍ وكِسرة خبز، وخرجوا إلى الطريق مسرعين، وما هي إلا لحظات حتى قصفوا المأوى بالطيران الحربي وسووه بالأرض، والعجب هنا من أمرين:

الأول: تحذير المأوى باتصالٍ قبل القصف، فالعدو المجرم يقصف وقصف كثيراً من مراكز الإيواء دون تحذير، لكنْ أظنُّ أنه في هذه المرة قد شملتنا بركة القرآن، فلم يُصب أحدٌ بأذى!.

الثاني: أنَّ الضابط الملعون الذي اتصل بأحد النازحين قال له: «سنقصف مركز الإيواء لأنكم تُحفِّظون القرآن فيه!!»، أقسم بالله أنَّهم مفسدون في الأرض، لا خبرة لهم بالقتال، يُرممون ذواتهم بصورةٍ هنا وهنالك...

وهذا عهدٌ نقطعه على أنفسنا ونُشهد الله عليه، أننا سنمضي في مسيرة القرآن لنُحرِّر البشرية من هؤلاء المجرمين النازيين، فاللهم احفظنا بالقرآن، واجعله ربيع قلوبنا.

(1) بعض الطلبة قد أتم بحمد الله حفظ القرآن كاملاً في مدة ستة أشهر، وغالب الطلبة حفظوا أجزاءً من القرآن.



الأحجار القديمة

إنَّ أوقات الأزمات هي أفضلُ فرصةٍ لتكسير أحجار العادات القديمة، لقد كُنَّا نعمل كثيراً قبل الحرب في الجانب الدعوي والجهادي، حتى جاءت هذه الجولة وكثرت أزمات الناس، فصار العمل في ميدان الدعوة وإصلاح البلاد عند عدم وجود قتالٍ حاضرٍ من أوجب العبادات، فانقسم العاملون إلى قسمين:

1- قسمٌ يريد أن يحافظ على الآلهة القديمة والألقاب السابقة كما هي، يريد أن يبقى بهالته وثوبه السابق، دون أن يتعب ودون أن يتسخ، وهذا لا يستقيم، لأنَّ الميدان الآن يحتاج أن نغوص في الوحل والطين، لننجز شيئاً مما نحن مُكلَّفون به،وأذكر هنا حديث النبي ﷺ في حق من يريد أن يقعد ولا يظهر عند الخوف والمغرم، ويتسيد عند الأمن والمغنم: (المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ)[1].

2- قسمٌ آخر نزع لباسه القديم، وخلع كلَّ الألقاب والنياشين، ونزل لميدان العمل ساعياً في حاجة الناس، رأيتُ بعضَهم ببنطالٍ ممزق يجري في خدمة الناس، وآخر اهترئ حذاؤه من كثرة مشيه في حاجة إخوانه، وثالثٌ ملابسه وجسده مليءٌ بالغبار، ينام على كرسيه وهو يسهر على إنجاز أمرٍ ذي بال، له علاقةٌ بخدمة عيال الله... رأيتُ كيف تُحمى الأمم وتُنقذ الشعوب بفردٍ فذٍّ من أبنائها.

إنَّ الله قد رتَّب درجات الجنة على الأعمال لا على الأقوال، ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة:105]، لقد ذُكرتْ هذه الآية في سياق الحديث عن النفاق وصفات المنافقين في سورة التوبة فتنبَّه، ونسأل الله العفو والعافية، ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:3].

(1) صحيح البخاري، حديث رقم 5219.



غراميات المشاهير

لقد مضى على المقاتلين حتى وقت كتابة هذه الكلمات أربعمئة يوم، لم يروا فيها نساءهم،ولم يلتفتوا إلى شهواتهم!!، فهم بفضل الله أعفُّ الناس سيرةً وسريرة، ولم تُسجَّل عليهم حادثةٌ أخلاقية واحدة!!.

إنَّ الجيش الإسرائيلي جيشٌ لا أخلاقي، فقد بلغت نسبة التحرش والاغتصاب والشذوذ بينهم مبلغاً عظيماً، وكلُّ فترةٍ تتكشف فضائح أخلاقية عندهم في معسكرات التدريب وأماكن المبيت لا يصدقها العقل.

إنَّ هذا التدني الأخلاقي والانحراف السلوكي موجودٌ في كل جيوش العالم التي لم تنشأ على معاني الإسلام، فهذا نابليون بونابرت كان زير نساء، يطلب أجمل الفتيات ليقيم معهن علاقة غرامية، إنَّه يستغل منصبه كقائدٍ عسكري ليشبع شهواته، وأمثاله كثير من القادة الغربين، كانوا لاهثين وراء المستورات بحجة أنهم يحمون البلاد، حتى قال قائلهم لإحدى الفتيات عندما تردَّدت في تلبية دعوة قائد الجيش لموعد فاحشة: «إنَّ من الاعتبارات يا سيدتي ما يجب أن يخضع له كل شيء، ونحن اليوم حيال إنقاذ أمة بأسرها، فيحسن أن يزول التوعك الذي حلَّ بك، وتُلبي دعوة العشاء لقائد الجيش، واعلمي أنَّ الرفض في مثل هذه الأحوال لا تُقدِم عليه مخلصةٌ تدرك ما حاق بوطنها من أهوال!!»[1]، انظر كيف يفهمون الأمور، إنَّ إشباع شهوة نزواتهم سيحرر الأرض ويعيد الأوطان!!، آهٍ كيف ينحطُّ هؤلاء، إنَّه العقل البشري إذا فكَّر بعيداً عن الوحي السماوي.

---

(1) التحليل النفسي لغراميات المشاهير، لسمير عبده، ص39.



جيشنا ليس ككلِّ الجيوش، فنحن نقاتل لنحمي الأعراض، لا لنصل إليها، إنَّنا جند الله، نخاف على طهارة إيماننا من نظرةٍ عابرة، ونغضُّ الأبصار عن الحرمات، ليحفظ الله لنا بصائرنا وأبصارنا في المعارك، فيا أيها الشاب المدمن لغرامياتك وشهوتك، لا بُدَّ من تصحيح المسار لبلوغ المراتب العالية، ولتخرج من قيدك وأَسرك، وإلا ستظلُّ رهينةً عند نفسك وشهوتك حتى تقرر فكَّ الرهن عنها والانتصار عليها.





أين علماء الحداثة؟!

التنويريون والعقلانيون كما يحبون أن يُدْعَوا، الظلاميون كما أُحبُّ أن أصفهم، لقد كان لهم تأثيرٌ سلبيٌّ كبيرٌ على عقول الشباب، فتارةً يُحدِّثونهم عن داروين والأخلاق، ومرةً عن طبقات السماء وفيزياء الأرض، ومرةً يستطيلون بطرحهم فيظنون أن لا أحدٌ يأخذ بالدين الصواب إلا هم.

منذ بداية جولة طوفان الأقصى واندلاع المواجهة بين المسلمين واليهود، لم نسمع صوت عدنان إبراهيم ولا الكيالي ولا أتباعهم، أليست هذه قضايا مهمة من أهم قضايا الأمة (الدماء، المقدسات، الجهاد، الأخوة والتكافل، الولاء والبراء)، لم نسمع آراءهم في هذه القضايا الكبرى؟!.

إنَّ هذه المعركة قد كشفتْ مفاصل الأمة، لقد عرَّفتنا العدوَ من الصديق، لقد صمت الكثيرون صمت القبور أمام ما يحصل من إجرامٍ واعتداءٍ على شعبٍ مسلمٍ بأحدث ما صنعته آلة الإجرام الصهيونية العالمية، لكنْ إنْ جاءتْهم قضيةٌ عقلية تُظهر عضلاتهم وذواتهم سارعوا لبثِّها، هؤلاء ليسوا منا ولسنا منهم، لأنَّ القضايا العالية لا تهمهم، فقط ما يهمهم هو مناصبهم ومواقعهم في المجتمع، فإنْ طُرحت قضيةٌ تمسُّ ذواتهم يأتوا إليها مذعنين.

إنَّ مَثلُهم كمن يُشغِل الناس بالأهلة وتقلبات القمر من مُحاقٍ إلى بدرٍ إلى هلال وشكلها وأطوارها، بينما القرآن يُوجِّه الناس إلى العبادة والاستفادة العملية منها ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ﴾ [البقرة:189]، إنَّهم يأتون الإسلام من نوافذه لا من أبوابه، ﴿وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة:189].



إنَّه رجلٌ وَسِخ!!

روى ابنُ مُفلحٍ في الآداب الشرعية أنَّ مهنا قال: «سَأَلْتُ أَحْمَدَ بن حنبل عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْهَرَوِيِّ، فَقَالَ: رَجُلٌ وَسِخ، فَقُلْتُ: مَا قَوْلُك إِنَّهُ وَسِخٌ، قَالَ: مَنْ يَتْبَعُ الْوُلَاةَ وَالْقُضَاةَ فَهُوَ وَسِخٌ»[1].

هذا أثرٌ ينطبق على كثيرٍ من لحى السوء في هذا الزمان -لحاهم الله وأبعدهم عنا وعن أبنائنا-.

رأيتُ أحدَهم يقول: «لا تنكسفوا من اختياركم للسيسي، لولا مصر لما صبرتْ غزة شهرين!!»

قلتُ: ألا قبَّح الله النذالة.

ورأيتُ غيره يقول: «لا يجوز دعم حماس»، وثالثٌ يقول: «يا أبا عبيدة جاهد بالسنن واترك البدع»، قلتُ: ألا ليتَ أمك أرضعتك تِبناً بدلَ اللَّبن.

وهناك صنفٌ آخر مِمَّن يدَّعون الانتساب للعلم، يقضون جُلَّ أوقاتهم وجهودهم في حروبٍ وهمية، ونقاشِ فروعِ فروعِ الفروع، ولا علاقة لهم بكبرى القضايا الدينية، يصدَّعون رؤوسنا بالمنشورات والفيديوهات والمطويات والفتاوى في تفسيق وتبديع بعضهم، والردِّ على بعضهم، والردِّ على الرد، وما أغزر إنتاجهم العلمي في هذا الباب، لكنَّهم في غفلة عما يحصل في مسرى رسول الله ﷺ، واحتلال الأرض المباركة، وقتل وتهجير أهلها، وتحريف الدين، ومحاربة الفطرة، والهيمنة الصهيوصليبية على المنطقة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.



(1) الآداب الشرعية والمنح المرعية، لابن مفلح (3/ 476).



بيع الدماء

لقد تاجر كثيرٌ من المسلمين بدمائنا، وبَنَوا عزَّهم على دماء أبنائنا، يقوم ثلةٌ من المشايخ المُطبِّعين مع الباطل بعمل ندواتٍ دينية باسم: (طوفان التوبة، طوفان الهمة)، ولستُ أذمُّ كلَّ الجهود، لكنْ أتساءل: هل هذا صرفٌ للشباب عن واجب الوقت[1]، أم هو داخلٌ في الإعداد العام لأبناء الأمة؟ ...الله أعلم بما في أنفسهم، أَكِل النيات إلى الله.

وثلةٌ أخرى من أهل الإسلام يتفاخرون ببطولات الشباب المجاهدين، ويمسح أحدهم عارضيه في المجالس فخراً بهم، بينما لو طُلب منه أنْ يُقْدِم على عملٍ فيه أدنى خطورةٍ على مالٍ أو ولدٍ أو نفسٍ فرَّ منك فراره من الأسد!!.

كم يشعر الواحد منا بالخجل إذا تأمَّل سيرة النبي ﷺ وقسوتها، حياته كانت بين شدةٍ ومشيٍ في الصحراوات وجراحٍ متتابعة، والواحد منا يعيش آمنا ويرى الإسلام يؤذى....، حسابٌ عسيرٌ بين يدي الله غداً إذا سُئلنا عن نعيمنا، وهل اخترنا لأنفسنا الراحة ورضيناها، وكُتب التعب على رسول الله ﷺ، الحقيقة أننا لسنا مؤدبين مع الله!.

وطائفةٌ زعمتْ أنَّ تجربة غزة مستحيلةٌ وسوبرمانية، ولا يمكن أن يفعل أحدٌ مثلهم، ثم يُقنع نفسه وأتباعه بذلك، ليجد لنفسه مندوحةً في القعود والركون للدنيا، لا يا أخي، تجربة غزة واقعية جداً، وسيحاسبك الله إنْ أُوتيتْ مثلما أُوتوا ثُمَّ قصَّرت.

كفانا بيعاً لدماء أبنائنا، إنَّ رجالنا الذين يُقتلون في الميدان هم من خير رجالات الأمة، ودماء المُسلم المرفَّه الذي يلبس الثياب الفاخرة ليست أغلى من دماء شابٍ من شبابنا المجاهدين المغبَّرين، فلنتقِّ الله، إنَّ الله كان بما تعملون بصيراً.

(1) واجب الوقت هو تحشيد الشباب لنصرة دينهم وأقصاهم، ومحاربة اليهود وأعوانهم الذين اجتمعوا على حربنا، وأقل الجهد في ذلك هو حصار السفارات وطرد الصهاينة من بلاد المسلمين، أما تربية الجيل على التوبة فهو واجب كل وقت، والتوبة من الخذلان أولى أنواع التوبة حاليا.

ما ذئبان جائعان!

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَا[1] ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلاَ فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ)[2]، والمعنى: أنَّ الحرص على المال والشرف يُفسد دين الإنسان، كما يفسد الذئبان الجائعان جماعةً من الغنم إذا أُرسلا فيها، بل الأول أشد.

لذلك أخي.. إيَّاك واللهث خلف الدنيا فإنها مفسدة، لقد رأيتُ من كان يحرص على المال والجاه أكثر من حرصه على الحياة، يترك الأخ أخاه، ويمنع عن الناس الماعون، ويكذب الكذبة لأجل اللقمة، ويحلف بالله كاذباً لأجل العاجل وينسى الآجل، يقطع الأرحام ويُكوِّم الطعام حتى يفسد، ولا يُطعمه لمن يحتاجه... كلُّ هذا لأجل الحرص على الدنيا!.

والعاقل يعلم أنَّ هذا الحرص يُنقص من قدر الإنسان ولا يزيد في رزقه، كما جاء عن بعض السلف قوله: «أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع»[3]، فمن أراد أن يعيش حرًا أيام حياته فلا يسكن قلبه الطمع، فالحر عبدٌ إنْ طَمِع، والعبدُ حرٌّ إنْ قَنِع.

ويا للعجب من الحريصِ على الدنيا عند الشدائد والخطوب، فالناس في بلاءٍ وشدة، والمجاهدون يروون الأرض بدمائهم، وذاك الحريص متقوقعٌ حول نفسه، لا يرى إلا رأيه، ولا يقصد إلا نفسه، وقد غَفِلَ عن أنَّ الحرصَ مفتاحُ التعب ومطية النَّصَب!.

وعلاج الحرص كما وصفه ابن قُدامة رحمه الله في منهاج القاصدين[4]:

الأول: الاقتصاد في المعيشة، والرفق في الإنفاق، فمن أراد القناعة فينبغي أن يَسدَّ عن نفسه أبواب الخروج ما أمكنه، ويَرُدَّ نفسه إلى ما لابدَّ منه، فيقنع بأيِّ طعامٍ كان، وقليلٍ من

---

(1) ما: بمعنى ليس.

(2) سنن الترمذي، حديث رقم 2376، ومسند أحمد، حديث رقم 15794.

(3) فيض القدير شرح الجامع الصغير (132/3).

(4) مختصر منهاج القاصدين، ص: 200، وهذا الكتاب من نفائس الكتب وعيون المؤلفات، ويحسن بطالب العلم أن يمعن النظر فيه.



الإدام، وثوبٍ واحد، ويُوطِّنَ نفسه على ذلك، وإن كان له عيالٌ، فيردَّ كلَّ واحدٍ إلى هذا القَدْر، قال النبي ﷺ: «ما عال من اقتصد»، وفي حديثٍ آخر: «التدبير نصف العيش»، وفي حديث آخر: «ثلاث منجيات: خشية الله تعالى في السر والعلانية، والقصد في الغنى والفقر، والعدل في الرضى والغضب».

الثاني: إذا تيسر له في الحال ما يكفيه، فلا يكون شديد الاضطراب لأجل المستقبل، ويعينه على ذلك قِصرُ الأمل، واليقين بأنَّ رزقه لا بُدَّ أن يأتيَه، وليعلم أنَّ الشيطان يَعِدُه الفقر، وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنَّ رُوح القُدس نفث في روعي أنَّه ليس من نَفْسٍ تموتُ حتى تستكملَ رزقَها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنَّكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله عز وجل، فإنه لا يُدرك ما عند الله إلا بطاعته»، وإذا انسد عنه بابٌ كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي أن يضطرب قلبُه، فإنَّ في الحديث: «أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب».

الثالث: أنْ يعرف ما في القناعة من عزِّ الاستغناء، وما في الطمع والحِرصِ من الذلِّ، وليس في القناعة إلا الصبر عن المشتبهات والفُضول، مع ما يَحصُل له من ثواب الآخرة، ومن لم يُؤثر عزَّ نفسه عن شهوته، فهو ركيك العقل، ناقص الإيمان.

الرابع: أن يُكثر تفكُّرَه في تنعُّم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحمقى منهم، ثم ينظرَ إلى أحوال الأنبياء والأولياء والصالحين، ويسمع أحاديثهم، ويطالع أحوالهم، ويُخيِّرَ عقلَه بين مشابهة أراذل العالَمين، أو صفوة الخلق عند الله تعالى، حتى يَهُونَ عليه الصبرُ على القليل والقناعةُ باليسير، وأنَّه إنْ تنعَّم بالأكل فالبهيمةُ أكثر أكلاً منه، وإنْ تنعَّم بالوطء فالعصفور أكثر سفاداً[1] منه.

---

(1) نزواً وجماعاً.

الخامس: أن يفهمَ ما في جمع المال من الخطر، كما ذكرنا في آفات المال، وينظرَ إلى ثواب الفقر، ويتمَّ ذلك بأن ينظرَ أبداً مَنْ دونَه في الدنيا، وإلى مَنْ فوقه في الدين، كما جاء في الحديث من رواية مسلم أنَّ رسول الله ﷺ قال: (انظروا إلى مَن هو أسفلَ منكم، ولا تنظروا إلى مَن هو فوقَكم، فإنَّه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم).





كلُّ شيءٍ مستباح

سمعتُ بعض الناس في هذه الجولة مِمَّن يستبيح أخذ حاجات الناس وأموالهم يقول: «كلُّ شيءٍ مستباح، وكلُّ شيءٍ مَشاع، ولا إثم في أي شيء!!»، منهم من يقولها بلسانه، ومنهم من تظهرعلى أفعاله، وسأسلط الضوء مستعيناً بالله على أسباب تلك الظاهرة وأمثلتها فيمن سبق.

أولاً: الأسباب:

1- هذه الأفكار غالباً ما تنتشر في الحروب، وسببها سلطة الثقافة الغربية التي تسللت للعقول، ولنابليون بونابرت عبارةٌ شهيرةٌ يقول فيها: (في الحب والحرب كلُّ شيءٍ مُباح)، وهذه الأفكار كارثةٌ شرعيةٌ،لأنها تُبطِل قاعدة الأمر والنهي التي بها قوام الشريعة ﴿ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴾ [الطلاق:5].

2- ذنوب الخلوات والتَّلوُّن: فإنَّ النفس التي تعوَّدت على التَّلوُّن وتغيير الوجوه يسهل عليها التحايل على أمر الله باستحلال الحرام، ناهيك عن كشف النفوس الذي يكون في المعارك، والتمايز الذي حدَّثنا عنه القرآن الكريم في غير موضع، فالبلايا والحروب تُظهر العابد المنتمي إلى ربه من ذاك الدخيل الذي يدَّعي الانتماء،

فالأول لا تزيده شدَّةُ البلايا إلا يقيناً، والثاني يَصْدُق فيه قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [الحج:11]، فعليك بالدعاء بالثبات...

3- عدم فهم حقيقة الدنيا، فالدنيا ليست دارَ جزاءٍ وأُمنيات، ﴿ أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴾ [النجم:24]، حيث لو كان كلُّ شيء على هوانا لسقط مفهوم الاختبار الذي نعيشه، ولأصبحتْ الدنيا بهذا الافتراض هي الجنة، ولا حاجة لوجود يومٍ للحساب، وعندئذٍ يفسد الكون ونظامه الإلهي،

وصدق ربي القائل: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ﴾[المؤمنون:71]، وقد وصل لهذه الحقيقة أحد الملحدين فقال: «إذا كان كلُّ شيءٍ مباح، فالإله مجرد خرافة».

4- غياب مفهوم الجنة، ولذلك نجد الحضارة المادية تُقدِّس اللذات العاجلة، فأصبحتْ اللذة الأخروية منسية، وأصبح البحث عن الترف مقصداً للحياة، وسبب ذلك عندهم هو تضخيم المادة وغياب الروح والغيب والآخرة، وبالتالي فالسعادة والارتياح عندهم وعدم الاعتداء على حقِّ الغير مرتبطٌ بتحقيق مستوى رفاهيةٍ معين، والرفاهية والترف آفةٌ خطيرة، إذا انتشرت في مجتمع أفسدته وهدمته، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ﴾[الواقعة:45]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ﴾[المؤمنون:64]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا﴾[الإسراء:16]، ففي هذه الآيات بيان ما يؤول إليه الترف من تحلُّلٍ في الأخلاق، وركودٍ في الهمة، ينعكسان بالضرورة على مسيرة العمران، ويأذنان بتوقف تدفقها الإبداعي،ومن ثَمَّ انحلالها ودمارها بسبب طغيان الترف واختلالٍ في التوازن بين الإنتاج والاستهلاك، وتضخُّمٍ للنزعة الاستهلاكية على حساب التنمية والعطاء، والذي ينعكس سلباً على التطور العمراني العام.

ثانياً: أمثلتها:

1- لقد مرَّت البشرية ببلايا رافقها تكاليفُ جِسام، وهذا مما أكثر منه القرآن وسيرة النبي ﷺ، فمثلا في قصة العجل والسامري لا أجد فرقاً بين من يُحلِّلون كلَّ شيء وبين عبدة العجل!، فقد خرج بنو إسرائيل من طحن فرعون وحروبٍ دامية وتقتيل الأطفال، خرجوا ليجدوا فترةً من الراحة، لكنها كانت على غير هدىً من الله، فقرَّروا أن يقوموا بصناعة عجلٍ من حُلِيٍّ وذهب وتعظيمه!!، هل تجاوز عنهم القرآن بحجة أنَّهم عاشوا تحت الاستضعاف سنوات طويلة؟!، هل



قفز القرآن عنهم بحجة أنهم عاشوا أياماً حالكة؟!، كلَّا لقد عاتبهم عتاباً شديداً، بل لقد تحول العتاب إلى عقاب.

لم تشفع لهم ليالي صبرهم على فرعون وملائه، ولم يشفع لهم خوفهم من جند فرعون لمَّا أسروا ليلاً وهربوا من بطش الجنود، بل لقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾[الأعراف:152]، في كل عصرٍ سامري، وفي كلِّ عصرٍ عجلٌ يُعبد.

وأي افتراءٍ أعظم من أن تختار الوقت الذي تُقرر فيه أن تلتزم بما يمليه عليك رب العالمين، والوقت الذي تتحلَّل فيه من الأمر والنهي؟!.

2- شريعتنا ليست شريعة غاب، بل شريعتنا أدارتْ أعظم معارك الدنيا يوم أن كان المهاجرون لا يملكون إلا الخيمة والناقة، وإنَّ الشريعة التي ساستْ الأمة يوم جاع المسلمون في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، هي ذاتها التي ساستهم يوم بنوا حضارة الأندلس!!، فلا يجهلنَّ علينا مُطبِّلٌ أو ناعقٌ بتحليل الحرام، أو أننا نستحق على الله شيئاً بسبب البلاء!، كَلَّا، بل ربُّنا هو المُدبِّر الذي لا يُسأل عما يفعل، والذي يعطي ويمنع، ويهب لمن يشاء، ويجعل من يشاء عقيماً، ولذلك فإنَّ التوجه إلى الله مع تنزُّل البلاء هي عبادة المحبة الخالصة، أمَّا التي تكون في السراء فقد يشوبها المصلحة، لأنَّك قد تعبده وقتها لأنه يسعدك ويمنحك!.

3- ألم يراجع القرآن نبياً من الأنبياء لأنه وكز رجلاً بالخطأ فقضى عليه، ولمَّا أراد أن يكرر نفس الفعلة زادالقرآن في العتاب وقال: ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾[القصص: 19]، فإذا كان القرآن يرفض جبروت نبيٍّ من غير قصد، فهل يقبله من نذلٍ أو سرسري!!، ثم بعدما وقعتْ واقعة القتل هذه، وخرج نبي الله موسى عليه السلام من المدينة خائفاً يترقب، وعاش عشر سنوات في خدمة الرجل الكبير مهراً لزوجه، أرأيتَ كل هذا الإرهاق؟!، وهو



بهذه الحال جاءه التكليف الإلهي بالتوجه إلى فرعون، لم يُراعِ القَدَرُ تلك البلايا سالفة الذكر، بل ربما جاء الأمر الإلهي في وقتٍ قد لا يرغبه موسى عليه السلام حتى قال: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ [الشعراء: 14]، قال: كلا !!!، نعم كلا، من كمال العبودية ألا تُحدِّد أوقات التكاليف ومتى يبدأ البلاء ومتى ينتهي.

لقد فُرض على الصحابة الصيام والقتال وصلاة الجماعة في المدينة ولمَّا يلتم شمل كثيرٍ من الصحابة بعد، ولمَّا يُكملوا بناء بيوتهم،، ولما يتزوج بعضهم، لكنهم استجابوا فكان المدد وكان العون، والخلاصة في المسألة أنَّ الله إذا كلَّف أعان، فاتقوا الله واعبدوه كما يحب لا كما ترغبون!.

وختاماً: بقراءة الأسباب السابقة وفهم الأمثلة المطروحة يتضح العلاج، وما يجبُ علينا أن نفعله، وتأمَّل سلوك من صنعهم الإسلام وأخرجهم من ظلمات الضياع إلى نور الهداية والوحي تستقم وتثبت، فما بين هروب يزدجر كسرى فارس بألف طاهٍ ومُغنٍ وقيِّمٍ للصقور والنمور، وهروب هرقل الروم بأساوره وذهبه وحاشيته، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخرج في هيبةٍ مع غلامه من المدينة لبيت المقدس فاتحاً، يتناوبان الركوب على دابةٍ واحدة، ويخوض بقدميه في الطين بثوبه المُرقَّع، ما بين هذا وذاك كانت قصةُ دينٍ عظيم، لقد فتح الإسلام قلوب العباد بأنواره قبل أن يفتح أسوار البلاد، ويكتمل مشهد النور هذا بمشهد السجود بين يدي الله عز وجل في الآخرة، يوم أن تجثو البشرية من هول الموقف، فيتقدمهم رجلٌ ساجدٌ تعلوه الهيبةُ وأُمَّتُه سجودٌ خلفه، ونداءٌ جليلٌ مقدسٌ يخاطبه: يا محمد ارفع رأسك وسَل تُعطه، فيُجيب بعينيه الدامعتين: يا ربِّ أُمَّتي أُمَّتي قد جئتُ بهم اليك[1].

(1) مستفادٌ من كلام الشيخ فايز الكندري في الحلقة الأولى من برنامجه الرائع (إليك)، وأنصح بمتابعته ففيه نفعٌ وبركة.

اللَّهم إني أعوذ بك من المَغْرَم

عن أبي قتادة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِجَنَازَةٍ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: (صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ، فَإِنَّ عَلَيْهِ دَيْنًا، فَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ: أَنَا أَتَكَفَّلُ بِهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بِالْوَفَاءِ؟، قَالَ: بِالْوَفَاءِ، وَكَانَ الَّذِي عَلَيْهِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَوْ تِسْعَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا)[1]، كان هذا هو المتعارف عليه فيمن يموت وعليه دَينٌ أول الإسلام حتى نزل قول الله عز وجل: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: 6] فتحمَّل النبي ﷺ ديونهم.

كان عليَّ ديونٌ كثيرةٌ بسبب الدراسة والبناء، وكنتُ قد دوَّنتُها على هاتفي وهاتف زوجتي -وفقها الله-، فاجتهدتُ لسداد بعض الديون المتفرقة فوفَّق الله، وسدَّدتُ معظمها وما استطعتُ بفضل الله، وما بقي فهو متعلقٌ براتبي، ويمكن سداده إن شاء الله.

رأيتُ كثيراً من الإخوة غافلين عن ديونهم، فذكَّرتُهم بذلك، فبعضهم سدَّ ما عليه، وبعضهم غارقٌ يظن أنَّ حقوق الناس مبنيةٌ على المسامحة، وهذه غفلةٌ عن حقائق الشريعة.

دمَّرتْ الحرب كثيراً من المحال التجارية، ومُسحتْ الديون، ففرح البعض لأنَّ الدائن لن يطالبه، ولا شيء يُثَبِّتُ الدِّين، وهذا إثمٌ كبير، فعلى المؤمن أن ينويَ السداد حتى يعينه الله، قال ﷺ: (مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ)[2].

مِن واجب وأمانة المسلم أن يُوصيَ بديونه، وتكون معروفةً، أنا أجزم أنَّ بعض الناس إنْ ماتَ أو استشهد، فلن تُعرف ديونه، وقد قال النبي ﷺ: (يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ)[3].



(1) سنن ابن ماجه، حديث رقم 2407.
(2) صحيح البخاري، حديث رقم 2387.
(3) صحيح مسلم، حديث رقم 1886.

يشترطُ عليه الخدمة!!

كان الصالحون يشترطون على أصحابهم في السفر أن يخدموهم اغتنامًا للأجر، يقول مجاهد بن جبر: «صَحِبْتُ ابْنَ عُمَرَ لِأَخْدُمَهُ، فَكَانَ يَخْدُمُنِي»[(1)].

مع طول الرِّفقة، نحتاج أنْ نخدم بعضنا ونُناول بعضنا المتاع، وهنا الناس عامة والمجاهدون خاصة قسمان:

الأول: كبارُ الخُلق، يرون خدمةَ إخوانهم عبادةٌ لله، ويُنظِّفون على أنفسهم، ولا يُرهقون إخوانهم بكثرة طلباتهم، وقد رأيتُ كثيراً من القادة يكنس القمامة بيده، ويمسح الحمام ويُنظِّفه، فجزاه الله خيراً من مُعلمٍ وقائد.

الثاني: يرى لنفسه فضلاً على إخوانه ورُتبةً عليهم، فيُكثر من الطلبات، ويُرهق صغيرهم وكبيرهم، ويريد أن يكون دائماً مخدوماً، ينام ملءَ عينه على أفضل الفرشات والوسائد، ولا يكترث لغيره، وهذا والله تنقصه تربيةٌ على التواضع، وما أجمل ما قاله يَحيَى بن مَعِينٍ: «مَا رَأَيْتُ مِثْلَ الإمامِ أَحْمَدَ، صَحِبْنَاهُ خَمْسِينَ سَنَةً، مَا افتخَرَ عَلَيْنَا بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ فِيْهِ مِنَ الخَيرِ»[(2)].

وتأمَّل وتدبَّر في هذه الآثار النافعة للقلب، ففيها نفعٌ وبركة: عَنْ مُوسَى بْنِ عَلِيِّ بْنِ رَبَاحٍ عَنْ أَبِيهِ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي عَلَى الرَّجُلِ الَّذِي يَرَاهُ يَخْدُمُ أَصْحَابَهُ»[(3)]، وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «سَيِّدُ الْقَوْمِ خَادِمُهُم»[(4)]، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: «مَنْ خَدَمَ أَصْحَابَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فُضِّلَ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ بِقِيرَاطٍ مِنَ الْأَجْرِ»[(5)]،

(1) الجهاد لابن المبارك، ص 208.
(2) سير أعلام النبلاء (214/11).
(3) الجهاد لابن المبارك، ص 206.
(4) آداب الصحبة، لأبي عبد الرحمن السلمي، ص 117.
(5) الجهاد لابن المبارك، ص 211.



وكان أحد السلف يقول لمن يرافقه: «إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَصْحَبَكُمْ عَلَى أَنْ تُعْطُونِي مِنْ أَنْفُسِكُمْ ثَلَاثَ خِصَالٍ، فَيَقُولُونَ: مَاهِيَ؟، قَالَ: أَكُونُ لَكُمْ خَادِمًا لَا يُنَازِعُنِي أَحَدٌ مِنْكُمُ الْخِدْمَةَ، وَأَكُونُ مُؤَذِّنًا لَا يُنَازِعُنِي أَحَدٌ مِنْكُمُ الْأَذَانَ، وَأُنْفِقُ فِيكُمْ بِقَدْرِ طَاقَتِي، فَإِذَا قَالُوا نَعَمْ، انْضَمَّ إِلَيْهِمْ، فَإِنْ نَازَعَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ رَحَلَ عَنْهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ»[1]، وجاء في الأثر أنَّ رفقة سفرٍ ذكروا رجلاً عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بخير، فقالوا: «خَرَجَ مَعَنَا حَاجًّا، فَإِذَا نَزَلْنَا لَمْ يَزَلْ يُصَلِّي حَتَّى نَرْتَحِلَ، وَإِذَا ارْتَحَلْنَا لَمْ يَزَلْ يَقْرَأُ وَيَذْكُرُ حَتَّى نَنْزِلَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَمَنْ كَانَ يَكْفِيهِ عَلْفَ نَاقَتِهِ، وَصُنْعَ طَعَامِهِ؟، قَالُوا: كُلُّنَا، قَالَ: كُلُّكُمْ خَيْرٌ مِنْهُ»[2]، وعَنْ رَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ، أَنَّ سَلْمَانَ، قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: أَوْصِنَا، قَالَ: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَمُوتَ حَاجًّا، أَوْمُعْتَمِرًا، أَوْغَازِيًا، أَوْ فِي نَقْلِ الْغُزَاةِ فَلْيَفْعَلْ»[3].



(1) الزهد والرقائق لابن المبارك، ص 299.

(2) جامع معمر بن راشد ملحق بمصنف عبد الرزاق، (244/11).

(3) الجهاد لابن المبارك، ص 215.



صلاة الاستخارة

رافقتُ دعاء الاستخارة في كلِّ محطةٍ من المحطات، استخرتُ الله في الإقدام والإحجام، استخرتُ الله في النوم واليقظة، استخرتُ الله في مَهَمَّات الرصد والرماية والإمداد، استخرتُ الله في المكوث والرحيل، استخرتُ الله في كلِّ شارعٍ وخطوة، ووالله لقد وجدتُ لذلك بركةً عظيمة، ولستُ أعني بالاستخارة التردد والتراجع، لكنْ أعني بها طلب الخير من الله في كل خطوة، والتأدُّب مع أقداره.

وتأملٌ سريعٌ في ألفاظ حديث الاستخارة يملأ القلب إيماناً، (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ)[1].

وفي الحديث عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ»[2].



(1) صحيح البخاري، حديث رقم 6382.
(2) صحيح البخاري (57/2).



اللَّهم اجعلها في صحيفة الإمام أحمد

إنَّ المقامات العالية لا ينالُها أهلُ الأمنيات، إنَّ الإمامة في الدين لا تُنال إلا بعد البلاء والصبر واليقين.

يقول أحد تلاميذ الإمام أحمد: كُنا في غزوِ الروم فرأيتُ أحد المجاهدين يضرب العِلْجَ الكافر بيده، ويقول: اللهم اجعلها في صحيفة الإمام أحمد.

شهدتُ بعضّ المجاهدين يدعون لبعض العلماء، ويدعون الله في المعركة أن يتقبَّل من مشايخهم جهدهم، أحدُهم قال لي: أنا حسنةٌ من حسنات الشيخ فلان، وآخر يدعو الله قائلاً: اللهم اجعلها في صحيفة شيخي فلان، وثالثٌ يقول: العالم الفلاني تربينا على دروسه والمبادئ التي غرسها فينا عظيمة، فاللهم أشركه معنا في الأجر، ولَكَمْ ذكرنا علماءَ السجون، فسبحان الله الذي أخمد ذكر الطُّلقاء، ونثر مآثر أهل السجون.

قد حُبسَ قومٌ وما حُبستْ فضائلُهم وعاش قومٌ وَهُم في الناسِ أمواتُ.

وقد زعم قومٌ أنَّه لا خير في علماء الأمة بالمطلق، وهذا لا يُرضي الله، بل الأمة مليئةٌ بالخير العظيم، وكثيرٌ من العلماء العاملين قائمون على ثغورهم، وينافحون عن الحق، وقد بلغتنا بعض جهودهم وكلماتهم، وكان لها أعظم الأثر في تثبيتنا وصمودنا، وقرأنا كتابات بعضهم حول مباركة جهادنا ودفع شبهات المغرضين والمثبطين - فجزاهم الله عنا خير الجزاء -، وأكثر ما سرَّ قلوبنا في هذه الجهود هو تداعي ثلةٍ كبيرةٍ من العلماء وأهل الرأي بمبادرةٍ ودعوة كريمةٍ من هيئة علماء فلسطين لصياغة ميثاق العلماء حول طوفان الأقصى، بحيث يضبط الميثاق الخطاب العلمائي، ويضع النقاط على الحروف، ويقطع الطريق على المتطاولين على جهادنا، وقد أكرمهم الله بتمامه، ووقَّع عليه مئاتٌ من علماء الأمة ودُعاتها، وعلى رأسهم ثلةٌ من أهل الميدان من علماء غزة العاملين، وقد أكرمني الله بالاطلاع على نسخةٍ من هذا



الميثاق وقراءته والتوقيع عليه، فجزاهم الله عنا خيراً، وجمعنا وإياهم في ساحات الوغى نتقدم صفوف المجاهدين، ونُعلي كلمة الحق والدين.





الأذان

سبحان من شرعه سكينةً وطمأنينة، لا نسمع أذان المساجد في الأنفاق، فكنتُ أتعمدُ أن أؤذِّن وقت الصلاة، وقد كان القلب يعمر بالإيمان ويُولِّي الشيطانُ لحظةَ الأذان.

كُنَّا في مركز من مراكز الإيواء، فقام أخي أبو البراء وأذَّن للفجر، ولم نكن قد سمعنا أذاناً جميلاً منذ فترة، فلمَّا انتهى من الأذان، صاح الناس من شبابيك غرفهم: (الله يجزيك الخير، الله يفتح عليك).

والله كان الأذان زاداً إيمانيًا عظيمًا، ومن يُعظِّم شعائر الله فإنَّها من تقوى القلوب، أحسبُ أنَّ الجمادات والحيوانات اشتاقت للأذان، وذلك أنَّ مساجد غزة كلَّها مدمرة. أذَّنتُ مرةً لصلاة الفجر في مركزٍ من مراكز الإيواء، فجاءني رجل وقال لي: أنتَ كنتَ تؤذن وأنا وزوجتي نبكي!!، سبحان الله، الله أكبر لا شيء أكبر منه.

في أول صلاةِ جُمعةٍ صلَّيناها بعد عودتنا لبيت حانون، أذَّن رجلٌ كبيرٌ في السن، معروفٌ عنه المحافظة على الأذان منذ أربعين سنة، وقد انقطع عن الأذان بسبب النزوح من البلد، فأذَّن يومها لصلاة الجمعة، وكان يقول في آخر الأذان: لا إله إلا الله وهو يبكي بكاء شديداً، ثم سجد سجودَ شكرٍ لله ﷻ أنْ قدَّر الله له الأذان مرةً أخرى في بلده بعد أن طُرد منها، فالحمد لله كنت مهتماً بالأذان، معظماً له، فهو زادٌ عظيمٌ لا يُزهد فيه.





ليلة 27 رمضان

منذ بداية ليلة السابع والعشرين من رمضان العظيمة، والمدفعية الصهيونية المجرمة تقصف مناطق متفرقة وعشوائية من قطاع غزة، وقد كنا نصلي التراويح في مُصلّيات (النايلون) البسيطة، التي لا تقينا البرد فضلاً عن الشظايا! فصلينا العشاء وركعات التراويح على عجلٍ مخافة سقوط الشظايا، وأخبرتُ النَّاس أنَّه من صلَّى العشاء في جماعة والفجر في جماعة فكأنَّما قام الليل كلَّه، ومن صلى مع الإمام حتى ينصرف كُتب له قيامُ ليلة، لكي يُدرك الناس قيام ليلة القدر، فلا يَشُقَّنَّ أحدٌ على نفسه بالمجيء للمصلى، لأنَّ حفظ النفس مقدَّمٌ على صلاة الليل جماعة، فصلينا الصلاة والشظايا تبعد عنا بضعةِ أمتارٍ والله!، صلينا الصلاة ولم نخشع فيها، ولم نطمئن من هول القذائف حولنا!، كان القصف قريباً جداً مِنَّا، ومستمرٌ حتى الآن وأنا أكتب هذه الكلمات!

هكذا تمر علينا ساعات ليلة القدر، فيا من تجلس في محرابك والسِّجاد تحتك، والسقوف من فوقك، ولا تسمع صوت طائرات الاستطلاع فضلاً عن طائرات ال F16 المُغير...تذكَّر إخوانك والزم ثغرك، عسى أن يدفعك التهجد الذي أنت فيه إلى التطلع للمقامات العالية التي فيها نفعُ الأمة ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء: 79].

التهجد هو السبيل لتصبح عالي الهمة نافعاً للأمة!، أمَّا مجرد البهجة برمضان، وجعله طقوساً وأضواء، فلستُ أدري أنَّ سيدنا محمداً ﷺ كان يفعله أو له صلةٌ به!، لقد قُرِن التهجد بقيامة الأمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: 1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل: 1]، قُم، فقام سيدي رسول الله ﷺ قومةً عجِبتْ منها الدنيا، لقد قضى سبع مئةِ يومٍ خارج المدينة في أسفار الدعوة والجهاد، وعمره قد جاوز الخامسة والخمسين!!، وأنتَ لا زِلتَ ثقيل الدم واللحم!.



إمام الحرم المكي والمدني

ليس مقاماً سهلاً أن تكون إماماً لأحد الحرمين الشريفين بمكة والمدينة المنورة، إنَّه مقامٌ عظيم وأمانةٌ كبيرة، كنتُ أقول دوماً: إنَّ القوة المجتمعية التي أعطاها الإسلام للعالِم تفوق القوة التي أُعطيت للحاكم.

إنَّ مَسيرةً واحدةً إذا خرجتْ من المسجد الحرام نحو مؤسسات الدولة كفيلةٌ بتغيير حال البلاد، يا حسرةً على إمام الحرم إنْ كان يظنُّ نفسه قارئاً ذا صوتٍ نديٍّ يؤدِّي مهمة الصلاة ثم يفرُّ إلى بيته.

لا أدري كيف لا ينتفضون؟!، لا أدري كيف قرأوا في رمضان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾[المدثر:1-2]؟! لا أفهم حقاً كيف سيقرأ إمام الحرم في رمضان في جموع المسلمين سورة التوبة والأنفال والأحزاب ومُحمَّد والصف والعاديات، لا أعرف كيف سيقرأ: ﴿قَٰتِلُوهُمْ﴾ [التوبة: 14]، أو ماذا سيجيب الله عن ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ [التوبة : 13]؟!، أو كيف سيشعر حين يقرأ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾[التوبة :19]، أو ماذا هو فاعلٌ أمام وعيد الله لمن يحب تجارته وماله وولده وزوجه عن الجهاد ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: 24]، أو كيف سيتلو: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 41]، وماذا سيقول لربه الذي وضَّح له أنَّ وجود مستضعفين في الأمة يعني فرض القتال في سبيل الله وعدم التأخر عنه.

ستمرُّ عليهم كلُّ الآيات المكتوبة المُنزَّلة وتشهد عليهم جميعاً، القارئ والسامع، ستُقيم عليهم الحجة، ولن ترحمهم ... إلا إذا تابوا وأصلحوا واعتصموا وأخلصوا دينهم لله، لله وليس للمَلِك ولا العباءة المزركشة ولا المايك الذهبي ولا الفنادق المرفهة ولا الرواتب العالية[1].

(1) تسجيل صوتي ماذا سيقرأ إمام الحرم؟؟ https://drive.google.com/file/d/1_RF9_no8gZlpPxor92dhPIKV-OCImKgY/view?usp=sharing



خطبة العيدين

العيد في غزة قبل الحرب صلاةٌ وأجواءٌ، وصِلةٌ وأرحام، وبهجةٌ وأفراح، ومنذ وعيتُ على الدنيا وهذا العدو المجرم القذر يحاول أن يُنغِّص علينا كلَّ عيد بالاجتياحات والقتل والتدمير، ولكن رغم ذلك كنَّا نُحاول أن نتجاوز جراحاتنا ونفرح بالعيد، تعبُّداً لله ﷻ، وتوسعةً على أهلنا وأنفسنا، ولكنَّ هذه الحرب مختلفة، فقد دمَّر العدو المجرم كلَّ شيء، فلم يَبْقَ لنا بيتٌ ولا مسجدٌ ولا سوقٌ ولا شارع، دمَّر الله بيوتهم وملأها عليهم ناراً.

كتبتُ خطبتي العيد بالدموع، وقيلتا بالدموع، وأحسب أنها بعون الله محطةٌ من محطات زيادة الإيمان، فاللهم اغفر لي ريائي وسمعتي.

خطبة عيد الفطر(1)

الله أكُبر الله أكُبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾، فالله أكبر الله أكبر، وأصلي وأسلمُ على سيدنا محمد ﷺ الذي نَزَلَ عليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾، فالله أكبرالله أكبر، لا يملك النفعَ والضر إلا هو سبحانه، ولا يملك النصر إلا هو، يجاهد الشعب بالصبر والصلاة والإنفاق، وتجاهد مقاومتنا بالثبات والرباط والقتال في الأنفاق، الله أكبرُ لا يملك الأعمار والآجال إلا هو، الله أكبرُ ما صَبَرَ أهلُ غزة على الخوف والجوع ونقصِ الأنفس والثمرات، الله أكبر ما جاهد رجالُ العز، الله أكبر لا عزَّ إلا للمشتبكين، الله أكبر قدَّمنا خيرة أبنائنا وشبابنا شهداء، الله أكبر رحل الصادقون، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً، الله أكبر صمنا وصلينا وقمنا وتهجدنا رمضان على بُعد نصفِ كيلو مترٍ من تحشدات العدو، الله أكبر

(1) رابط خطبة عيد الفطر MP3 :
https://drive.google.com/file/d/1kUJI0PM9PJKBVA6kqtaVjLnkMXaghhf4/view?usp=sharing

لا يشرع للعباد شرعاً صالحاً إلا هو سبحانه، أحمدُ الله وأشكره وأتوب من ذنبي وأستغفره لذنبي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات.

شعارنا التكبير، نبدأ صلاتنا بالتكبير، ونتنقل فيها بالتكبير، ونبدأ أذاننا بالتكبير، ونختمه أيضاً بالتكبير والتهليل، شعارنا التكبير، يقاتل مجاهدونا ببركة التكبير، إننا بالتكبير نكسر الطواغيت والجبابرة الذين يقولون بلسان الحال أو المقال: أنا ربكم الأعلى، يريد الله بصيحة التكبير المدوِّية ألا نُسّلِّم رقابنا للجبابرة، نحن لا نؤمن بالكبرياء إلا لله وحده، نعم إن هذه العزة تجعلنا نتمرد على الباطل، فالله أكبر الله أكبر الله أكبر.

في هذا اليوم نودع الركن الرابع من أركان الإسلام، نودع ركن الصيام، وقد انتقل الواحد منا من الصوم المؤقت ثلاثين يوماً إلى الصوم المؤبد، ما أيسر الصوم المؤقت في رمضان بأن تترك الطعام والشراب والشهوة مقارنة بالصوم المؤبد طيلة العام، وأقصد بذلك أن ننتهي عن محارم الله تبارك وتعالى.

اليوم أيها الأحباب نجدد عهدنا مع القرآن الكريم، هذا الكتاب العظيم الذي كان معنا طيلة ثلاثين يوماً، بل والله هو طيلة هذه الجولة العظيمة، هذا القرآن الذي أدار المعركة منذ لحظة انطلاقتها إلى لحظتنا هذه، نجدد عهدنا مع القرآن الكريم أنه هو روحنا وحياتنا ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: 52]، والذي ليس في قلبه شيءٌ من القرآن فهو كالبيت الخَرِب، فلا تقطع عهدك مع القرآن يا مسلم، ولا تقطع حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض، البطولة الآن ختمةٌ قرآنيةٌ في شهر شوال، اعتبر هذا بطولةً وعهداً عظيماً مع القرآن الكريم.

الله أكبر على اليهود والصهاينة ومَن والاهم ومَن ناصرهم، أيُّ ملةٍ عليها أولئك الكفرة الفجرة التي يقتلون بها الأطفال والنساء ويقصفون المستشفيات؟!، أيُّ ملةٍ عليها الصهيونية العالمية التي تكذب على العالم، إنَّ وجههم الماكر أشرس بكثيرٍ من قنابل هيروشيما وناجازاكي، لقد كانوا رحماء لما ألقوا القنبلة الذرية على أولئك، لماذا؟!، لأنهم يمكرون بالإسلام والمسلمين مكر الليل والنهار، اجتَمعوا فيما بينهم، بَيَّتُوا أمرهم بالليل، والله أعلم ما يُبيِّتون، واجتمعوا في النهار بأقلامهم وخرائطهم وقسَّموا بلاد المسلمين إلى دويلاتٍ وأقسامٍ ما أنزل الله بها من سلطان، فصارت أمَّةُ الإسلام مفرقة، ولكنْ هيهاتَ هيهات، هيهاتَ هيهات، لقد كانت دماء العز في غزة هي شعلة الحياة لهذه الأمة، إنْ لم نرَ هذه الحياة الآن فسيراها الجيل القادم بإذن الله.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، فشلتْ كلُّ مشاريع الصهاينة، نعمْ بقيَ الأراذل على رجسهم، لكنَّ الله ﷻ سيحقُّ الحقَّ بكلماته ويقطع دابر الكافرين، مزيداً من التمحيص، ومزيداً من البلاء والابتلاء، ليتمايز الصفُّ وليتساقط أولئك الساقطون، ليسقط المُطبِّعون والمتخاذلون والمُنسِّقون، سينتقلون إلى مزابل التاريخ، ووالله لن يرحمهم أحد، لن يرحمهم الصغار ولا الكبار، لن يرحمهم التاريخ، سيُلقي بهم إلى مزابله.

الله أكبُر على هذا العالم المنافق الكاذب، على ذاك الرجل الغربي الأشقر، صاحب العيون الزرقاء، الذي يُظهر للعالم أنه رحيمٌ لطيفٌ حنون، والحقيقةُ أنَّه مجرمٌ قذر، قاتلٌ للأطفال والنساء.

إنَّ قيادة الرجل الغربي للعالم قد أوشكتْ على الزوال، وقد انكشف زيفها، لا لأنَّ الحضارة الغربية قد أفلستْ مادياً أو ضعُفتْ من ناحية القوة الاقتصادية والعسكرية....،

ولكنْ لأنَّ النظام الغربي قد انتهى دوره، لأنَّه لم يعد يملك رصيداً من القيم يسمح له بالقيادة، والآن دور قيادة أبناء أمة الإسلام، فتجهَّزوا يا أبناء أمة الإسلام، البِدارَ البِدار والهِمَّة الهِمَّة يا شباب الأمة، دوركم سيأتي بإذن الله، إياكم والقنوط، إياكم واليأس، لا تقارنوا العُدة بالعُدة، ولا العتاد بالعتاد، نحن أمةٌ لا تنتصر بما تحمل بما في أيديها من حديد، بل نحن أمةٌ ننتصر بما نحمل في قلوبنا من عقيدة، فإذا قويت عقيدتنا وصِلتُنا بالله أعطى الله القوة للحديد الذي نملكه فقذفنا به أهل الباطل، فتحقق قول الله: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: 18]، فالله أكبر الله أكبر الله أكبر.

الصوم مدرسةٌ جهادية، لأنه يُدرِّبنا على الجوع والظمأ والمخمصة التي يواجهها المجاهدون، ويدربنا على الانضباط والالتزام، فلو أكلتَ لقمةً بعد دخول وقت الصيام فقد فسد صومُك، وهذا الانضباط هو عين الجندية، ومن انتصر على نفسه في معركة الصيام والقيام فهو مؤهلٌ لِأَن يخوض معركة الجهاد مع عدوه، فالصوم والجهاد في الإسلام قرينان.

يأتي علينا العيد في هذا العام مُضمَّخاً بالجراحات، يأتي علينا هذا العيد مليئاً بالآلام والصعوبات القاسية، لكنْ حسبنا أنَّ الله تبارك وتعالى قد كتب هذا، رضينا يا رب بما كتبته لنا، لا أقول بما كتبته علينا، بل رضينا يا رب بما كتبته لنا، فارضَ يا ربنا عنا، واقبلنا عباداً صادقين، وقدوتُنا في ذلك سيد النبيين ﷺ.

إنَّ أول عيدٍ عاشه المسلمون هو بعد غزوة بدرٍ بأيام، عيد النبي ﷺ لم يكن عيد زينة وأضواء، بل كان عيد الدم والشهادة، كان عيداً يُحَرِّكُ فيه النبي ﷺ الأمة ويدفعها لدفع الباطل، هذا هو عيدنا يا أهل الإسلام، وهذه علامةُ خير بإذن الله، بأنَّ الأمة على خيرٍ وحركة، والأمة تتحرك، والأمة تنتفض، وأهل الله يقاتلون، هذا هو عيدنا أيها الأحباب الكرام، وإلا فلو

كانت الأمة ساكنةً هادئةً صامتةً لا تقول للباطل لا، تظنُّ أنَّ الإسلام مجرد خضوعٍ وصلاةٍ ساكنةٍ في المسجد وتطويلٍ للسجود، فهذه رهبانيةٌ قد ذمَّ الله النصارى لمَّا اعتقدوا أنَّ العلاقة معه هكذا، فقال: ﴿ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الحديد: 27].

لقد كانت أمة النصارى على رهبانية العبادة من صلاةٍ وصيامٍ وحجٍّ ولم يتحركوا، فاستبدل الله دولتهم وجاء بقومٍ يُحبهم ويُحبونه، لذلك فريضة الوقت هي الحركة، أن نعرف كيف نُحرِّك أمة محمد ﷺ، فالإسلام ليس رهبانيةً في صومعةٍ من الصوامع، وليس محصوراً في زاويةٍ من زوايا المساجد، الإسلام يُحرِّك الدنيا كلَّها، يُحرِّك الأمَّة نحو القتال، نحو نزف الدماء، يُحرِّك الأمة نحو تكسير أحجار النظام العالمي الجائر، ولن تشقَّ الأمة لنفسها طريقاً بالصمت والهدوء، لن تشقَّ طريقها إلا بعد أن تُقدِّم لله تبارك وتعالى.

عيدُكم مبارك، سنفرح رغم كلِّ غُصَّةٍ في قلوبنا، مَن نُحب تركناهم في الجنة، ومَن فقدناهم حسبنا أنَّ الله تبارك وتعالى قد استضافهم، ومَن أُصيب فأجره عند الله يوم القيامة عظيم، فلو يرى أهل البلاء ما أعدَّ الله لهم يوم القيامة سَيَنسَون كل عذابات الدنيا ومصابها، والأسرى نحسب أنَّهم من سيشقُّ الطريق بإذن الله إلى نصرٍ مؤزر، وإلى عزة هذه الأمة، وهذه الدنيا ستفنى، وسنفرح فرحاً عظيماً في جنة الله تبارك وتعالى، ونتعانق جميعاً، ونُبارك لبعضنا أنَّ الله قد قَبِل صبرَنا، وأنَّ الله قد أبدلنا الفردوس الأعلى، وكلُّ جوعٍ قد ذقناه سيعوضنا الله تبارك وتعالى عنه ماءً سلسبيلا، وسيُذيق عدوَّنا طعاماً ذا غصة وعذاباً أليما.

عيدُكم مباركٌ يا أهل غزة، عيدكم مبارك يا من خرجتْ في سبيل الله لترفع عن الأمة عار الضعف والهزيمة، عيدكم مبارك أيها المرابطون في الثغور، عيدكم مبارك أيها المجاهدون في الأنفاق، عيدكم مبارك يا أسرانا ومعتقلينا، فمن أسركم يبدأ تَحرُّر الأُمَّة، عيدكم مباركٌ يا كلَّ من بذل نفسه لله، يا كلَّ قائمٍ على ثغرٍ من ثغور الخير، عيدكم مبارك يا من صبرتم



وثبتم وقدَّمتم في سبيل الله، عيدكم مبارك يا من شُرِّدتم وطوردتم في سبيل الله، أنتم يا شعبنا المبارك، أنتم حميتم المقاومة، أنتم من كنتم سداً منيعاً لمقاومتكم، والله ما كانت لتصبر لولا صبركم وثباتكم، تاجُ الرؤوس أنتم، مفارق العز أنتم، آواكم الله وسددكم وحفظكم وأبدلكم الله تبارك وتعالى عن كلِّ ألمٍ ذقتموه جنةً وفردوساً أعلى في جناتٍ ونَهَر في مقعدِ صدقٍ عند مليكٍ مقتدر.

أحبابَنا وأسيادَنا وتاجَ العز على رؤوسنا من المجاهدين والأسرى في سجون الاحتلال وسجون الطغاة، وعلماءَ الصدق وسائرَ العاملين لدين الله، ومن اتبعوهم بإحسان، ومن أحبوهم وناصروهم وآزروهم، تقبَّل الله صيامكم وقيامكم وصالح أعمالكم، وجعل هذا الشهر الكريم رفعةً في درجاتكم ونوراً في طريقكم، وأعاده علينا وعليكم بالخير والعز والبركة.



خطبة عيد الأضحى[1]

الله أكبُر الله أكبُر الله أكبر، الله أكبُر أسفرتْ أيامُ العشر الخضراء، خيرُ أيام الدنيا عند الله ﷻ، وَكُلُّنَا يا ربَّنا ذلكَ العُبيدُ المسكينُ المنطرحُ عند الأعتاب يرجوك قَبولًا ونوالاً.

الله أكبُر أنت يا ربِّ من الهمِّ أكبر، ومن السقمِ أكبر، ومن الكربِ أكبر، الله أكبرُ لك ياربُّ الأمدُ والأزلُ والأبد، وبيدك جلَّ جلالُك مصيرُ كلِّ أحد، الله أكبرُ القضاءُ قضاؤك، فلا حُكمَ إلا حُكمُك، والكرمُ كرمُك، فلا رحمةَ كرحمتك.

الله أكبُر فلا إله إلا أنت يا مجيد؛ أحييتنا لهذا اليوم من العشر منّةً وجُودًا، فالطف إنّا فقراؤك يا أرأف مَن مَلك، وارحم إنّا ضعفاؤك يا أرحمَ من قضى، وأعطِ إنّا سائلوك ما دُمنا على الأرض عيالُك، لا نَكَلُّ وأنتَ مُعيلُنا المُعوَّل، ولا نَملُّ وأنتَ مُغيثُنا المُؤَمَّل، اللهم كلُّنا ذاك العبدُ المكروب الفقير، ينادي بصوتِ المُوحِّد: مددٌ يا أَحد!، مددٌ يا أَحد!، الله أكبرُ الله أكبر.

الله أُكبر فأدركْنا يا مغيثَ اللهفات، أدرك ثارنا يا ربَّ السماوات، وانظر إلينا نظرة رحمةٍ تنصرنا بها، وتشفي الغليل، وتُكثّرُ القليل يا جليل، وتشف الصدور يا جليل، حنانًا من لدنك يا جليل، حنانًا من لدنك يا جليل.

كلنا اللاهجون في سمع الزمان أبدًا: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر، كان الكثير يعيش بلا قَضيةٍ ولا هُويةٍ، وهو الآنَ عظيمٌ في الملأ الأعلى برفع لواء الجهاد وحراسة الدين، الله أكبر ما بُني لله معبدٌ ولا عُمِّرَ مسجدٌ إلا بكفاح المؤمنين، الله أكبر لنثأرنّ لكل بيتٍ هُدِم، الله أكبرٍ لنثأرنّ لكل شابٍ قُتل، ولئن قصرت الأعمارُ فلنتركنّ خلفنا كتائبَ لا تتوانى عن نصرة الحق.

(1) رابط خطبة عيد الأضحى MP3:
https://drive.google.com/file/d/1eV33piHluC-ybT3DLqIU1oMXiOzY6Z-_/view?usp=sharing



الله أكبر سرنا على هدي رسول الله في القتال، مشى على جمر الحياة فمشينا، وذاق الجوع والمخمصة في سبيل الله فَجُعنا، الله أكبر إنَّ الحروب والتضحيات توقظنا من جديد، وتُوجِّهُنا لِما يريده الله منا، يأتي علينا عيد الأضحى والدماء تُراق، والمُصاب يشتد، ونعيش معاني التضحية والفداء، لقد تُرجمت الأُضحيةُ إلى تضحية، فضحَّى الصادقون بالنفس والنفيس، وهذا والله تشريف، فلا تردوا تشريف الله لكم، هذا حظٌّ عظيم، ولا يُلقَّاها إلا ذو حظٍّ عظيم، فالله أكبر الله أكبر.

لم يخرج من أرض غزة حاجٌ واحد إلى تلك الأراضي المباركة، لكنَّ لسان حالنا: يا حجيج بيت الله أقرؤوا النبي ﷺ منا السلام وأَخبرُوه أنَّ غزة لم تشهد الحجَّ لهذا العام، وبلغوا سلامنا إلى رسول الله ﷺ المقاتل المرابط المجاهد الشهيد، أخبروه يا حجاج بيت الله عن عذرِ أهلِ غزة، أخبروه عن جرحنا الغائر، أخبروه عن وجعنا وحالنا، أخبروه أنَّ الطائفة المنصورة التي بشَّر أنَّها في أكناف بيت المقدس ما بدَّلت ولا غيَّرت، ولا ضرَّها مَن خالفها ولا مَن خذلها، ولم تُعطِ الدَّنيَّةَ في دينها، ولا زالت على عهدها وبيعتها، أخبروه أنَّ اليهود قد دنسوا مسراه وسَبُّوه في ساحاته ، فقامتْ غزةُ منتصرةً لمسرى رسول الله ﷺ، وقَدَّمَتْ في سبيل ذلك خيرةَ شبابها وفلْذاتِ أكبادها وأرواحَ رجالها، وكلَّ ما تملك من مساكنَ وأموالٍ بحبٍ وطيبِ نفس في سبيل الله تعالى، أخبروا رسول الله ﷺ شكايتنا على كلِّ من تآمر علينا، وعلى كل من خذلنا، وعلى كل من جلس في بيته يتفرج على دمنا، وأشلاء أطفالنا، وصرخات نسائنا، ثم تركنا، أخبروه أنَّ غزة تحبه كما أنَّ جبل أُحدٍ يُحبه، أخبروه أنَّ غزة بشوارعها ورجالها ونسائها وحاراتها وبيوتاتها المُهدَّمة وكلِّ بشرٍ وحجرٍ فيها أنَّها تُحبُّه، ولم تُسقط رايتها ولن تُسلم نفسها لعدوها، بأبي أنت وأمي يا رسول الله.



صحيحٌ ما رأيتُ النورَ من وجهِكْ، ولا يومًا سمعتُ العذبَ من صوتِكْ، ولا يومًا حملتُ السيفَ في رَكبِكْ، ولا يومًا تطايرَ من هنا غضبي كجمر النار، ولا حاربتُ في أُحُدٍ، ولا قاتلتُ في بدرٍ صناديدًا من الكفّار، وما هاجرتُ في يومٍ ولا كنتُ من الأنصار، ولا يومًا حملتُ الزادَ والتقوى لبابِ الغار، ولكنْ يا نبيّ الله أنا واللهِ أحببتُكْ، لهيبُ الحبِّ في قلبي كما الإعصار، فهل تَقبلْ؟، حبيبي يا رسولَ اللهِ هل تقبلْ؟، فما كنتُ أنسَ الذي خدمَكْ، ولا عُمرَ الذي سندَكْ، وما كنتُ أبا بكرٍ وقد صدَقَكْ، وما كنتُ عليًّا عندما حَفِظَكْ، ولا عثمانَ حينَ نراهُ قد نصرَكْ، وما كنتُ أنا حمزةْ ولا عَمْرًا ولا خالدْ، وإسلامي أنا قد نِلتُهُ شرفًا من الوالِدْ، ولم أسمعْ بلالاً لحظةَ التكبير، ولا جسمي انشوى حيًّا بصحراءٍ بكلِّ هجير، وما حطّمتُ أصنامًا ولا يومًا رفعتُ الرايةَ خفّاقةْ، أنا طفلٌ يُداري فيكَ إخفاقَهْ، ولكنْ يا رسولَ اللهْ أنا نفسي لحبِّكَ يا رسولَ اللهْ وحبِّ اللهِ تَوّاقةْ.

لسانُ الواحد منا في موسم الحجِّ ويوم العيد، لبيك اللهم لبيك، لبيك لم نصعد على عرفات، لكنَّنا صعدنا على أكبر ترسانةٍ للباطل في هذا الزمان، لبيك لم نَبتْ يوماً بمزدلفة، لكنَّنا بِتنا بليالي الرباط المُظلمة، لبيك لم نَطفْ بالبيت، لكنَّنَا طُفنا طُوفاناً عظيماً خرَّب على الظالمين عروشهم، لبيك لم نَسعَ بين الصفا والمروة، ولكنَّنا سعينا في ساحات القتال والثبات بين كرٍّ وفر، لبيك لم نرجم الشيطان، لكنَّنا رجمنا رؤوس الكفر وشياطين الإنس، لبيك لم نقصد البيت الحرام لأنَّه بعيد، لكنَّنا قصدناك لأنَّك أقرب إلينا من حبل الوريد، لبيك وإن لم نكن بين الزحام مُلبين، لبَّيكَ لبيكَ ربي وإنْ لم أكنّ بينَ الزحَام مُلبياً، لبيك ربِّي وإنْ لم أكنْ بينَ الحجيج ساعياً، لبيك اللهم لبيك.

لقد حُرم أهل غزة من عبادة الحج، ولكن شَغَلَهم الله بما هو أعظم وأرفع لهم في درجاتهم بإذن الله، فإنَّنا إذ يُؤدي ضيوف الرحمن فريضة الحج، فإنَّنا نُؤدِّي فريضة الجهاد ضدَّ



أعداء الله المحتلين الغاصبين نيابةً عن أُمّة الإسلام الكبيرة، وشتان بين العبادتين، ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (19) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (20) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (21) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة:19-22].

يا عابدَ الحرمينِ لو أبصرتنا ❖ لعلمتَ أنك في العبادة تلعبُ

من كان يَخْضِبُ خدَّه بدموعه ❖ فنحورُنا بدمائنا تتخضَّبُ

أو كان يتعبُ خيلُه في باطلٍ ❖ فخيولُنا يوم الصبيحة تتعبُ

ريحُ العبيرِ لكم ونحن عبيرُنا ❖ رَهَج السنابكِ والغُبارُ الأطيبُ

ولقد أتانا من مقالِ نبيِّنا ❖ قولٌ صحيحٌ صادقٌ لا يكذبُ

لا يستوي غبارُ خيلِ الله في ❖ أنفِ امرئٍ ودخانُ نارٍ تَلهَبُ

هذا كتابُ اللهِ ينطقُ بيننا ❖ ليس الشهيدُ بميتٍ لا يكذبُ

إنَّ فريضة الحج قد تلاعب بها أذناب الغرب، واحفظوا هذا يا أجيالنا، كما شُوَّه مفهومُ الجهاد وأوهموا الناس أنَّ الانضمام إلى جيش الدولة هو الجهاد، كذلك شوَّهوا مفهوم الحج، بأنَّه مجرد طقوسٍ تُؤدَّى ثمَّ يعود المؤمن إلى نومه مرةً أخرى، ونحن نقول: الانضمام مع جيوش دول العرب ليس جهاداً، والزيارة لأجلِ الطقوس ليست حجاً كما أراد الله من التشريع، هل تعلم أخي المؤمن أنَّ بيعة العقبة الثانية كانت محطةً فارقة أهمَّ من الهجرة عند كثيرٍ من المؤرخين، مكان اللقاء كان في الحج، والتقاء النخب المؤثرة كان في الحج.



أدهشني قول أُبيّ بن كعبٍ رضي الله عنه عندما قال: «يظنُّ الناس أنَّ اليوم يوم بدرٍ،وهو عندنا وَقعةُ العقبة!!»، وتالله مَن أدى الحجَّ ولم يفقه معاني التهيئة والإعداد فحجُّه خداجٌ خداج، والله المُوفِّق والمُعين.

إنَّ الحَّج يُعيد سنوياً جمع هذه الأمة وتعريفها بنفسها، وبأصلها، وبوحيها، وبأرضها المقدسة، وبآمالها في التَّوحدِ والنظام، وأن تكون الأمة كالحجيج، اتفاقٌ في المظهر والحركة والغاية، وإنْ اختلفت الألوان واللغات والبلدان والأعراق والسِّمات!، الحجُّ يُعيد تذكير الأمة بأصلها (إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام)، وبوحيها (القرآن)، وبقبلتها (الكعبة)، وبنبيها (خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُم)، وبعدوِّها (الشيطان وحزبه)، وبانتمائها (أمة الإسلام)، وبغايتها (اليوم الآخر)، وبرسالتها (الجهاد والزهد)، وليس من مشهدٍ أقوى في الجهاد والزهد من مشهد ذوي الأكفان البيضاء، وهم يطوفون ويلبُّون ويكبِّرُون ويَسعَون بين جبلين، ويبيتون في الضيق والزحام، إنَّه أشبه بعرضٍ عسكريٍ مهيب.

إنَّ طوفان الأقصى قد انطلق من أجل المسجد الأقصى، شقيق الحرمين الشريفين، وإنَّ مناسك الحج هي فرصةٌ سنويةٌ لنُذكِّر أمة المليار ي مسلمٍ بحقيقة صراعنا مع عدونا الذي ينتهك مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيث فيه فسادًا وتهويدًا كلَّ يوم.

إنَّ عيدنا يا أهل الإسلام هو عيد الحركة والعمل، ويوم العيد هو يوم قوة المؤمنين، وإن الآيات التي نزلت في يوم العيد على النبي صلى الله عليه وسلم لتثبت أنَّ أعياد المسلمين تُؤكد على وحدة الأمة وقوتها وبراءتها من الكفر والكافرين، فكان مما نزل في يوم العيد: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة: 3].



وختاماً/ مباركٌ عيدُكم يا أيها المطاردون بين ركام المنازل، مباركٌ عيدكم أيها المُغبَّرون، مباركٌ عيدكم يا أسرانا، يا من ينساكم الساسة والمؤسسات الدولية، مباركٌ عيدكم أيها الثائرون، مباركٌ عيدكم يا رجال الله تحت الأرض، مباركٌ عيدكم يا من ينساكم الجميع، مباركٌ عيدكم يا تاج الرؤوس، عيدٌ مباركٌ على أَسْرى الدعوة وأهلهم في كلِّ مكان، أنتم الذين يُستحيا منكم والله، عيدٌ مبارك للنازحين المُهجّرين من بيوتهم...

اللهم أعد علينا العيد بالتمكين والنصر واجتماع المُحبّين والفرج القريب لكلّ المعتقلات والمعتقلين، والحمد لله رب العالمين.





تكبيراتٌ من مدرسة غزة

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد، الله أكبر ما قُتِل الأبرياء وهم نائمون، الله أكبر ما تصدّعتْ البيوت وسقطتْ فوق رؤوس أصحابها، الله أكبر ما نادتْ الأصواتُ من تحتِ الأنقاض: «في حدا عايش؟!»، ولا مجيبَ إلا رحمة الله، الله أكبر ما جفَّت الحناجرُ من الاستغاثة، الله أكبر ما رُفعت الأكفُّ للسماء تبتهل: «يا ربِّ أنقذ غزة!»، الله أكبر على كلِّ ظالمٍ متجبر، الله أكبر على كلِّ خذلانٍ وصمت، الله أكبر على احتلالٍ لا يرحم عيدًا ولا حرمة إنسان.

غزةُ عيدها تكبيراتٌ تحت الركام، تهليلاتٌ بين الدموع، وسجودٌ في زوايا الألم...لكنَّه عيدٌ بصبرها وثباتها وكرامتها، الله أكبر يا غزة، العيدُ لا يكتمل إلا بذكرك، ولا تكتمل فرحتنا وأنتِ تنزفين، وكم تفضلتِ علينا يا غزة، فمن فضائل غزة علينا أنها: أيقظتْ نيامنا، ووحدتْ قضيتنا حول قضية القدس، وشغلتنا عن السفاسف والخلافات الجانبية، وبثتْ فينا روح الإيمان واليقين، وأشعرتنا بعزة الإسلام، وعرَّفتنا على أبطال المسلمين، وأجَّجتُ رغبتنا في الجهاد، وأفهمتْنا معنى العقيدة تطبيقاً لا تنظيراً، وعلمتْنا الصبر والثبات عملياً، ورغَّبتْنا في نيل شرف الشهادة، وعلَّمتنا البذل والتضحية بالنفس والأهل والمال والسكن والأمن وسائر الدنيا -كلها رخيصة في سبيل الدين والجهاد في سبيل الله-، وحرَّكتْ فينا رغبة العمل لهذا الدين، وعمَّقتْ إحساسنا بعضنا ببعض، وكسرتْ في أنفسنا الحواجز المقيتة والحدود البغيضة، وأرتنا الخونة أولياء الأعداء، وعرَّفتنا على المنافقين المرجفين المثبطين، وغيَّرتْ فينا مفهوم القدوة ومعايير اتخاذها، وعلَّمتنا الشجاعة والإقدام، وأفهمتْنا أنَّ طريق العزة والحرية ليس إلا بالجهاد، وعلَّمتْنا أنَّ الله يستعمل لدينه صفوة خلقه ولا يضرهم من خذلهم، وأرتنا أنَّ جميع عواصمنا مُحتلة لذلك هي آمنةٌ مستقرة، بينما تُقصف غزة لأنَّها حرة، وعلَّمتْنا أنْ



نَكفُرَ بالمجتمع الدولي وأنْ نؤمن بالله وحده وبالجهاد سبيلاً، وعلَّمتْنا أنَّ الإيمان يصنع أُسوداً لا تُستذل ولا تُبارى، وعلَّمتْنا أنَّ الدندنة حول معاني الإسلام والإيمان وحدها لا تصنع مسلماً ولا مؤمناً، ووضعتْنا أمام حقيقة أنَّ الجهل مع سلامة الفطرة خيرٌ لنا وأرشد من العلم مع انتكاسها، وأرتْنا أنَّ الكثير مِمَّن ينظر الناس إليهم بالدون أنَّ نعالهم خيرٌ من كثيرٍ مِمَّن كانوا يُكْبِرونهم ويرفعون بهم رأساً، وما تزال مدرسة غزة تعلمنا الكثير!.

إنَّ عبادة الجهاد في سبيل الله تعالى التي أحيتها غزة في هذا الزمان هي أعلى درجاتِ الوعي الحضاري؛ إذْ لا وَعيَ مُنفصلٌ عن فَهْمِ طبيعةِ الحياةِ والأحياء، ولا طبيعةَ للحياةِ والأحياءِ أعمقُ من سُنَّةِ المُدَافَعة بين الحق والباطل، والتي أقامَ اللهُ عليها الدنيا، وجعل صلاحها مرتبطٌ بوجود هذه السُّنة، قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ [البقرة:251]، فكأنَّ المُجاهد حين يَحملُ سِلاحَهُ قَتلاً وقِتالاً، ويَنْسَاحُ في الأرض دَفعاً وَطَلباً؛ يُمارسُ وعياً حَضارياً متقدماً فَهَّمَهُ اللهُ إيَّاهُ وحَرَمَ مِنه القاعدون... واللهُ أَعلمُ حيثُ يَجعلُ رِسَالَتَه!!.





حبيبُ قلوبنا سيدي يا رسول الله

لا نعلم خيراً سيق إلينا إلا وللنبي ﷺ سببٌ فيه وفضل، فما من خيرٍ نحياه، وما من أجرٍ نكسبه إلَّا ببركة رسول الله ﷺ، ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: 164]، فهو النور المبين المبعوث من رب العالمين، ليخرجنا من ظلمات الجهل والغواية إلى جنان الحق والهداية، فبلَّغ الدين أتمَّ البلاغ عن ربه، وأقام الله به الملَّة العوجاء، وفتح بدعوته أعيناً عُمياً، وآذاناً صُماً، وقلوبنا غُلفاً، حتى وصلنا هذا الدين وأكرمنا الله بهذا النعيم، فجزاك الله عنا خير الجزاء يا حبيبي يا رسول الله.

ما أحوجنا لأن نتعرف ونُعرِّف الناس على رسول الله ﷺ ونربط العالمين بمنهجه وسيرته، فيُرحموا ببركة اتباع هذا النبي الكريم، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:107].

اعتدنا في شهر ربيعٍ الأول من كلِّ عام أن نعقد مجالس مدارسة لكتابٍ من الكتب التي تتحدث عن النبي ﷺ وسيرته ومقامه الشريف، بصحبة مجموعةٍ من الأحبة من طلبة العلم، فما أعظم مقامك يا حبيبي يا رسول الله، وما أعظم حقَّك علينا، ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح:8-9]، حقاً ما عاش من لم يعش لرسالتك يا سيدي يارسول الله.

أتممنا بحمد الله على مدارِ خمسةِ أعوامٍ متتاليةٍ خمسَ محطاتٍ قصيرةٍ من محطات التعرف على النبي صلى الله عليه وسلم، بدأناها بشرح (الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية)، لابن أبي العز الحنفي رحمه الله، ثم أتبعناها في العام الثاني ب(مختصر الشفا بتعريف حقوق المصطفى)، للقاضي عياض رحمه الله، ثم في السنة الثالثة أكرمنا الله بمدارسة كتاب (الشمائل



المحمدية)، للإمام الترمذي رحمه الله، وفي السنة الرابعة تدارسنا كتاب (ما لا نعرفه عن رسول الله ﷺ)، للشيخ حازم صلاح أبو إسماعيل -فكَّ الله بالعز قيده-، وفي السنة الأخيرة قبل هذه الحرب بأيام تدارسنا بالدموع كتاب (وأظلمت المدينة.. وفاة النبي ﷺ)، لشيخنا الشيخ الشهيد نزار ريان رحمه الله، ومع هذه المحطات الخمس فلم نزل لم نعرف عنك إلا القليل يا سيدي يا رسول الله.

أكرمني الله بأداء مناسك العمرة قبل عامٍ من بدء هذه المعركة، وزرتُ سيدي رسول الله ﷺ، ووقفتُ أمام قبره الشريف، واستشعرتُ أني في ضيافته الكريمة، وجالتْ في بالي خواطرُ متعددة وأنا في ذلك الموقف، يا لله كم هي ثقيلةٌ دعوتك يا سيدي يا رسول الله، وكم نحن مُقصِّرون!، يا لله كم هي رسالة إسلامنا عظيمة، وكم ظُلمت الدعوة فصارت وجهات نظر!، يا لعظمة قلبك يا سيدي يا رسول الله، يا لعظمة شريعتك، شعرتُ بشيءٍ عظيمٍ في قلبي لا أدري ما هو، شعورٌ بين العزة التي نستمدها من قرآننا وشريعتنا، وبين الحسرة على من ضَلُّوا طريقك، وعلى الحكام الظَّلمة وبُعدهم عن مراد رسول الله ﷺ، ما قصَّرتَ يا سيدي يا رسول الله، حاشاك فأنت مفخرةٌ لنا بين الأمم.... وبشَّرتُه أنَّي حفظتُ القرآن وثبَّتُه عن ظهر قلب، ففاضت عيناي، وأحسبُ أنه سُرَّ بذلك، وسألتُ الله في الروضة الشريفة المباركة أن يرزقني العمل بما حفظت... ونقلتُ له هِمَّة مجاهدينا ومشايخنا، وألقيتُ عليه سلامي وسلامهم..كم يحبونك يا رسول الله!!، ودعوتُ لمن نحب ووالدينا ومشايخنا ومن لهم فضلٌ علينا، وجدَّدنا بيعتنا مع رسول الله ﷺ، وأمورٌ أخرى جليلة، ووالله إنَّ زيارة النبي ﷺ قد أحيتني من جديد، وإنَّ مقامه في قلبي عظيم، فأعنِّي يا ربِّ على حمل همِّ شريعته ودعوته، واحشرني ومن أحب تحت لوائه وفي زمرته.

هذه مشاعرٌ أحببتُ أن أُفصح عنها لأزيد الشوق في محبي رسول الله ﷺ ليتعرفوا عليه أكثر، ويقتفوا أثره وسنَّته.

أم لم يعرفوا رسولهم

كثيرٌ من أبناء أمة الإسلام لا يعرفون عن رسول الله ﷺ إلا النزر اليسير، قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ [المؤمنون: 69]، فتعالوا بنا نتعرف على لمحاتٍ سريعة من منهجية وسياسة رسول الله ﷺ.

1- برع في التعبئة المعنوية لقواته العسكرية، إذ ساهمت هذه التعبئة في إعداد مئات الجيوش، ولا زلنا إلى يومنا هذا نستخدم ذات الألفاظ في تحريض المقاتلين.

2- كان يتقدم الصفوف في قتال المعتدين على دين الله وأوليائه، ووجَّه قواتِه لضرب القوة العسكرية للعدو في أقاصي الجزيرة العربية.

3- حرَّم أخذ الضرائب من كافة شرائح المجتمع، بل وجَّه الحاكم لأخذ الزكاة من أصحاب الثراء فقط، وقد أجاز الإسلام أخذ الضريبة في حالات ضيقة جداً كخلو خزينة الدولة أو دفع كارثة واعتداء على الدولة المسلمة، وتؤخذ من الأغنياء فقط.

4- ثار على الفساد اليهودي الربوي المنتشر في الجزيرة العربية، ورفضه وحاربه، بل وحارب مشاريعهم الربوية وقضى عليها بالكامل.

5- وقع اتفاقيات ومعاهدات محلية ودولية، وجعل فترة الصلح مدةً لإرساءِ قواعد الدولة ولملمة شتاتها، لا اعترافاً بالباطل ورضوخاً له.

6- خاطب الإمبراطوريات الكبرى في زمانه كأنه قوةٌ تساويهم أو أكبر، وأقرَّ اللجوء السياسي عند بعضهم.

7- أصدر أعظم عفوٍ عرفه التاريخ حينما فتح مكة المكرمة.

8- قاتل أركان النظام القديم، وأهدر دم بعضهم، وقد حذَّر بذلك الأمة من قبول شخصياتٍ



كانت تُمثِّل النِّظام القديم في دولةٍ أو حكومةٍ تَشَكَّلت بعد حربٍ أو ثورة، لأنهم يعتبرون مُنَظِّرين وممثلين عن نظامهم القديم ودولة عميقة تهدم الدولة الجديدة.

9- أكرم المرأة والطفل، وأعطاهم حقهم الكامل، وأرسى دستوراً يُنْصِفُ حقهم لا زال باقياً ليومنا هذا.

10- تزوج أكثر من امرأة مُسنَّةٍ، منها ما كان لمصلحةٍ دينية، ومنها ما كان لمصلحةٍ اجتماعية، ومنها ما كان لمصلحةٍ نفسية، وللفائدة فإنَّ أصعب زواجٍ في الأمة كان زواج النبي ﷺ.

11- بلّغ دستوراً من عند الله، وما زاد منه وما نقص، ولايوجد فيه أيُّ قصةٍ عن حياة أحدٍ من أولاده ولا بناته.

12- كان يعطي لنفسه فترةً يخلو بخالق الكون، لتزكية نفسه وراحة قلبه، يتضرع، يدعو، يصلي، يسجد، وأحياناً يبكي حباً لربه!.

إنَّ الدُستور والمنهج الذي أرساه محمدٌ ﷺ قد أصلح قيادة البشرية في كل المجالات بعد ما فسدتْ الأرض، وأَسنَتْ الحياة، وتَعفَّنتْ القيادات، وذاقتْ البشرية الويلات من عفن الأفكار والسلوك حينئذ.

لقد جاء محمد ﷺ بتصورٍ جديد عن القيم والحياة والنَّظم والحُكم، وكلُّ هذا لم يحدث صدفةً، فأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ.



عُرى الإسلام[1]

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: (لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ، وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ)[2]، ورسالة وتوجيه الحديث أنْ يا صاحبَ الهِمَّة العالية، كُنْ أنتَ قدر الله الذي يُؤخِّر نقض عُرى الإسلام، مقتدياً في ذلك بأبي بكر الصديق ﷺ حين قال لما قاتل مانعي الزكاة: «أَيَنْقُصُ الدِّينُ وَأَنا حَيٌّ؟»[3]، فخاطبْ نفسك أيها الشاب المسلم، وقل لها: هل نحن الجيل الذي ستُهدم في زمنه المقدسات؟!.

ومن زاويةٍ أخرى بينما الناس غارقون في شؤون دنياهم وشهواتهم ...يأسرني ذلك الشاب الذي يموج العالم من حوله بالمغريات، وهو مرابطٌ على مشروعه وفكرته وقضيَّته، ولا يعنيه سوى مساحة تأثيره، ودائرة إبداعه، وتحقيق أهدافه، همُّه مُنصَبٌّ على حفظ القرآن وضبط تلاوته ومعانيه، وعلى تعليم الصبيان فاتحة الكتاب، وعلى مساعدة الفقراء وسدِّ حاجتهم، وعلى طباعة ونشر كتيباتٍ وتلخيصاتٍ صغيرةٍ تنفع الجيل، همُّه دفع الشبهات عن عقول المسلمين، وهمُّه مُنصبٌّ حقيقةً لا شكلياً على إعداد القوة وتطوير العمل العسكري ضد أعداء الأمة، باختصار...همُّه مُنصبٌّ على عملِ يومِه وليلته ونفع دينه وأمته!!

صدقاً هذا الذي ينفع نفسه وينفعنا، وغداً يكتشف كثيرون عمق الظلام الذي عاشوه، ويكتشف هو قيمة الجهاد في دوائر البناء والتأثير التي شغل وقته بها، أمَّا كثيرو الكلام، الطوَّافون على كل تفاهة، فإنّهم هَمٌّ على غيرهم، فاللهم أرشدهم وأرشدنا، ونقول لهم: شُعب

---

(1) خطبة مسجلة بعنوان: شعب الإيمان، مستفادة من دورة تأسيس وعي المسلم المعاصر للمهندس أيمن عبد الرحيم فك الله أسره، https://drive.google.com/file/d/1oLeUwZZ3Vr7qG0iwtLNXCKAzHt4_Zfip/view?usp=sharing.

(2) مسند الإمام أحمد، حديث رقم 22160.

(3) مشكاة المصابيح، حديث رقم 6034.



الإيمان تنتظر من يَشغلها فتحركوا وأروا الله من أنفسكم خيراً، فالأعمار تنقضي كغمضة عين!!





أُمهات الجيل

مسؤولية المرأة عظيمة، وأمانتها جليلة، فهي من تُربِّي وتُخرِّج لنا الأبطال المجاهدين، وخاصة في هذا الزمن الذي انتشرت فيه الميوعة والتفاهة، فحَصِّنَّ أنفسكن بالعلم والثبات، وأحسِنَّ الغرس يا أمهات الجيل.

ومما يزيد هذه الأمانة أهميةً أنَّنَا نعيش في عصر الاستعراض وما يتصل به من الأخلاق الرديئة التي تُفسد باطن الإنسان وظاهره، بدايةً من الاستعراض المعرفي وما يتصل به من انتشار طقوسي لثقافة الكتاب والكتابة والقهوة السوداء، إلى استعراض الماركات والبرندات وملاحقة الترندات، إلى تصوير لحظة فتح الهدايا، إلى تصوير الترف من أطعمة وملابس وديكور وأجهزة ذكية، إلى تصوير التميز والفرادة عن الآخرين، إلى التحول من الاستعراض بالثياب والأشياء إلى الاستعراض بالجسد، نحن في عصر الآلة وانحطاط الإنسان!، لا تنسوا أنَّ ما سبق ذكره يُفسد عليكم طهارة قلوبكن فتنبَّهن، ولا تكوني إمعة!،

إنّ العَفِيفَة لا تُبدِي مَفاتِنَها ❖ ذَاتُ الحَياءِ تَغضُّ الطَّرفَ والبَصرَا.

أعتقد أنَّ من أهمِّ الوظائف التربوية لأمهات الجيل القادم، هي تعليم أبنائهن معنى الخصوصية، تعليمهم أنَّ أجسامهم ليست للعرض على التطبيقات، وأنَّ كلَّ ذكرى ليست بحاجة إلى أن تُعرض، وأنَّ الأحداث المهمة يمكن أن يُحتفى بها بهدوء.

في زمن الاستعراض والسرعة وانتشار الشهوات والملهيات أصبحتْ هناك أخلاقٌ نادرةٌ أو قليلةٌ بين البنات، مثلاً: فتاةٌ لها مصحف خاص تقرأ منه وردها باستمرار!، فتاةٌ تطيل السجود وتدعو وتبكي!، فتاةٌ تصلي صلاة الفريضة جماعةً في بيتها!، فتاةٌ تقرأ أذكار الصباح والمساء



وتحافظ عليها!، فتاةٌ تسمع موعظةً نافعةً تُحصِّن بها نفسها وتترك التنقل بين الصفحات والمنصات!.

تذكري دائما: الله لا ينظر إلى صورتك، بل إلى قلبكِ، فاعتني به، فالقادم صعبٌ، ويحتاج إلى صبرٍ وثبات.







من الثغور العظيمة

إنَّ من الثغور العظيمة في هذا الزمن العكوفُ على إنجاح مخيمات الجيل القرآنية والتربوية، التي تهدف إلى تربية الجيل والارتقاء به وتحصينه وإعداده، وخاصةً في فترات الإجازات والفراغ عند الطلاب، وفي ظل انتشار ثقافة التفاهة التي يسعى أعداؤنا لترسيخها بين أبناء الأمة بشتى السبل والوسائل.

ولا شكَّ أنَّ إنجاح مثل هذه المناشط يحتاج إلى جهدٍ ونصبٍ في سبيل الله، ودونكم هذه الآية جليلة المعنى والقدر في بيان العمل الصالح الذي يحبه الله ويرضاه، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: 121]، فكلُّ موطِئٍ تغيظ فيه الكفار هو أجلُّ عملٍ صالح، وهذا اصطفاءٌ لا يوفق الله له أيّ أحد.

ونصيحتي لمن كُلف بهذا الثغر أن يُخلِص ثم يُخلِص ثم يُخلِص، لأنَّ الأجر عظيم والأمانة عظيمة، وليعلم أنه مستأمنٌ على الجيل ودينهم، وليرقب سلوكه قبل سلوكهم، وأسأل الله أن يوفق القائمين على هذا الثغر العظيم.

ومن الثغور العظيمة كذلك تفكيك منظومة قيم الحداثة الغربية، ومحاكمتها من خلال قيم الوحي المعصومة، لإثبات فشل قيمها، وعدميتها، ولا إنسانيتها، وضرورة تجاوز منظومة الغرب القيمية القائمة على افتراس الحياة والمادية المنفصلة عن كلِّ قيمة حقيقية، نتجاوزها إلى قيم الإسلام التي تحكم سعي الإنسان في التعامل مع الحياة والأحياء.



إنَّ الهدفَ المنشود من هذه المقارنة هو التحرر القيمي عند الجيل، أي: وقاية المسلم من الارتماء في أحضان الحداثة الغربية، والتخلص من الإحساس بمركزية الغرب وقِيَمِه، وأن يكون حُرًّاً عزيزاً في تعامله مع قيم هذه الحضارة، وفي هذا السياق اقترحَ المفكر عبد الوهاب المسيري رحمه الله تأسيس علم أسماه (علم الأزمة)، بحيث يدرس أزمة الحضارة الغربية من جميع جوانبها، وخاصة الجانب القيمي والديني، للوقوف على انحرافات الحضارة الغربية في قيمها وفكرها، وفشل نتاجها المعرفي في تدوير عجلة الحضارة، لأنَّ الخلل في هذه القيم ينشأ عنه خللٌ في التشريع والأخلاق، وبهذا يدرك المسلم عفن النظم الغربية، ويدرك في المقابل عظمة التشريع الإسلامي، وكما يقولون تُعرف الأشياء بأضدادها.





الدين قضيةٌ عظمى

إنَّ هذا الدين عظيمٌ وكاملٌ وصالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكان، ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[المائدة:3]، دينٌ لا يرضى أن يكون له حُكمٌ على بعض التفاصيل، ويُهمَّش في قضايا أخرى، بل هو دينٌ يحكم الحياة كلَّها، ويحكم السياسات، ويقيم السلطة والحُكم، دينٌ يريد أن يبلغ العالمية، وأن يُنهي الجهل والظلم والطغيان والبغي، وأن يكون المنتمون إليه قوَّامين بالقسط في كلِّ فعلٍ وقول...إذا فهمت هذا فاقرأ هذه الآيات بتدبر

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ [الفتح: 28]،

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [الصف:8-9]،

وقال تعالى: ﴿وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ﴾ [الشورى: 15]،

وقال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:49-50]،

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [النساء: 135].



وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

[الأعراف:157-158].

إنَّه دينٌ يريد للحياة كلِّها أن تتحرك وَفق تعاليمه، وتلك هي دعوة الإسلام، وفي سياقها جاءتْ دعوة الأفراد لإصلاح أنفسهم وقلوبهم.





على حافة الهاوية

مَن اشترطَ أن يفهم الحكمة في كلِّ أمرٍ أمره الله به، ولا يلتزم بالعمل إلا إذا اتضحت له الحكمة، فهو على حافة الهاوية!!، ولو كان المسلم هكذا فهو لا يعبد الله، بل يعبد رأيه وهواه!.

الواجب على العبد المسلم تمام الانقياد والاستسلام لأمر الله تعالى في كلِّ أوامره ونواهيه؛ أمَّا الحِكَم التي تُستنبط من بعض الأحكام فهي اجتهادية؛ والله هو العليم بما فرض علينا، وعلينا التسليم، فمثلاً: لماذا نصلي باتجاه الكعبة ولا نُصلي إلى جهة أخرى؟!، ولماذا تقضي الحائض الصوم دون الصلاة؟، ولماذا عِدة المرأة هكذا؟!، ولماذا حُرِّم الخنزير؟، ولماذا حُرِّم الذهب على الرجال؟، ولماذا نحجُّ بهذه الطريقة المرهقة؟...، الجواب الصحيح في كل هذا: لأنّ الله الحكيم أمرنا بذلك، ولأنَّ الإسلام هو الاستسلام لله تعالى!.

هناك أحكامٌ شرعية أطلعنا الله على بعض حِكمها، وهناك أمورٌ ينبغي أن نتصالح بأن أحداً في الدنيا لا يعرف جوابها، وأنها ليست شغلنا!، وأنَّ التسليم لله الحكيم العليم هو أفضل جواب، فإنْ عرفنا الحكمة في أمرٍ ما أطعنا وامتثلنا، وإن لم نعرف الحكمة في غيره أطعنا وامتثلنا، وقلنا: سمعاً وطاعةً يا رب، لبيك اللهم لبيك.

اقرأ وتأمل مثلاً علّة تحويل القبلة كما صرَّح بها القرآن، قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٤٢ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة:142-143]،



إذن العلَّة هي معرفة المؤمن المُسلِّم لأمر الله المنقاد لشرعه من غيره، والخلاصة: التسليم موقفٌ شرعيٌّ وعقلانيٌ صحيح، فاستعن بالله، وانشغل بالعمل لا بالجدل، وسل الله الثبات على الأمر والعزيمة على الرشد.



طول أمد الحرب

إنّ جولات القتال الطويلة صعبة، ولكنها تصحح المسار في قضيتين مركزيتين ومهمتين جداً عند الجماعة المسلمة، وهما قضية الرزق وقضية الأجل، فلا بد من إعادة النظر فيهما لكل صادق.

أما تصحيح المسار في القضية الأولى فيكون بأن تعلم:

1- أن الرزق بيد الله وحده، فاطلب عزة نفسك ولا تذلها، فغني الأمس بات فقيراً، وفقير الأمس صار غنياً!.

2- السعي للرزق مطلوبٌ شرعاً وعقلاً، ولكن لا تلهث وراء الرزق وكأنك خُلقت لتأكل وتشرب، بل احرص على غذاء روحك باتصالك بالله كما تحرص على غذاء بدنك بالطعام والشراب!.

3- المجاعة التي خضناها ويخوضها العاملون لدينهم في كلِّ زمانٍ ومكان هي فترةٌ تربويةٌ مهمة، وليست ثمرتُها أن نصبح بخلاء حريصين على كل رزقٍ هنا أو هناك، بل ثمرتها في توجيه النظر للمُنعِم لا للنعمة، وفي بذل اللقمة لمن يريدها، وسبحان من أشبعنا بعد جوع..!

4- الأخذ بالأسباب واجبٌ، وسعي الإنسان في رزق أهله وولده وأبويه محمودٌ شرعاً، بل هو سعيٌ في سبيل الله، ولا يُعاب أن يُرى الرجل أشعثَ أغبر في حمله لمتاع أهله، بل هو مروءةٌ وديانةٌ وخُلقٌ طيب، إنَّما العيب أن يجلس الرجل مُضيِّعاً لأهله يتسول مساعدة الآخرين، وفي الحديث: (مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَرَأَى أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ جَلَدِهِ وَنَشَاطِهِ مَا أَعْجَبَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،

وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يَعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)[1].

فكلُّ من لم يتغير منظوره للرزق بعد هذه الجولة، فلا زال بليداً غارقاً في حب الدنيا، ونسأل الله السلامة.

وأما تصحيح المسار في قضية الأجل فيكون بملاحظة ومراعاة الأمور التالية:

1- الجهادُ لا ينقص من العمر، بل هو سبيلٌ لتطويل الأعمار، ومن يُحسن صناعة الموت، ستخضع له الحياة تحت قدميه، وعدد الشهداء من المجاهدين أقل منهم من المدنيين بكثير، وفي كلِّ خير، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: 24]، لما يُحييكم: أي لما فيه حياتكم!.

2- يجب على المرء أن يسعى لحفظ مُهجته، لأنَّ حفظ النفس مقصدٌ شرعي، وهذا ليس قانوناً عاماً، بل في بعض الأوقات يجبُ بذل النفس، وفي أوقاتٍ أخرى يجب تقديم حفظ النفس، وفي السيرة النبوية شاهدٌ للحالتين، ففي الأولى مثلاً غزوة مؤتة وما فيها من التعرض والبذل، وفي الثانية موقف بدر ودعاء النبي ﷺ: (اللهُمَّ أَنجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ)[2]، وأفهمُ من الدعاء أنَّه ﷺ كان يحبُّ بقاءهم ويقدم حفظ نفوسهم على قتلهم وشهادتهم في ذلك الموطن الذي هو بداية المواجهة مع الباطل.

والذي يُحدِّد مَوقفك هل أبذلُ النفس أم أستبقِيها؟!، هو طبيعة الموقف والميدان، فليس من الفقه الدوام على التأمين والسلامة، فمن آثر السلامة في كلِّ شيءٍ لم يَنَل شيئاً، وليس

---

(1) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، حديث رقم 6835، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم 1428.

(2) صحيح مسلم، حديث رقم 1763.



من الفقه المخاطرة والتعرض للقتل دوماً على كلِّ حالٍ وظرفٍ، فمن قاد الجند إلى المطمورات أهلكهم.

3- الإيمان باليوم الآخر كان غائباً عنا، كنا نذكره بألسنتنا فحسب، لكن طول الجولة جعل الإيمان باليوم الآخر حاضراً بشكلٍ دائم، فصار الواحد منا يقول يومياً: (إنْ عشنا للغد سنفعل كذا وكذا)، وهذا من حياة القلب والله، ففي الحديث: (مَاتَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُثْنُونَ عَلَيْهِ، وَيَذْكُرُونَ مِنْ عِبَادَتِه، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ سَاكِتٌ، فَلَمَّا سَكَتُوا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: هَلْ كَانَ يُكْثِرُ ذِكْرَ الْمَوْتِ؟، قَالُوا: لَا، قَالَ: فَهَلْ كَانَ يَدَعُ كَثِيرًا مِمَّا يَشْتَهِي؟، قَالُوا: لَا، قَالَ: مَا بَلَغَ صَاحِبُكُمْ كَثِيرًا مِمَّا تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ)[1].



(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم 5941.

التعامل مع الأزمات

الأزمات في واقعنا وواقع الأمة كثيرة، فَخُذْ على سبيل المثال: أزمة غزة، والأقصى، والأسرى، والفقر، وغير ذلك، أزماتٌ كثيرة وشديدة ومتتابعة، فكيف نتعامل معها؟!.

فتشتُ عن كيفية تعامل القائد الأول ﷺ مع الأزمات المتتابعة، ففُتح علي والحمد لله أنَّ المخرج ربما في ثلاث تاءات، (تجاهل، تكافل، تفاؤل)، والله أعلم.

أولاً: التجاهل: ومن ذلك ما فعله ﷺ حينما بلغه قول عبد الله بن أُبي بن سلول في حق المسلمين: (أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: دَعْهُ، لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ)[1]، وجاء في رواية: (فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَرَ أَنْ يُؤَذِّنَ فِي النَّاسِ بِالرَّحِيلِ لِيَشْتَغِلَ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ عَلَى الرَّحِيلِ)[2]، ومن ذلك أيضاً منهج الصحابة الكرام رضي الله عنهم إذا ما زادت الأسعار أن يُرخصوا السلع بالامتناع عن شرائها أو استبدالها بغيرها، وحصل ذلك في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فورد أنَّ ثمن الزبيب قد ارتفع في مكة، فكتب إليه الصحابة وهو بالكوفة أنَّ الزبيب قد غلا علينا، فكتب أن أرخصوه بالتمر، أي استبدلوه بشراء التمر الذي كان متوفرًا في الحجاز وأسعاره رخيصة، فيقلُّ الطلب على الزبيب فيرخص، وإن لم يرخص فالتمر خير بديل، وكذلك السلف الكرام والتابعون كانت مواقفهم واضحةً من مواجهة أزمة الفقر والغلاء، فقد ورد أنه قِيلَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ: «إِنَّ اللَّحْمَ غَلَا، قَالَ: فَأَرْخِصُوهُ، أَيْ: لَا تَشْتَرُوهُ»[3].

(1) صحيح البخاري، حديث رقم 4905.
(2) تاريخ المدينة لابن شبة (374/1).
(3) حلية الأولياء للأصبهاني (32/8).

ثانياً: التكافل: ففي وقت الأزمات تتوجب مواساة المصاب، يقول الحبيب ﷺ: (مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ)[1]، كما نبَّه النبي ﷺ على خطر الاحتكار كسببٍ من أسباب الأزمات، فقال: (مَنِ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَبَرِئَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ، وَأَيُّمَا أَهْلُ عَرْصَةٍ أَصْبَحَ فِيهِمُ امْرُؤٌ جَائِعٌ، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللهِ تَعَالَى)[2].

ثالثاً: التفاؤل: وما أعظم التفاؤل المبني على السعي والعمل واليقين بالله تعالى.

وتأمَّل معي وعد النبي ﷺ وهو مطارَدٌ في طريق الهجرة لسراقة بن مالك بأنه سيلبس سواري كسرى[3]، وكأنه يقول له: سأصل المدينة وأُقيم دولةً وأُكوِّنُ جيشاً وأغزو - باسم الله- كسرى وأهزمه، ولك سواري كسرى، ثم انظر إلى يوم الخندق وما فيه من خوفٍ ووحشةٍ وغربةٍ وترقُّبٍ للخطر، ورغم كل هذا انظر إلى تفاؤل النبي ﷺ، جاء في الحديث: (لَمَّا كَانَ حَيْثُ أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَحْفِرَ الْخَنْدَقَ عَرَضَ لَنَا فِي بَعْضِ الْجَبَلِ صَخْرَةٌ عَظِيمَةٌ شَدِيدَةٌ لَا تَدْخُلُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ، فَاشْتَكَيْنَا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَآهَا أَخَذَ الْمِعْوَلَ وَأَلْقَى ثَوْبَهُ، وَقَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، ثُمَّ ضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَهَا، وَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ السَّاعَةَ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ فَقَطَعَ ثُلُثًا آخَرَ فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قَصْرَ الْمَدَائِنِ الْأَبْيَضَ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، فَقَطَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ، وَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ)[4]، هذا التفاؤل لا يستطيعه البَطَّالُون والمنافقون في لحظات الشدة، بل ولا يطيقونه،

---

(1) صحيح مسلم، حديث رقم 1728.

(2) مسند الإمام أحمد، حديث رقم 4880.

(3) القصة بتمامها موجودة في صحيح البخاري، حديث رقم 3906، والسنن الكبرى للبيهقي (581/6).

(4) مصنف ابن أبي شيبة، حديث رقم 36820.



فقد ورد أنَّه لما بشَّر النبي ﷺ بهذه البشريات من وسط الخوف والآلام قال المنافقون: «مُحمَّدٌ يَعِدُنا فتْحَ فارِسَ والرُّومِ وقدْ حُصِرْنا هاهُنا، حتَّى ما يَستَطِيعُ أَحدُنا أنْ يَبْرُزَ لِحاجَتِه، ما وعدَنا اللَّهُ ورَسُولُهُ إلَّا غرُورًا»[1]، وفيهم نزل قول الله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا﴾ [الأحزاب: 12].

واسمع إلى ما قاله عتبة بن غزوان رضي الله عنه وقد كان أميرا على البصرة: «ولَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مع رَسُولِ اللهِ ﷺ، ما لَنَا طَعَامٌ إلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ...، فَما أَصْبَحَ الْيَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ إلَّا أَصْبَحَ أَمِيرًا علَى مِصْرٍ مِنَ الأمْصَارِ»[2]، كأنِّي به يبكي وهو يقولها.

وفي القدس اليوم رغم تتابع النكبات، إلا أننا نرى في الأُفق خلافةً على منهاج النبوة، تملأ الأرض قِسطاً وعدلاً وحقاً بعد أن مُلِأَتْ ظُلماً وجُوراً وقهراً.

فيا أيها الظالم: بإمكانك أن تقطع كلَّ الورود، لكنَّك لا تستطيع أن تمنع الرَّبيع من أن يأتي ..!، ويبقى الأمل بشرط العمل، وأخيراً سلوا الله العافية، وليس لها من دون الله كاشفة.



(1) تفسير الطبري (38/19).
(2) صحيح مسلم، حديث رقم 2967.

فمن نام فلا نامت عينه

أيها المجاهدون، هل رأيتم كيف تُحيون بجهادكم أمةً قد طال سباتها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾[الأنفال: 24]، الجهاد حياة والقعود موت.

وهذه همسة حُبٍّ في أذن كلِّ مجاهد: اعلم يا قُرَّة العين أنَّ كلَّ مجاهدٍ له أجرٌ في كلِّ إنجازٍ يحققه المجاهدون، فالجهاد منظومةٌ متكاملة، وليس اجتهادات فردية!، ألستَ تُرابط؟، ألست تتدرب؟، ألست تَصبِر؟، ألست تُخطط؟، فلولا المُرابط ما نجح المُخطط، ولولا صَبرُ الجنود ما أنجزت القيادة، وكلُّ الثغور في الجهاد بركة، كما قال ﷺ: (طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ)[1]، فلله الحمد والمِنة، وتأمَّل معي أنَّه لم تُذكر في القرآن كلمة (مجاهد) مفردة مطلقاً، إنما ذُكرت بلفظ الجمع، لأنَّ نجاح العمل الجهادي المثمر لا يكون إلا مع الجماعة!.

أخي المجاهد، نحن نُعِدُ ونسعى ونُرابط ونكمن ونضرب، ويُكشف للإعلام جزءٌ يسيرٌ من العمل، وما خفي أعظم، ولكن والله إنَّ يد الله التي تعمل في الخفاء أعظم وأعظم وأعظم، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل:53]، ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:17]، نعم، ولكن الله رمى، ولكن الله وَهَب، ومِن الله كان المدد!!، فيا أيها المجاهدون: قبل أن ترفعوا رؤوسكم مفتخرين بأيِّ إنجاز ألا فلتُمرَّغ الجباه بالتراب تواضعاً وانكساراً لله، فاللهم لك الحمد، ومنك القبول يا كريم.

---

(1) صحيح البخاري، حديث رقم 2887.



أخي المجاهد: ربما حُرمت من نعمٍ كثيرةٍ من متاع الدنيا، لكنَّ الله قد اصطفاك فكان لك سهمٌ في نصرة دينك، سهمٌ في إرعاب عدوك وآخرين لا نعلمهم الله يعلمهم، سهمٌ في عزِّ الأمة في زمن التفاهة، سهمٌ في الإعداد، وسهمٌ في غيظ أعداء الله، فهنيئاً لك والله، وأسأل الله أن يُعوضك جنةً وحريراً وملكاً كبيراً عن كلِّ شيءٍ فاتك من متاع الدنيا الزائل.

وفي المقابل أوجِّه كلمةً للقاعدين عن فريضة الجهاد، أخي عُد إلى صفِّ العزة، وذُق شرف الجهاد في سبيل الله، والتحق بركب الأبطال، فالقاعد يموت ألف مرة، بينما المجاهد يحيا عزيزاً قوياً، وإذا مات فهو حيٌّ عند الله يُرزق!!، وأقلُّ القليل إذا لم تستطع أن تجاهد بنفسك ودمك فكن داعماً وسنداً وظهيراً لهم لا للمجرمين الذين باعوا الأمة وأورثوها الذل، ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [القصص: 17]، فمن الثغور في هذا الزمن ألا تكون ظهيراً للمجرمين، والمعنى: أن تكون سنداً لرجال الله سادتنا المجاهدين، وإنما يَشرُف بهذا أنصار الحق، ولا عزاء للقاعدين ولا للجبناء، ومن نام فلا نامت عينه!.

وختاماً نبتهل إلى الله: اللهم احفظ مجاهدينا، اللهم احفظ عائلاتهم وذرياتهم، اللهم وكما حُرموا النوم في بيوتهم للدفاع عن دينك، اللهم فحرِّم وجوههم على النار، اللهم مكِّن لهم في الأرض يتبوؤوا منها حيث شاؤوا، اللهم كن لهم وليًّا ونصيرًا، ومعينًا وظهيرًا، اللهم إنا نستودعهم عندك فاحفظهم بحفظك يا حفيظ، نستودعك اللهم أرواحهم فاحفظها من كل أذى، ونستودعك قلوبهم فاملأها طمأنينةً ويقينًا وثباتًا، وأنزل عليها السكينة يا كريم، اللهم نستودعك أعينهم فلا تُرِها خوفًا، ونستودعك أقدامهم فلا تزلَّ عند اللقاء، ونستودعك سلاحهم فلا يخيب، ونستودعك نياتهم فلا تفسد، اللهم اجعلهم في كنفك الذي لا يُخترق، وفي رعايتك التي لا تُغلب، اللهم إنهم قد خرجوا نصرةً لدينك، فاحرسهم بعينك التي لا تنام، واكفهم بما شئت، وكيفما شئت، وأكرمهم بخير الدنيا وحسن ثواب الآخرة، إنك على كل شيء قدير.



فلا تخافوهم

التفكير في مستقبل غزة فيه كثير من التردد والحيرة، آمالٌ بوقف الحرب وإعادة البناء والإعمار، ومخاوفُ من مستقبلٍ مجهول، وما يزيد مخاوف الناس تصريحات بعض الساسة الفجرة كترامب ومن معه من صهاينة العالم، فمرةً يريدون غزة منتجعاً سياحياً، ومرةً يُخططون لتهجير أهلها، وأصوات المتطرفين الصهاينة تنادي باحتلال غزة وجعلها مستوطنات لهم، وإزاء كل هذه التصريحات وغيرها نقول: منذ متى والباطل أخرس؟!، الباطل دائماً يُجعجع، لكنه ينسى، وقد صرح قبل ذلك نتنياهو بأنه لن يترك حاجز نتساريم ولا فيلادلفيا، وأنه سيقضي على حماس ويحقق نصراً مطلقاً، وها هو بعد كل خيبةٍ يرجع ويفاوض حماس ويقبل بشروطهم راغماً.

تذكَّروا دائماً: الباطل بليدٌ وغبي، فلا تخافوا من صراخه، ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[آل عمران:175]، ولقد سجَّل القرآن تهديد الباطل لأهل الحق في مواضع كثيرة، وكانت النتيجة أنه لمَّا ثبت أهل الحق زهق الباطل، فلقد هدد أهل الباطل لوطاً وإبراهيم وشعيباً عليهم السلام بأن يُهجِّروهم من أرضهم، ولم يصل الباطل لبغيته بثبات الأنبياء وعزمهم، ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾[الشعراء: 167]، ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴾[مريم: 46]، ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ﴾[الأعراف:88]، وهدَّدوا كذلك سيدنا محمداً عليه السلام وأخرجوه، لكنه عاد منتصراً فاتحاً، لأنَّ الأرض لله يورثها للصالحين، فَلِمَ الخوفُ من تصريحات اليوم؟!



يقيننا بالله أنَّ كل هذه التهديدات كسابقتها، وصدِّقوني الباطل بليد ولو بدا لكم خلاف ذلك!!، ولا تسمعوا ممن يُثبِّطكم ويخوفكم وصدق رسول الله ﷺ حين قال: (إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ)[1].

والواجب على الجميع الآن الانشغال بالإصلاح وإغاثة الناس وإسنادهم، وهذه أمانة الجميع وواجب الجميع، وإن المُشاهِد لمعاناة الناس اليوم في غزة، ثم يثني عطفه وكأنه لا شأن له، داخلٌ في وعيد الآية ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: 16].

لا يضرُّنا الخذلان بعون الله، فنحن نعلم أنَّ قدرات العالم للإيواء والنصرة كبيرة، وكبيرة جداً لو أرادوا وتحركوا، لكننا نوقن أنَّ الله أكبر وأرحم!، فإنْ كنتم منشغلين عن عائلةٍ بلا مأوى، وطفل عَطِشٍ، وفتاةٍ جائعة، فربُّ العالمين لا يُشغله شأنٌ عن شأن، فهو كما يسمع مِواء هِرّةٍ مُعذَّبة، ويُدخلُ مَن عذَّبها النار، يسمع دعاء جماهيرَ بائسةٍ، وسيجزي الظالمين بما كانوا يعملون.



(1) أخرجه مسلم، حديث رقم 139، وللحديث روايتان بفتح الكاف وضمها. والمعنيان مُرادان.

قبل ظهور المثلث الأحمر

كلُّنا يعرف أنَّ صلاح الدين الأيوبي انتصر في معركة حطين، لكنَّنا لم نتنبه إلى أنَّه لم يُحقِّق مراده في معاركَ كثيرةٍ قبل ذلك، فقد خاض أربعاً وسبعين معركةً في تسع عشرة سنة...، وأوذي وأُصيب فيها أكثر من مرة، واستُشهد معه مئات المجاهدين وجُرح الآلاف وأُسر منهم الكثير.

كُلُّنا قرأنا وسمعنا أيضاً عن نصر يوم بدرٍ وفتح مكة، لكنْ نتغافل عن جراح يوم أحدٍ وما فيه من دروس عظيمة ولولا أُحدٌ لما فُتحت مكة!

وفي معركتنا هذه ما كان للمثلث الأحمر أن يظهر إلا بعد مشوارٍ طويلٍ من إعدادٍ سابق وتدريبٍ ورباط، وحفر الأنفاق، ومد الأسلاك، وفحص العبوات، والرصد والمتابعة، وتجهيز عدسة الكاميرا، وتنظيف السلاح، وقلة النوم، ووجع الظهر، واحمرار العينين، ووجع الركبتين، وشدة البرد وطول السهر، وكثرة التضرع لله وطول السجود، والتخطيط الجيد والعمل الجماعي، والسمع والطاعة، والعمل تحت الضغط، والمخاطرة العالية، وقلة الزاد، وإصابة البعض، واستشهاد المقاتلين، والقصف الرهيب... ويستفاد من هذا أن نعلم أنَّه لا سيادة وأنت على الوسادة!

لولا المشقةُ سادَ النَّاسُ كلُّهمُ ❖❖❖ الجودُ يُفقر والإقدامُ قتَّالُ

والشيء بالشيء يُذْكَر، فأقول: لن يحصل الإعمار فجأة، ولن نرى غزتنا أجمل مما كانت إلا بعد نصب الخيمة، واستصلاح ما يمكن استصلاحه، وبناء المصليات والمراكز التعليمية والصحية من الخشب والأقمشة، وتحمل مصاعب ما بعد الحرب، وهكذا سنة الحياة، إنجازاتٌ صغيرة تُؤدِّي لإنجازٍ كبير، وما البحر إلا قطراتٌ بجانب بعضها، وغزة ستبنى من



جديد بإذن الله..، فكن حجر بناء ولا تكن عثرةً أمام كل خطوة، فنحن نرفع عمود الخيمة هنا ونرمم الجدار ونقيم المصليات، وأبراج الصهيونية العالمية تهوي هناك!، هذا هوالمستقبل بعون الله ولا نرى غيره.





جنايةٌ على الإسلام

بعض الناس يرون أنفسهم مؤهَّلين للكلام في الدين وهم ليسوا متخصصين، بدعوى أنَّ الدين سهلٌ ويفهمونه ببساطة!، ولكن أقول: إنَّ دراسة الشريعة تخصصٌ عظيمٌ له قواعده وأُسسه ورجاله، وأعمق علمٍ وأدقّه في جملة العلوم قاطبةً هو علم الشّريعة، ولا يحقُّ لأحدٍ أن يتصدَّر فيه إلا إنْ دخله من بابه، وليس في العلم شيءٌ يسمى سهلًا أو لا يحتاج شرحًا، ولمّا سُئل الإمام مالك -رحمة الله عليه- عن مسألةٍ فكان جوابه: لا أدري!، راجعه السّائل بقوله: هي مسألةٌ خفيفة، فقال: ليس في العلم شيءٌ خفيف![1].

إنَّ من الجناية اعتقاد الإنسان أنَّه مؤهلٌ للكلام في الدين لأنَّه اطَّلع على مقطع يوتيوب أو شاهد دروس لأحد الدعاة أو المُدَّعين!، والشيء بالشيء يُذكر، أعرف أناسًا حضروا كل مباريات مونديال كأس العالم لكرة القدم بالإضافة لتحديات الأندية، ويحفظون أسماء اللاعبين وأرقامهم، ولكن للأسف لا يعرفون كيف تُركل الكرة!!، ولذلك كثيرٌ من الناس يشاهدون محاضرات المشايخ لكنهم لا زالوا أجانب عن بيئة العلم فضلًا عن التخصص!!

إنَّ استسهال العلم الشرعي عند الكثيرين سببه تصورهم أنَّ العلم مسألةٌ واحدة أو بابٌ واحد، ثم اهرف بما لا تعرف، واهبد كما شئت!!، وهذا بعيدٌ كلَّ البعد عن حقيقة العلوم الشرعية، ولتتصور شيئا من ذلك إليك بعض أبواب الشريعة التي يلزم المتخصص أن يدرسها بعنايةٍ حتى يُؤهَّل للكلام في الدين، طبعًا مع ضرورة دخول العلم من بابه.

1- حفظ القرآن الكريم.

2- علم التجويد والقراءات والسند المتصل.

---

(1) انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض (184/1).

3- علم التفسير (تفسير النبي ﷺ وتفاسير الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وتفاسير المعاصرين، والتفسير الموضوعي، والتفسير الاجتماعي والفقهي واللغوي، وغريب القرآن ومفرداته، والإعجاز القرآني وغيره).

4- علوم القرآن (الناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، وأسباب النزول، وغير ذلك).

5- علوم اللغة العربية (النحو والصرف، والبلاغة، والشعر والعَروض، والبيان والبديع، وغيره) وعلاقتها بعلم التفسير والحديث.

6- علم الفقه (نشأة الفقه والمدارس الفقهية، والمتون الفقهية، ومعتمد المذاهب، والشروح، وعلم الاستدلال، وآيات وأحاديث الأحكام، وغير ذلك).

7- علم أصول الفقه (العام وألفاظ العموم، والخاص وأدوات التخصيص، والمتشابه والمحكم، والمجمل والمبين، وغيره).

8- علم القواعد الفقهية والاستدلال بها.

9- علم الإجماع (نشأته وضوابطه وأهميته وعلاقته بفهم الفتاوى وتنزيلها).

10- علم الحديث (علم الرجال، وعلم مصطلح الحديث، وعلم الجرح والتعديل، وعلم شرح الحديث، وعلم تدوين السنة النبوية، وعلم الأسانيد والتخريج، وعلل الحديث، ومختلف الحديث، وغريب الحديث، وغير ذلك).

11- علم التاريخ (وعلاقة ذلك بالفقه والفتوى والتفسير).

12- علم السيرة النبوية (وما يتعلق بها من التطبيق والتشريع).

13- علم المنطق والفلسفة (وما يتعلق به من الحجج العقلية والرد على المخالفين).

14- علم العقيدة (أركان الإسلام وتفاصيلها، والفرق الإسلامية، والمذاهب العقدية، والأديان

الأخرى).

15- علوم الاجتماع والسياسة والاقتصاد واتصالها بعلم الشريعة.

هذا عرضٌ سريع، ولم أُفصِّل وأُفرِّع أكثر في كثيرٍ من العلوم، وبالمختصر ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[المزمل: 5]، ثمَّ اعلم أنَّه بين هذه العلوم تشابكٌ كبيرٌ جدًا، والخطأ في مسألةٍ واحدة يتولَّد عنه أخطاءٌ وجناياتٌ كبيرة، وكذا الصواب في علم يفتح لك فُتوحات ومُغلَقات.

ماذا قرأتَ من هذه العلوم يا أخي؟!، ثم ماذا أتقنت؟!، قد يقضي طالب العلم عشر سنوات من عمره لإتقان عِلمٍ أو علمين، ويطلع على العلوم الأخرى اطلاعًا ثم يتكلم في الدين بحذرٍ شديد، وفي المقابل تجد البعض لأنه شاهَدَ مقطعًا لأحد المفكرين يريد أن يحشر أنفه في تفاصيل الشريعة أو يرى نفسه مؤهلًا لشرح النص الديني!، خذ هذا البيان من ابن القيم رحمه الله: «من أفتى النَّاسَ بمُجرَّد المنقول في الكتب على اختلاف عُرفهم وعَوائِدِهم وأزمنتهم وأمكنتهم وأحوالهم وقرائن أحوالهم فقد ضَلَّ وأضلَّ، وكانت جنايته على الدين أعظم من جناية مَنْ طبَّب الناس كلَّهم على اختلاف بلادهم وعوائدهم وأزمنتهم وطبائعهم بما في كتابٍ من كُتب الطبّ على أبدانهم، بل هذا الطبيب الجاهل، وهذا المفتي الجاهل أضرُّ على أديان الناس وأبدانهم والله المستعان»[(1)]، وقد ثبت في صحيح البخاري أنَّ النبي ﷺ قال: «مَا أَظُنُّ فُلَانًا وَفُلَانًا يَعْرِفَانِ مِنْ دِينِنَا شَيْئًا»[(2)]، وترجم عليه البخاري: (باب ما يجوز من الظن)، يعني أنَّ هذا ليس من ظن السوء، لأنَّ سوء الظن محلُّه الرجل السالمُ من التُّهمة، أمَّا المُتحدِّث في الدين بغير علمٍ فهو فاعلٌ لجِناية.

وعليه فإنَّ من خِفَّة العقل أن يكتب أحدهم على صفحته سؤالًا شرعيًّا ويطلب من المتابعين لصفحته على اختلاف مستوياتهم أن يُبينوا له الحكم الشرعيّ فيه أو وجهات نظرهم، ومن الجناية على الشريعة كذلك الكلام في الدين بغير علمٍ، أو الإفتاء بمنهجية (أظن) أو

(1) إعلام الموقعين عن رب العالمين (66/3).
(2) صحيح البخاري، حديث رقم: 6067.



(يمكن) أو (ربما).

ولذلك إذا طُرح أمامك سؤالٌ في تخصص الشريعة، وكنتَ لا تعلم جوابه فالسكوتُ عندئذٍ وقولك (لا أعلم)، هو الديانة والتعبد، والكلام بغير علمٍ هو جرأةٌ وجناية، وإذا سألك أحدٌ عن معلومةٍ في الدين أو حكمٍ من الأحكام المعلومة الظّاهرة المجمع عليها بين المسلمين كوجوب الصّلاة والصّيام والزّكاة وحرمة الزّنا والرّبا والخمر ونحو هذا، فعليك أن تجيبه ولا تكتم شيئاً تعلمه يقينًا، وما سوى ذلك فحوِّله على المتخصصين تسلم وتغنم.

والفتوى ليست مجرد معلومات، المسألة مَلَكَة وصناعة، والفقه أعسر بكثير ممّا يتصور البعض، فأغلبهم يلحن في الآية ويُحرِّف معناها ويخوض في تفسيرها ويخالف بفهمه السّقيم كل المذاهب والأئمّة، وتالله إنَّ البلاء بمثل هؤلاء أكبر من بلاء أهل التّوراة بأحبارهم وأهل الإنجيل برهبانهم.

وملاحظةٌ ختامية/ أنا لا زلتُ طالب علم ولستُ مُفتيًا، لكنَّي أغار على ديني وعلى تخصصي وأحبُّه، ومدار الأمر كلّه على التقوى والقَبول، وإنَّما العلم خشية الله، فاجعلنا اللهم ممن نخشاك ونتقيك حقَّ التقوى.





لفتاتٌ وتأمُّلات

أولُ رمضانٍ عاشه المسلمون

أول رمضانٍ صامه الصحابة مع رسول الله ﷺ كان في السنة الثانية من الهجرة، لم يكن رمضان مصابيح وقناديل وموائد، لكن كان رمضان تكاليف وجهاد وسواعد!!، ففي ذات السنة (2 هجري) وقعت غزوة بدر، وفُرضت الزكاة عليهم، وكذا زكاة الفطر، وفُرض القتال، وشُرع الأذان.

إلى ما قبل عشرين سنة من الآن لم يكن هناك انتشارٌ للإنترنت، ولم تكن مواقع التواصل موجودة، وكان رمضان يُستقبل بالعبادات والدروس والخشوع والأذكار.... تصوَّر رمضان بدون دراما ومسلسلات وفوازير وكاميرا خفية وصور وأسواق،كم سيكون جميلاً، أتمنى أن لا تأتي الأعوام القادمة بشيء أغرب!.



معركة شَقْحَبْ والمغول

كان الرعب الذي يرافق تحركات المغول يملأ صدور الناس، ويوهن من قواهم، فكلما سمع الناس تحركهم إلى بلدٍ فرُّوا من مواجهتهم، وقد عاثوا في الأرض فساداً، ودمَّروا المدن، وغيَّروا معالم الأرض، فَجَبُنَ الناس عن قتالهم ومواجهتهم واستسلموا لهم حتى أصبح الجماعة من المسلمين يستسلمون لمغوليٍ واحد فيذبحهم واحداً واحداً وهم لا يفعلون شيئاً، فتفطَّن بعض العلماء لذلك، فأخذ يُحرَّض الناس والأمراء على قتال المغول، ويُذكِّرهم بوعد الله بالمعية والنصر، يقول ابن كثير: «وكان شيخ الإسلام ابن

تيمية يحلف للأمراء والناس: إنكم في هذه الكرّة منصورون، فيقول له الأمراء: قل إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا، وكان يتأوّل في ذلك أشياء من كتاب الله، منها قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج: 60]»[1]، فنشبتْ بعد هذا التحريض والاستعداد من الناس والأمراء معركة شقحب على أبواب دمشق، بداية رمضان عام 702 هـ، بقيادة السلطان الناصر محمد بن قلاوون - سلطان المماليك على مصر وبلاد الشام-، وتقدَّم العلماء صفوف الناس في الجهاد، وانتهت المعركة بانتصارٍ ساحقٍ للمسلمين، وأنهت طموح المغول في السيطرة على بلاد الشام والتوسع في العالم الإسلامي.

قلتُ: دور العلماء في التحشيد وتقدُّم الصفوف لا بدَّ منه في كلِّ معركة تخوضها الأمة، ورحم الله زماناً كان العلماء فيه هم المجاهدون!، مصريٌّ يقاتل في دمشق!، وشاميٌّ يقاتل في بغداد!، هكذا كانوا يوم كانوا!، ولا زال الأمل بأمةٍ واحدة، فلا تنسوا أمتكم من دعائكم.



العلم والمُعلِّم

مرَّ علينا يوم المُعلِّم، وفي يوم المعلم أحبُّ أن أقول: إنَّ أفضل بيئةٍ تعليميةٍ في حياتي كانت مسجدي، تعلمتُ فيه القرآن والخشوع وآداب الكلام والصمت، والفقه والحديث ولغتنا الشريفة، وتعلمتُ فيه كيف أُحَصِّنُ نفسي فكرياً وأمنياً، وتعلمتُ فيه معنى الجهاد والإعداد، وتعلمتُ فيه كيف أبيع وأشتري، وتعلمتُ فيه كيف أتعامل مع الناس جميعاً...، ولا أحصي ما حصَّلتُه من المسجد!!.

(1) البداية والنهاية لابن كثير (23/14).



في يوم المعلم لا أنسى مُعلِّمي الذي كان يُقوِّم ألسنتنا بالقرآن، ويشكرنا إذا اجتهدنا، في يوم المعلم أتذكرُ جيداً كم مرة جلس لِيُعَلِّمَنا ويُبصِّرنا بأمور ديننا.

في يوم المعلم أقول: لقد حصَّلتُ من المسجد علوماً ما وجدتها في أفخم المدارس ولا أعرق الجامعات!، ولولا المساجد لما كان هناك رجالٌ ولا مجاهدون، ولَكُنَّا في حالٍ بئيس!!.

مراكز قرطبة الإسلامية وعلى رأسها مسجد قرطبة الذي كان يحتوي سبعاً وعشرين مدرسةً، ويرتاده يومياً أربعة آلاف عالمٍ وطالب علم كان مفخرةً للعلم، بل كان الأوربيون يأتون لمراكز قرطبة لطلب العلوم الدينية والدنيوية.

إنَّ البيئة العلمية الموجودة في المسجد من شأنها أن تنتج جيلاً عظيماً على مستوىً عالٍ من الديانة والثقافة، لكنَّ كثيرا من الناس ظنَّوا أنَّ التميز يكون في الدنيا والترف، فهُجرت مجالس العلم والنهضة وصار المسجد موضعاً للصلاة فحسب!.



أثرٌ عظيم

هناك أثرٌ واردٌ عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كلَّما قرأتُه اشتهيتُ إعادته، يقول فيه: «ثَلَاثَةٌ لَا أَقْدِرُ عَلَى مُكَافَأَتِهِمْ، وَرَابِعٌ لَا يُكَافِيهِ عَنِّي إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَمَّا الَّذِينَ لَا أَقْدِرُ عَلَى مُكَافَأَتِهِمْ: فَرَجُلٌ أَوْسَعَ لِي فِي مَجْلِسِهِ، وَرَجُلٌ سَقَانِي عَلَى ظَمَأٍ، وَرَجُلٌ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي الِاخْتِلَافِ عَلَى بَابِي، وَأَمَّا الرَّابِعُ الَّذِي لَا يُكَافِيهِ عَنِّي إِلَّا اللَّهُ، فَرَجُلٌ عَرَضَتْ لَهُ حَاجَةٌ فَظَلَّ سَاهِرًا مُتَفَكِّرًا بِمَنْ يُنْزِلُ حَاجَتَهُ، فَأَصْبَحَ فَرَآنِي مَوْضِعًا لِحَاجَتِهِ، فَهَذَا لَا يُكَافِيهِ عَنِّي إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ»(1)، سأُعلِّق على هذا الكلام بلغة بسيطة.

(1) مكارم الأخلاق للطبراني، ص 380.



(رجلٌ أوسع لي في مجلسه..) هذا الذي يقول لك في مجلس واسع: تعال اقعد جنبي، ويفسح لك، (ورجلٌ سقاني على ظمأ) وما أعظم أجر سقيا الماء للعطشى، وأدركنا في هذه الحرب قيمة شربة الماء وسقي العطشى، (ورجلٌ اغبرت قدماه في الاختلاف على بابي) سائلاً أو طالباً للعلم أو زائرا أو قاضيا لحاجة من حاجاتي،

والرابعة مذهلة من سيدنا ابن عباس (وَأَمَّا الرَّابِعُ الَّذِي لَا يُكَافِيهِ عَنِّي إِلَّا اللهُ، فَرَجُلٌ عَرَضَتْ لَهُ حَاجَةٌ فَظَلَّ سَاهِرًا مُتَفَكِّرًا بِمَنْ يُنْزِلُ حَاجَتَهُ فَأَصْبَحَ فَرَآنِي مَوْضِعًا لِحَاجَتِهِ) وهذا مكروبٌ نزل به أمرٌ أرهقه فبات ليلته يفكر فيمن يقصده، ثم رآني أهلاً لحاجته فطلب مني حلَّها، وما أسعدني إن وفقني الله لقضاء حاجته.



من صور النصر

أُخرج النبي ﷺ من بلده مكة، أحبِّ البلاد إليه، وطاردتْه قريش!!، ومع ذلك سمَّى الله هذا الإخراج نصراً، قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ [التوبة: 40]، وذلك لأنَّ العدو لم يُحقِّق ما كان يصبو إليه، وهو القضاء على شخص النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته، فكانت النتيجة بناء دولة الإسلام في المدينة، والتمكين للمسلمين، وهذا مكر الله بالكافر، قال الله ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: 30]، فقد يكون القتل نصراً للدعوة والداعية ولكن أكثر الناس لا يعلمون، قال سيد قطب رحمه الله: «وكم من شهيدٍ ما كان يملك أن ينصر عقيدته ودعوته ولو عاش ألف عام، كما نصرها باستشهاده، وما كان يملك



أن يُودع القلوب من المعاني الكبيرة، ويُحفِّز الألوف إلى الأعمال الكبيرة بخطبته مثل خطبته الأخيرة التي يكتبها بدمه، فتبقى حافزاً مُحرِّكاً للأبناء والأحفاد، وربما كانت حافزاً محركاً لخطى التاريخ كله مدى أجيال»[1].

رحم الله الشهداء، وشفى الجرحى، وعوَّضنا خيراً، وأخزى اليهود وأعوانهم.



نصيحةٌ في العبادة

لا تُشغل نفسك هل شعرتَ بلذة الصلاة أم لم تشعر؟!، هل بكيتَ في الدعاء أم لم تبكِ؟!، بل اشغل نفسك بمراقبة الله سبحانه وأنك في مقامك هذا تقوم له بالعبودية، وتتقرب له وتعظمه وتحبه وتحمده بكماله وإنعامه، وتشعر بعظمة كلامه وجماله، وهذه الأحوال المذكورة إنْ قامت بك فسيتبعها كلُّ شيءٍ بإذن الله، فالله تعالى مقصودك ومرادك، فلا تنشغل بالتوابع عنه، فالتابعُ تبعٌ لا يحتاج إلى أن تُكلِّف نفسك مشقة الوصول إليه وتنسى مقصودك.

ثم اعلم أنَّك إذا جرَّدتَ القصد له تعبداً، فيلزم أن تصبر لما يختاره لك، فقد تحبُّ الخشوع بلا كُلفة، فيختار لك عبودية المجاهدة، ويبتليك بالشواغل وفقد اللذة ونحوها، حتى تُجرِّد قصدك له وتصطبر لعبادته، ثم سيفيض عليك بلطفه ورحمته ولو بعد حين، فضلاً عما أخَّر لك من عظيم الأجر في الآخرة وهو خيرٌ وأبقى، فإن حقَّقت المقصود ولم تصل إلى اللذة فأنت على الطريق وعلى خير، وإن حصَّلت اللذة الشكلية وجوَّدتَ المظهر وأنت تعلم أن داخلك على خلاف ذلك، فما استفدت شيئاً، فاشتغل بما عليك تنجُ وتسعد، وكفى بالله ولياً ووكيلاً.

---

(1) في ظلال القرآن (384/5).



آيتان متتابعتان

يوجد في سورة التوبة آيتان عظيمتان متتابعتان يحسن أن يتوقف المسلم عندهما متفكّرًا، الأولى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: 111]، والثانية هي الآية التي تليها وهي قول الله ﷻ: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: 112].

فانظر أمرك وحالك، فإمَّا أن تكون من أهل الآية الأولى، أو تكون من أهل الآية الثانية، وهنيئا لمن وفَّقه الله فجمع بينهما.

اللهم ديانة ترضيك عنا وترضينا عنك.



في لحظات الدعاء

بعد سؤالكم حاجاتِكم وأمنياتكم الخاصّة، لا تَنسَوا جوامع الأدعية النبوية التي تسألون الله بها الخير كله، وتستعيذون بها من الشر كله، وأُمَّتَكُم ثم أُمَّتَكُم ثم أُمَّتَكُم، يقظتَها وعِزَّها ونَصرَها وتمكينَ الله لها، عُلماءَها، ومفكريها، ومجاهديها، وأسراها، ومرضاها، وأبناءَها، وبناتِها، وأجملوا ب «اللهمَّ ألهِمنَا رُشدنا».



قوَّة الإفلات

تَرْكُ بعض الذنوب والمعاصي يحتاج لمجاهدةٍ وشجاعة، يحتاج لقرارٍ جريء، يحتاج لنفسٍ متوكلةٍ على الله، ومن كان يُجيد الإفلات في عزِّ تعلقهُ فذلك هو الموفَّق والله، وهذا لا يكون إلا بصدق اللجوء إلى الله أن يثبتك وأن يربط على قلبك، وأن تترك لله موقناً أنَّ من ترك شيئاً لله عوَّضه الله خيراً منه، وأنَّ ما عند الله خيرٌ وأبقى.

اللهم أنت الملجأ والملاذ والسند والغَياث، اللهم لك الحمد على نورك وجمالك، من لنا غيرك؟!، ومن يُقيت ظمأ أنفسنا الواهنة بنوره إلا أنت يا مُقيت؟!، ومن يُقيل عثراتنا ويغفر العظيم والدقيق من ذنوبنا مع استغنائه عنا إلا أنت يا كريم؟!، نحن المساكين الذين لا حياة لهم إلا بك، اللهم (بك) أصبحنا، و(بك) أمسينا، و(بك) نحيا، و(بك) نموت، وإليك النشور.



فائدةٌ نفيسة

وعد الله المنفقين والمتصدقين في وجوه الخير بمضاعفة الأجر، قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: 11]، أمَّا المنفقون على الجهاد في سبيل الله فحالهم أعظم من ذلك، فقد وعدهم بمضاعفة الأجر إلى أضعافٍ كثيرة، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة: 244-245].

اجعلوا حظاً لهذه الفريضة الغالية في صدقاتكم.



ماذا أقدم لقضية فلسطين؟!

هل تسألني هذا السؤال وأنت في غرفة نومك، ألا فلنخجل قليلا، سيأتي الجيل الذي يقول لكم: أين كنتم عندما مات أبناء غزة جوعاً؟!، لِمَ لَمْ تُعينُوهم؟!، لماذا أغلقتم المعابر في وجه الجرحى والمرضى والصغار والحوامل، ومنعتم عنهم المساعدات؟!، جهِّزوا جواباً لهم...

ثم جهِّزوا جواباً لأسئلة يوم التناد، يوم يُنادى على المتخاذلين والمتواطئين﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر:92].

أمَّا إنْ سَألتَني وأنت تنوي الخير، فأقول لك: كم فعاليةً لنصرة رجال الله في غزة عقدتَ في بلدك أو حضرتها وحرَّضت الناس على الحضور؟!، هل حضرتَ فعاليتين ثم مللت؟!، وذلك أضعف الإيمان أن تُنظِّم فعاليات النصرة، فضلاً عن نشر الوعي، وجمع الصدقات وإرسالها، ومحاولة أذية العدو وإغاظته وضرب مصالحه بكل وسيلة.

وأخيراً اسأل نفسك: هل سأكونُ من شرار الخلق الذين يذل الإسلام في عهدهم؟!.



اقتحاماتٌ قذرة

اليوم يقتحم المسجد الأقصى ألف إرهابيٍ حقير، ويسبون النبي ﷺ في ساحات الأقصى، ويرفعون أعلام كيانهم الغاصب، ويرقصون بها على مرأىً ومسمعٍ من أمةٍ عظيمةٍ تعدادها يفوق المليارين...

والله ما تجرؤوا على ذلك إلا بعد أن خُذلت غزة، واستفرد بها الأنجاس، فقد كانت غزة في سنواتٍ سابقة تُهدِّد وتقصف بالصواريخ من يتجاوز، وتوقفهم عند حَدِّهم.



لا أدري كيف يُقبَل اقتحام وتدنيس الأقصى هكذا عند أصحاب الفطرة السليمة والنخوة الإسلامية؟!، ألا قبحت وجوهٌ ترضى أن تُدنس المقدسات في عهدها؟!، هل نحن في زمن الجيل العربي والإسلامي الذي ستُهدم المقدسات في حياتهم وهم يتفرجون؟!، هل سيتحركون لأجل الأقصى ولأجل أنفسهم لا لأجل حماس وغزة؟!، المصيبة ما زال البعض يقول: حماس هي من استفزت إسرائيل بالسابع من أكتوبر، ويَغُضُّونَ الطَرفَ عن كل أنواع الإجرام السابق واللاحق من الصهاينة، ألا بؤساً وشؤماً وعاراً على السفلة والمتخاذلين.

كلُّ هذا الفلس والعجز بينما ما زالت غزة تقوم بواجبها الذي أمرها الله به، ويكأن نصرة المسجد الأقصى واجبٌ على أهل غزة فقط!!

أيُقتل السفير في واشنطن بينما ينعم الصهاينة بالأمن في بلاد المسلمين واليهود يعيثون في الأقصى فساداً؟!.

المهم يا مسلمون: إذا شاهدتم ما جرى في المسجد الأقصى ومُلئت قلوبكم كراهيةً للصهاينة، فتذكَّروا من طبَّع معهم، تذكَّروا من يصفُ صداقتهم بالحلف والتعاون ضد الإرهاب، بل اجعلوا جزءاً من الكراهية في قلوبكم لهم، وشطر الدعاء عليهم.





فقهٌ عجيب

تفاجأتُ بكثيرٍ من أدعياء العلم وأنصاف المتعلمين يعتقدون أنَّ الجهاد ضرورةٌ في زمن القوة فقط، ويُنَظِّرون لهذه الفكرة، ويؤلفون كتباً في ذلك... ووددتُ لو صرختُ فيهم قائلاً: الجهاد أوجب في زمن الضعف منه في زمن القوة ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [الحديد: 14]، وأصرح دليلٍ على ذلك هو أول آيةٍ نزلتْ في الجهاد ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: 39-40]، فهؤلاءِ بِنَصِّ الآيةِ ضعفاء مظلومون نازحون، ولذلك أمرهم الله وأذن لهم بالجهاد.



بقاء جذوة الجهاد

ظلَّ المسلمون يقاتلون الصليبيين سبعاً وأربعين سنةً بالجماعات الصغيرة والشكل المتناثر قبل بدايةِ التوحد تحت آل زنكي.

وهكذا حالنا الآن جماعاتٌ حارثةٌ تقاتل الباطل هنا وهناك، وستمتد الأمور هكذا حتى قيامةٍ للأمةِ تتوحَّد فيها تحت رايةٍ واحدة تقاتل الباطل وتُزهقه... لذا هذه العصابات والعصيبات هي ضمان بقاء جذوة الجهاد، وهي طريق التوحد والفتح المبين، فلا تُقلِّلوا من شأنها وهمِّتها، وفي ظل هذا المعنى نفهم ما رواه الإمام مسلم بسنده عن النبي ﷺ أنه قال: (عُصَيْبَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَفْتَتِحُونَ الْبَيْتَ الأَبْيَضَ)[1].

(1) صحيح مسلم، حديث رقم 1822.



ما أقبح العوج:

مقولة: «للبيت رب يحميه»!، هي مقولة المشركين قبل بعثة النبي محمد ﷺ، أما بعد إرسال محمد ﷺ وفرض الجهاد والدفاع عن الحق، صارت هنا كأمة مكلفة بالدفاع عن المقدسات، وإذا لم تقم بواجبها سيستبدلها الله ﷻ، ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: 38].

اللهم عجِّل بهلاك الظالمين، اللهم كلَّ من تخاذل عن نصرة الأقصى فاستبدله بقوم آخرين تُحبهم ويحبونك.



سُنَّة التمايز:

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: 179]، هذه الأحداث الكبرى التي تحصل في حياة الأمة تميز الصفوف، ولسنا نجزع من المحنة وشدَّتِها، لأنَّها ستصنّع الأجيال، وتَميزالخبيث من الطيب، وقل إنما الغيب لله فانتظروا...





ما استطعتم من قوة

يظنُّ كثيرٌ من الناس أنَّ معنى الاستطاعة في قول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:60]، هو أيُّ شيءٍ تقاتل به العدو، وقد يكون هذا المعنى مراداً في حال دفع العدو الصائل وعدم القدرة على امتلاك ما هو أكبر وأقوى، ولكنَّ المعنى المراد هو بذل الجهد واستفراغ الوسع في امتلاك كل أنواع القوة التي تقاتل وترهب بها العدو، ولو ثبت أنَّ المسلمين قادرون على صُنع سلاحٍ مَا، ثم تكاسلوا عن ذلك لأثِم جميع المسلمين، بدءًا من بائع الفلافل وانتهاءً بوزير الطاقة وهيئة البحث العلمي، ولا أعلم في هذا خلافاً.



افتراضٌ خاطئ:

هل أنت مسلم؟، نعم، إذن هل يلزم أن تكون المستفيد الأول من كل الخيرات...؟!، نعم لأنني مسلم، أخبرني إذن: ماذا استفادت عائلة عمار بن ياسر دنيوياً من اعتناق الإسلام؟!، لقد أخذ منهم ولم يُقدم لهم، بل لقد كانوا أول من يُقتل في الإسلام...، لكنَّهم فازوا فوزاً عظيماً في الآخرة، فكانوا أول من نال الشهادة في أمة محمد ﷺ.

تنبَّه دائماً لهذه المعاني حتى لا تسقط!.



جعلها لك أنت:

لمَّا نزلت آية ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156]، قال إبليس: أنا من الشيء، فنزعها الله من إبليس وقال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 156]، فقالت اليهود والنصارى: نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات ربنا، فنزعها الله من اليهود والنصارى فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: 156]، فتأمَّل كيف نزعها الله عن إبليس وعن اليهود والنصارى، وجعل الرحمة والمغفرة خاصة بأُمّة محمد[1]، واستشعر هذه النعمة واحمد ربك عليها، وأدِّ حقَّ شكرها.



أولويات التوبة:

عندما يتحدث الوعاظ عن التوبة يبدأ جلد الشباب على نظرةٍ حرام، والتذكير بالتوبة من محادثةٍ قديمةٍ مع فتاة... إلى آخره، ويقضي الشاب شبابه وهو مستنزفٌ لا هَمَّ له ولا جهد إلا في التخلص من تسلط الشهوة وعاداته الشهوانية، ظاناً بخطابهم هذا أنَّه إنْ تخلَّص من ذلك فقد تخلص من أكبر الكبائر، وأنَّه إنْ فعل ذلك فقد حقَّق التوبة والعبودية، وأدى وظيفته في الحياة وبلغ المجد!!!!، ولَعَمري هذه غفلةٌ عن المطالب العالية، وخللٌ في فهم التوبة، وإشغالٌ للشباب بالوسائل عن الغايات.

التوبة والاستغفار وظيفة العمر يا أخي، وإنَّ توبتك من خذلان أمتك، والقعود عن الإعداد والجهاد، وتخلفك عن نصرة الإسلام، وترك تحريض المؤمنين، أوجب ألف مرةٍ من

(1) انظر: تفسير الطبري (157/13).

توبتك من نظرةٍ محرمة أو سُبَّةٍ تفحَّشتَ بها أو لُفافةٍ دخَّنتَها.

ولا يفهم من كلامي هذا الدعوة للنظر الحرام وتهوين المعاصي وما شابه، بل الحديث عن مراتب الذنوب وأولويات المرحلة، ولا شكَّ أنَّ النظر الحرام مُفسدٌ للطَّويَّة، ولا بُدَّ من التوبة منه، إلا أنَّ التوبة من القعود عن الجهاد والنصرة أوجب.



من أجمل المشاعر:

رغم صخب الحياة ووحشتها إلا أنه يوجد مشاعر جميلة يشعر بها الإنسان في بعض المواقف، ومن أجمل المشاعر عندي:

1- لحظةُ رضاً، أَكسبُ فيها دعوةً من والدي الكريمين، فدعاؤهما لا عِدلَ له!.

2- لحظةُ مطرٍ بعد قيام ليلة طويلة تدعو فيها وترجو الله أن يتقبل!.

3- عندما أرى شاباً قد التزم جديداً يدخل المسجد ويصلي ويطيل السجود، والله أفرح فرحاً شديداً.

4- عندما يقصدني أحدهم في قضاء حاجته، فيمكنني الله من قضائها له.





يا لها من كرامة

كرامةٌ عظيمةٌ لا تُوصف والله، بأن يشرِّفنا الله بتوحيده وذكره والثناء عليه!، بأن جعلنا من عباده وممن يركع ويسجد له، وغيرُنا يسجدُ لحجرٍ وشجرٍ وبشرٍ وبقر، فلك الحمد يا ربنا أن اصطفيتنا لنكون من أمة حبيبك محمد ﷺ ومن أتباعه، وممن يُدافعون عن دينك وعن المقدسات.

تقبل الله منا ومنكم أحبتي، واللهم اجعل أعمالنا خالصةً لوجهك الكريم، ولا تجعل لأحدٍ فيها حظاً ولا نصيباً، اللهم طهِّرنا من الانتصار لأنفسنا، ومن حُبِّ الشهرة وحُبِّ المدح.... اللهم إن كان ما أكتبه خيراً فانفع به، وإن كان غير ذلك فاهدني وأصلحني وتُب عليّ، إنَّك بكلِّ جميلٍ كفيل، وأنت حسبنا ونعم الوكيل، اللهم إني أضعف عبادك، شرَّفتني بمعرفتك، وأذنت لي بذكرك، يا ربِّ تولَّني فيمن توليت.





معارك الشمال المتتابعة

مرَّ أكثر من عامٍ على يوم العبور العظيم، والعدو لا زال يُفكِّر من منطلق الحقد والانتقام، ولم يُشبع رغبته خمسون ألف شهيدٍ، ومئةُ ألفٍ من الإصابات والمفقودين، فقرَّر أن يبدأ مرحلةً جديدة خلاصتها المزيد من القتل والتهجير...، وأحسب أنَّ قادة العدو كانوا يلتمسون أيَّ مخطط ولو قُدِّم لهم من بائع فجلٍ على قارعة الطريق، لأنَّ المُنتقم لا يُفكِّر بعقله، بل بمنطق الانتقام فقط.

بدأوا بالأحزمة النارية في شمال غزة شرقاً وغرباً، تمهيداً لدخول العدو من محورين، ورافق ذلك إلقاء مناشير لإخلاء الشمال بالكامل، والناس بالكاد يحتملون الحياة أصلاً، ومع خطط الإخلاء ترى الموت في حدقات العيون، فنزح الناس تحت القصف من شمال غزة إلى غرب غزة، والقصف والدمار يزداد، ولم يبق في شمال القطاع سوى ألفي شخص فقط!!!

ومع اشتداد كيد العدو في تطبيق خطة الجنرالات في شمال غزة ومحاولة إفراغه من أهله، كان للعلماء وقادة الجهاد دورٌ بارزٌ في الثبات، فقد أصدر شيخي د.رامي الدالي -وفقه الله وحفظه- ورقةً في تثبيت المجاهدين في شمال غزة، ولقد كان لها التأثير الكبير على قرار الثبات، وأذكر أنني تلقفتها وصبغتها بروحي وقلبي، ثم نقلتها للمجاهدين في مدينة بيت حانون، وقد يسَّر الله أن أطوف بها على الزمر المجاهدة، نُسمعهم رسائلَ القرآن وآيات الثبات، ولا أخفيك أنَّ المرحلة كانت قاسية جداً، فأنت في مكان معزول وليس حولك إلا الموت والدمار، ولا يدري بك أحد، والعدو يقصفنا كلَّ يوم بأعتى الصواريخ وآخر ما توصلت له تكنولوجيا الحرب.

ومن المبشرات التي ذكرها شيخنا -وفقه الله- في تثبيته للمجاهدين وأن ثغر الشمال لن يفرغ من أهله ومجاهديه، قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ

﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [البقرة: 114]، فالعدو كان يتحدث عن الاستيطان في شمال غزة، والاستيطان هو أن تتخذ المكان وطناً، بمعنى أن تأمن فيه، وقد كان اليهود قد هدَّموا وخربوا كلَّ مساجدنا، ولم يُبقوا مسجداً واحداً في شمال غزة!!، فرسالة الآية حينئذٍ: كلُّ أرضٍ خرَّبتم مساجدها يا بني يهود فليس لكم فيها وطنٌ ولا أمان!، ربما تدخلونها وتعبرونها، لكن وأنتم خائفين مذعورين، لأنكم هدمتم بيوت الله وآذيتم عمّارَها[1].

أذكر أنَّ إحدى الزمر القتالية كنتُ قد ذكرتُ لهم هذه الآية وشرحتها رابطاً لها بالواقع، فقال لي أحدهم: بالله يا شيخ اقرأها علي مرة أخرى، فقرأتُها وأكَّدتُ على المعنى الذي فيها، فقال: وكأني أول مرة أسمعها وأفهمها، وقد كان متكئاً متنفخاً من الهمّ، فلما سمع هذه البشرى صارت ضحكته من الأذن إلى الأذن، فقلت له: شمال غزة ليس لليهود فيه وطنٌ بإذن الله!

طبعاً أنْ تَطرق قلبَك بشرى مثل هذه في أوضاع كتلك التي كانت في ذلك الوقت، شيءٌ يبعث في القلب يقيناً، لأنَّ ما يسميه اليهود بحاجز مفلاسيم الذي يفصل الشمال عن غزة كان قد ضُرب من البحر حتى شارع صلاح الدين، والحديث يزداد عن تحويل الشمال إلى منطقةٍ عازلة، فسبحان من ردَّ الذين كفروا بغيظهم...

لكن لا أُخفيك سراً، حتى البشريات تحتاج قلوباً موقنةً بالله، فقد طرقتْ هذه البشريات بعض القلوب، فلم تُحرِّك فيها شيئاً، لذلك رسالةٌ لكلِّ مسلم، احرص على زيادة يقينك، حتى إذا ما جاءتك رسائلُ القرآن كنتَ جاهزاً لها، أمَّا أن تظل حالماً بالمجد وأنت تتعامل مع آيات الكتاب كأنها وجهات نظر، فلو رأيتَ الحقَّ عين اليقين لن تنتفع، صَدِّقني!!، فلقد حدَّثتنا سورة التوبة

(1) وهذه موعظة الشهيد للمجاهدين في أنفاق العز حول هذه الفكرة:
https://drive.google.com/file/d/1mFQvTgphS4FggVgC6uXXgMSizyFVc1TJ/view?usp=sharing



عن قومٍ رأوا رسول الله ﷺ وعاشوا معه وسمعوا منه، ولكنهم كانوا على شكٍ بالمنهج وضعفٍ في اليقين، فصار الواحد منهم يقول متردداً: هل تأذن لنا بالخروج للجهاد؟!، هل ربما نصلح لذلك؟!، فنزلت الكاشفة تقول: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: 45].

فإن قلتَ لي كيف أزيد يقيني؟!، فأقول لك: أولاً بالتعامل مع الوحي على أنَّه زادٌ واحتياجٌ دائمٌ، لا مظلةٌ تؤوي إليها عند الحاجة، فلم يكن في أيدي المجاهدين عندنا شيءٌ كبير من عتاد الدنيا، لكنهم كانوا ربانيين موقنين أشدَّ اليقين بمعية الله، وبالألم والحزن الذي يُخفيه جنود العدو، رأينا العجز في جنديٍّ مدجج بكلِّ القدرات، يحمل سلاحاً متطوراً ويدخل البيت ليُؤمِّنَه ويتأكد من عدم وجود مقاومين بداخله، فيُلقي سلاحه ويقعد واضعاً رأسه بين يديه، وكأنه يسبُّ عمله وشقاءه، رأينا هذا المشهدحقيقةً في جنديٍ يدخل إلى منزلٍ في شارع دِمْرَة ببيت حانون، وهو يحمل سلاح (رشاش النيجف)، فألقى سلاحه، وجلس على جنبٍ، وكأنَّ الأرض قد ضاقت به، فسبحانك اللهمَّ لا باسط لما قبضت، ولا قابض لما بسطت.

باليقين كنَّا نرى الرعب ينتهش قلوبهم بفضل الله، لكنَّ أهل الشك والريبالمنبطحين كانوا يرون العدو كبيراً قوياً شامخاً بأنفه، وهذا هو الفرق....، نحن لا نراهم لأنَّ الله قلَّلهم في عيوننا، وغيرُنا يحسبهم يملكون خزائن السماوات والأرض.

اليقين يجعلك تخوض المعارك بمددٍ من وحيٍ شريف، وحسب أعلام النبوة، والنتيجة أنك لا تخطئ السير إلى الله بعون الله.

وأنصحك ثانياً: اصحب أهل اليقين، وخالطهم، ولا تعدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا، اليقينُ سيملأ قلبك إنْ جاورتَ مجاهداً يستعين بالله، إذا استيقظ من نومه قال لك:



صباح الرضا.. صباح اليقين، لا يَرَيَنَّ اللهُ اليوم منكم إلا شكرًا وصبرًا، إنْ أخَّر عنَّا الفرج فلحكمة، وإنْ عجَّل لنا ما نحبُّ فبفضلٍ ورحمة، وكلا الحالين خير، والحمد لله رب العالمين.

ومن المبشرات التي ذكرها أيضاً شيخنا د. رامي الدالي -وفقه الله- في تثبيته للمجاهدين أنَّ هذه الظروف فرصةٌ لتحقيق الإخلاص وتكميله، فها قد جاءكم الخفاء، وها قد جاءتكم أيام الصبر والانقطاع عن الناس بالكلية، هذه عزلة المجاهدين، وزهد العُبَّاد، وليالي غار حراء، وجهادٌ لا شبهة فيه، وغربة الغرباء، وصحبة المخلصين.

إنَّ من عجائب الإخلاص أن تسعى لأجل الله وتخفي عملك، فتجد أنَّ الله قد أعلى ذكرك وجعل لك لسان صدقٍ في الآخرين، والشيء بالشيء يُذكر فقد سطَّر شيخنا الشيخ محمد محمد الأسطل -حفظه الله ورعاه- في كتابه الماتع (سراج الغرباء) فصلاً شيقاً بعنوان (كلُّ سِرٍّ تُخفيه فإنَّ الله سَيُبديه) فارجع إليه ففيه نفعٌ كبير!

وفي ختام المجلس قلتُ لأحد المجاهدين: استعرض أمامك كلَّ الخيارات، فلن تجد إلا الثبات، قال لي: لماذا؟!، فقلت له: لأنَّه هو الخيار الوحيد الذي يُرضي الله في حالنا هذا،ثم في الآخرة ينادي منادٍ فيقول: أين الساهرة عيونهم في سبيل الله؟!، فيقوم الصادقون للإكرام، فسكتَ هُنيهة، ثم تنهَّد وقال: اللهم لك الحمد، رضينا يا رب.





معارك بيت حانون

دخل العدو إلى بيت حانون مرةً بعد مرةً، ولكنْ هذه المرة دخل بعمليةٍ بريةٍ قاسية، وكالعادة بدأ بالقصف العنيف جداً، وخاصةً بالحزامات النارية الضخمة، مع أنَّ العدو كان قد مكث في بيت حانون قبل ذلك تسعين يوماً، ولكنه كلما أعاد دخولها يُمهِّد بالقصف الجنوني وكأنها المرة الأولى.

كان الوضع حينها ليس بالهين، فغالب البنايات مُهدَّمة، والمناطق مكشوفة بالكامل، ومع ذلك فلقد أعدَّ المجاهدون إعداداً عظيماً بفضل الله، فلم يتركوا شارعاً إلا ونصبوا فيه كاميرا وزرعوا فيه عبوة أرضية، وهذا لم يكن جهد يومٍ أو شهر، بل هو نتاج إعدادٍ متواصلٍ لمدة عشرة أشهر، ولو سألتني ماذا أعددتم في عشرة أشهر؟!، فإليك بعضٌ من الجهد المبذول، لتتخيل كيف كان يفكر رجال الله في الميدان.

بينما كان الجميع ينتظر الهدنة ووقف الحرب، كان القرار أنَّنَا سنستمر في الإعداد والتجهيز للمعركة، فإنْ توقفت الحرب فقد كُفينا، وإن استمرتْ فقد أعددنا للعدو ما يسوؤه، وسنقاتله ونذيقه الويل بإذن الله...

ومن أعظم وأصعب الإعداد في ذلك الوقت كان إعادة ترميم الأنفاق، لتكون صالحةً للمعايشة والمناورة، وهذا والله عملٌ شاااقٌ جداً، لأنه يريد جهداً مضاعفاً، بدءاً بحفر مكانٍ مقصوفٍ، ثم نقبٍ تحت الأرض بأبسط الأدوات، لترميم ممرٍ بديلٍ عن الممر الذي قُصف، وما يصحب ذلك من جهدٍ وتعبٍ وآلام، ولو أنجزتْ العقدة القتالية المكونة من عشرة شباب متراً واحداً في اليوم، فهذا والله إنجازٌ كبير!.



أثناء العمل والحفر فرَغَتْ وانتهت أقواس الباطون وأعمدته المستعملة في تثبيت جانبي وسقف النفق، فاستعملنا الحديد ففرغ أيضاً، فاضطررنا لجمع الأخشاب من البيوت المقصوفة وترميم الأنفاق بالأخشاب[1].

هل يُصدِّق المسلم العامل لدينه أنَّ عشرةً من الرجال كانوا يقضون يوماً كاملاً في حفر مترٍ واحدٍ تحت الأرض؟!، ماذا سيفعل هذا المتر؟!، لم يؤثر هذا المتر على عروش الظالمين حينها، لكن كن على يقين أنَّ المتر الذي تنجزه اليوم سببٌ في هوي وسقوط أنظمة الطغيان.

استمررنا في العمل بهمةٍ وصبرٍ ومصابرة ويقينٍ بالله ﷻ، وقمنا بإعادة تجهيز شبكة المياه والكهرباء تحت الأرض، وقد استشهد بضعةٌ من الرجال أثناء الحفر ومد خطوط المياه والكهرباء، وآخرون بُترت أطرافهم، وبعض من كانوا معنا استشهدوا بعد ذلك، ولم يروا لحظات الاشتباك.

لو تعاملتَ مع هذا الحدث تعاملاً استهلاكياً مادياً ستقول: هل ترضى أيها المسلم العامل أن تُبتر يدك لأجل مد سلك كهرباء أو خط مياه؟!، لكن بمنظور الآخرة نقول: أينما أرادني الله وأرادني الواجب كنتُ جاهزاً لسدِّ الثغر، وكلُّ تضحيةٍ لا تضيع عند الله وسألقى ثوابها في الآخرة.

قمنا بتجهيز شبكة كاميرات بحمد الله، وكنا نراقب من خلالها شوارع البلدة، بل ونراقب من خلالها شوارع وبنايات مدينة (اسديروت) المحتلة المحاذية لبيت حانون بكل أريحية، وقد جُهِّزتْ هذه الشبكة بعد عناءٍ طويل وتفاصيلٍ كثيرة لا يتسع المقام لذكرها، وقد قُصفت هذه الشبكة أكثر من مرة، وفي كل مرةٍ يعود المجاهدون ويصلحونها بعد كل قصفٍ بالطيران

(1) وهذه صورة للشهيد في أحد هذه الأنفاق:
https://drive.google.com/file/d/1mFQvTgphS4FggVgC6uXXgMSizyFVc1TJ/view?usp=sharing



الحربي، وهنا وصيةٌ لكلِّ من له درايةٌ بهذا العلم (التصوير والكاميرات)، أقول له: إنْ لم تُحدِّثْك نفسُك بإعانة المجاهدين في هذا الباب فعلمك يضر ولا ينفع!.

قمنا بحمد الله بتجهيز العبوات في الممرات الإجبارية والمناطق المفتوحة والبيوت التي يُتوقع استعمالها من العدو، وهذا جهدٌ يحتاج لأسابيع بل أشهر، لأنَّها ليست عبوةٌ أو عبوتان!!، بل ربما مائتي عبوة كنا قد جهَّزناها قبل دخول العدو، وكلُّ عبوةٍ تحتاج حفراً في الأرض بالأيدي، وتمويهاً وتجهيزاً ومساراً لسلك التفجير، وفحصاً للصاعق، إلى غير ذلك من التفاصيل!!.

من أين لنا بهذا العدد من العبوات، ونحن في حربٍ استنزافية منذ أكثر من عامٍ ونيِّف؟!، فهذا العدد يحتاج إلى كميات كبيرة من المواد المتفجرة، وورشات تصنيع، وعِلمٍ وجُهدٍ كبير يُبذل في صناعة العبوات، ولكن الكريم الفتَّاح عندما يفتح على عباده يُدهشهم، حيث كُلِّف مجموعةٌ من رجالنا بجمع مخلفات العدو (قنابل مسقطة وقذائف لم تنفجر)، وبعضها كان بأوزان ثقيلة، وتمَّ تجهيز مكانٍ قريبٍ من تحشدات العدو، لا يبعد عنهم سوى مسافة صغيرة، وتم تجهيزه كمصنعٍ لتفريغ المادة المتفجرة من الصواريخ والقذائف غير المنفجرة، وتجهيز قوالب لسكب المادة المتفجرة، وكنا علاوةً على ذلك نجمع أسياخ الحديد من البيوت المقصوفة، ونقصها بمقصٍ يدوي على شكل شظايا لا يتجاوز طولها واحد سنتيمتر، ونضعها مع المادة المتفجرة، وكل هذا التجهيز بجهودٍ يدوية دون استخدام أي ماكينات، ولك أن تتخيل قدر الجهد المبذول في ذلك، وبعد كل هذه الخطوات يتم تجهيز العبوة ونَصبُها ومتابعتها من قبل رجال الله.

كان الرجال ينطلقون صباحاً لمهامهم، هذا مطلوبٌ منه قص دلوٍ كبيرٍ من أسياخ الحديد، وهذا مطلوبٌ منه نقلها من مكان القص إلى مكان التصنيع، وثالثٌ يطبخ المواد المتفجرة بعناية ومتابعة، ورابعٌ يجهز القوالب للصبِّ، وخامسٌ يجهز الصواعق، وهكذا، وبعد تجهيز كل خلطة نأخذ عبوةً ونُجرِّبها في مكانٍ قريب من الحدود، ويتم تفجيرها ومعرفة المميزات والعيوب، ويتم الاعتماد أو التعديل.

هل يُصدِّق أحدٌ أنَّ العدو بكلِّ كاميراته والتكنولوجيا التي يملكها لم يكن يدري شيئاً عن كل هذا؟!، نعم، عنايةُ الله فوقَ كلِّ شيءٍ.

عبواتٌ كثيرة جُهِّزتْ في ذلك المكان المبارك، بعضُها فُجِّر في العدو وقتل منهم بحمد الله، وبعضها، وبعضها بقي مخزوناً ليومٍ آخرٍ مع أعداء الله.

الطريقة التي تَعلَّم بها المجاهدون مع طول أمد الحرب، هي التعلم بالصدمة، فلم يكن الكثير منا قبل الحرب يحسن صناعة العبوات، فهذا تخصصٌ عسكريٌّ دقيق، وله أناسٌ خواص يُفرزون عليه، ولكن الظروف ألجأتنا وأجبرتنا بحمد الله أن يدخل الكثيرون في هذا المجال، وأن نُكوِّن فرقاً من مهندسي العبوات.

ومما كان يُبذل فيه الجهد أيضاً تأمين الطعام ونقله وتخزينه استعداداً لساعات اللقاء ويومٍ ذي مسغبة، بل لا تستغرب إن قلتُ لك: لقد قُمنا بزراعة بعض الأراضي ونحن في الكمائن، لتكون زاداً لنا وقت الحاجة، وأذكر أنَّ توفير الطعام ونقله وتخزينه تعبٌ يَهدُّ الظهور والله، لأننا كنا نجلبه من أماكن بعيدة ونحمله على ظهورنا فوق الركام والبيوت المقصوفة، ثم ننزل به تحت الأرض مسافاتٍ طويلة، فترى الرجل الشديد عندما يصل مكان وضع الطعام يُلقي بحِمله ثم يستلقي على ظهر هو هو يقول: يااا رب!.



وختاماً: اعلم أنَّ السماء لن تمطر رزقاً، والكرامات لا تأتي للنائمين، ولا لأنك تُصلي وتذكر الله، بل لا بدَّ أن تتحرك وأن تبذل السبب، الكرامات والتوفيق والعون يأتي لمن جاهدوا وتحرّكوا، تأتي للذين يقفون بهمَّةٍ على أرجلهم ويتحركون متوكلين على ربهم ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت:69].



تجهيز رشقاتٍ صاروخية

كان لايزال بحوزة المجاهدين في منطقتنا عشرات الصواريخ، منها ما جُرِّف، ومنها ما لم ينتبه العدو لتواجدها، فقام المجاهدون بإعادة ترميمها وتوجيهها وتفعيلها، وأصبحتْ جاهزةً للإطلاق، لكنَّ القيادة الفقيهة اشترطتْ ألا تُطلق الصواريخ والناس في البلدة، لكن إذا تقدم العدو وهُجِّر الناس وصارتْ البلد فارغةً فسنقوم بإطلاقها.

فكانت فاتحة هذه المنصات منصة صواريخ قَصفتْ مستوطنات العدو في مدينة القدس المحتلة في يناير 2025م، وهذه المنصة جُهِّزتْ بعد عام 2014م، وهي من بصمات الشهيد المجاهد: محمد أكرم شبات -تقبله الله-، وظلَّت هذه الرشقة في مربضها حتى جاءت معركة طوفان الأقصى، وقد صال العدو وجال في المنطقة في الدخول الأول لبيت حانون، وبقي في المكان الذي فيه الرشقة الصاروخية تسعين يوماً، لكنه لم يتنبه لها!!، فجاء الإخوة المختصون في سلاح المدفعية وأصلحوا المكان الخاص بالرشقة الصاروخية، واستمر العمل في إصلاحها أسبوعاً كاملاً، علماً بأنَّ المنطقة حدودية، وكان الطيران بكل أنواعه لا يُفارق الأجواء، فجزاهم الله خيراً وأحسن إليهم، وقد سارَّني أحد الإخوة بأنَّ العمل فيه مخاطرة، فقلت له: لا يخلو عملٌ من مخاطرة، وما دام العمل فيه اجتماعٌ فاستعن بالله ولا تعجز، والأمة التي تطلب الموت تحسن صياغة الحياة، ولم يُصب أحدٌ من الإخوة بأيِّ أذىً بفضل الله، وقد أُطلقتْ هذه الرشقة من بين الآليات ومن حول جنود العدو، فكانت صفعةً كبيرةً لهم، وتحطيماً لمعنوياتهم إثر دخولهم!.

كما وجهَّز الإخوة رشقاتٍ كثيرة غيرها، أُطلق بعضها خلال جولة الدخول الأخير للبلدة، وخرَّب العدو بعضها -خرب الله ديارهم-، وبقي بعضُها في مرابضها تنتظر إشارة الإطلاق.



وهنا أحبُّ أن أُشير إلى فقه المجاهدين في إطلاق الصواريخ!!، حيث يُنُظِّر علينا بعض المشايخ بأنَّ قيادة المقاومة سفهاء، يطلقون الصواريخ من وسط زحام الناس، وهذه والله تهمةٌ وافتراءٌ على رجال الله المجاهدين الفقهاء!!، فمن له خبرةٌ في الميدان يعلم أنَّ الصواريخ تُعدُّ مسبقاً قبل الحرب، ولا يتمُّ تربيضها في الأرض إلا بعد إذن صاحب المكان، ويتفقون على أنَّ الرشقة لن تطلق إلا في حال فراغ المنطقة من السكان، وهذا القرار معمولٌ به منذ عام 2012م.

قد تَحْدُثْ بعض الحالات الفردية التي لا تتبع لقيادة المقاومة بأن يقوم بعض الشباب المتحمسين بإطلاق الصواريخ بالقرب من المدنيين، وهذا أمرٌ نادرٌ وترفضه قيادة المقاومة، بل لقد كُلّف عندنا ثلةٌ من المجاهدين بتفكيك رشقةٍ صاروخيةٍ لأنَّها نُصبت بالقرب من المدنيين، بل وهُدِّد بعض الشباب المتحمسين من قبل قيادة المجاهدين عندنا بسبب سلوكه الفردي، وهذه المواقف حدثتْ أمامي أكثر من مرة في حرب طوفان الأقصى.

وفي مرةٍ من المرات همَّ المجاهدون بالإغارة على موقعٍ مستحدثٍ للعدو في بيت حانون، وكان لا يزال في البلد بضع عائلات، فقام الأخ المكلف بإدارة العملية بإرسال شابٍ إلى منازل المواطنين في المنطقة منزلاً منزلاً ليبلغهم بضرورة التحرك من المنطقة، لأنَّ وجودهم يشكل خطراً كبيراً عليهم من ردات فعل العدو الجبان، مع أنهم بعيدون عن مسرح العملية أكثر من خمسة كيلو مترات، لكنَّ الشاهد أنَّ هذا هو السلوك الغالب في تعامل رجال الله مع المدنيين.

فهل يُقبل بعد ذلك أن يخرج علينا عالمٌ ليتَّهم المجاهدين بأنهم يُطلقون الصواريخ من بين الناس؟!، علماً بأن هذا سلوكٌ مرفوضٌ عند قيادة المجاهدين، وهو سلوك بعض الطائشين، ومعلومٌ لدى أقلِّ طالب علمٍ مجاهد أنَّ هذا نتربى عليه في ميادين الجهاد، فكفانا جلداً لأنفسنا، ولنُوجِّه أقلامنا إلى مواطنها الصحيحة، والله المستعان!.



معارك التحام شرسة

دخل العدو إلى منطقة الاختصاص عندنا، وقد كنَّا نَرْقُبه عبر الكاميرات التي قُصف أغلبها في القصف التمهيدي الجنوني، لكننا قمنا بإصلاحها أثناء المعركة، وفي هذا مخاطرةٌ عالية، لكنَّ الله وفَّق وأعان.

تقدم العدو هذه المرة من محورين، محور معبر إيرز مروراً بشارع السلطان نحو منطقة السكة، ومحور أبو صفية مروراً بمدخل بيت حانون نحو منطقة البساينة، ولما وُجِّهتْ له عدة ضرباتٍ من محور إيرز، قام بإلغاء محور الدخول من هناك، وأبقى على محور أبو صفية، لأنه يقع بين كتيبتين وفي منطقةٍ رخوة، طبعاً كان صعباً جداً أن تطال العدو ضربات رجال الله بالقرب من محور إيرز، ومن يعرف المنطقة يفهم ذلك!، لكنه الفتح والمدد من الله.

استمر تقدُّم العدو فزادتْ شراسة القتال لدى رجالنا، وقرَّرتْ الكتيبة البدء بالعمليات التعرُّضية، واختُير اثنان من أشدِّ الشباب عندنا، وكُلفوا بمهمةٍ ثقيلة.... سيكونا استشهاديين انغماسيين.

هل تذكرون نائب قائد اللواء الذي قُتل في بيت حانون، وقُتل معه عشرةٌ من جنوده؟!، لقد كان من بأس هؤلاء الشباب، نصب الشباب كميناً محكماً لهم، وزرعوا العبوات ومدُّوا الأسلاك، لكن بسبب القصف الجوي قُطِّعت الأسلاك، فانتُدب رجلٌ من رجالات الله ليقوم بمهمةٍ انغماسية، سيحمل عبوةً مضادةً للأفراد، ويجري بها من بين الآليات لينصبها قبالة قوات العدو المتقدمة، ثمَّ يُفجِّرها، سلَّم البطل على إخوانه وودَّعهم واستودعهم الله، وألقوا عليه نظرة الوداع... لأنه خرج استشهادياً، فالمخاطرة في تلك الحال عاليةٌ جداً واحتمالية الرجوع ضئيلةٌ جداً، فقفز الشاب إلى ثغره كما يقفز الأسد على فريسته، واجتاز المسافة ونَصَبَ العبوة



وفجَّرها، وسمع الشباب صوت التفجير وإطلاق النار، وظنوا أنَّ أخاهم قد استشهد، وأنهم لن يروه ثانية، فإذا به يرجعُ بعد أن قتل منهم عشرةً ومعهم قائدهم، وهو يقول: سامحوني سامحوني رجعت عايش!!!!، فصار الإخوة يبكون ويقولون: مسامحينك يا رجل، الحمد لله ربنا سلَّمك وسدَّدك!!!، لا أستطيع أن أصف لكم مشهد وداعهم وهم يُلقون نظرة الوداع على أخيهم، ولا مشهد استقباله والابتسامة تعلو وجوههم، هذا لايُكتب في الكتب عذراً، بل ادعُ الله أن تراه في ميادين الرجال!.



بلادة العدو وغباؤه

في محاولات العدو للتنقيب والبحث عن الأنفاق كان وكأنه يبحث عن إبرةٍ في كومة قش، في البداية ظننتُ أنَّه يتَّبعُ سلوكاً مدروساً من قبل استخباراته، فإذا به بحثٌ عشوائي، ونقبٌ في الأرض بالحظ، لعله يعثر على ممر النفق!! الذي هو متر عرضاً في مترين ارتفاعاً تقريباً، وفي مسارات مُعقَّدة جداً!!

جاء العدو بحفارٍ وأخذ ينقب الأرض، في كل خمسين سنتيمتر ينقب ثقباً يصل إلى ثلاثين متراً تحت الأرض، وهكذا على طول شارعٍ طويل قد يبلغ طوله كيلو متر أو أكثر، طبعاً هذا الأمر يستغرق عدة أيام وهو ينقب ثقوباً في الأرض، وكلها تماماً كالبحث عن سراب! قال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾[الرعد: 14]، والنتيجة: لم يجد العدو شيئاً، إنَّه يملك الوقت والعَدد والعُدد، لكنه غير موفق وبليد!.

وظهرتْ بلادة العدو أكثر في الأنانية التي كانوا يعيشون بها، فقد يظن البعض أنَّ قلوب جنود العدو على بعضها، كلا، بل هم أنانيون، بل إذا ضُربوا في منطقةٍ وانسحبوا، لم يُحذِّروا غيرهم، لئلا يُسجَّل عليهم فشل ويُكتب لغيرهم إنجاز!! صدَّقني هكذا تفكر العقول المادية!! فبعد كلِّ ضربة تقوم قواتهم بقصف المكان، ثم تتقدم قوةٌ أخرى لا تدري شيئاً عن الحدث السابق فيقعون في كمينٍ جديد، وهذا من مكر الله بهم.

وظهرتْ بلادة العدو كذلك في تمويهه الفاشل، حيث كانت أخبار إخواننا المجاهدين في معسكر جباليا وبيت لاهيا تصلنا عن سلوك العدو في القتال، فكان مما حُفظ عن العدو استخدام آليات الريبوت، وهو جسمٌ يشبه ناقلة الجند، فيظنه المقاتلون محملاً بالجنود، وإذ به



طعمٌ لاستدراج الشباب وخروجهم وكشف أماكنهم واستهدافهم، ويوجد منه نوعٌ آخر وهو مجسمٌ كبير من المتفجرات على شكل آلية، يتم التحكم به عن بعد، وينفجر ويخلف دماراً رهيباً، فتهيأنا لذلك لئلا نقع في هذه الخدعة.

وفي أحد أيام المعركة إذ بالإخوة يرصدون جيب عسكري في المنطقة الغربية من البلد، وكلمة جيب عندنا تعتبر غنيمةً كبيرة، لأنَّ فيه جنود وربما قيادة للعدو، وهو غير مُصفَّح ولا مُدرَّع، ولا فيه أنظمة حماية كما في دبابة الميركافا، فكاد المجاهدون أن يُغروا به، ويخرجوا من مكمنهم للتعامل معه، إلّا أنَّ أحد أفراد الاستطلاع، راقب حركة الجيب جيداً فوجدها حركة كهربائية وليست بشرية، فقال للشباب: هذا روبوت لا تتحركوا!!، وبالفعل كان فخاً واستدراجاً لنا، لكنَّ عناية الله ويقظة رجال الله كانت حاضرة، فأفسحنا الطريق لذلك الجيب العسكري الجميل، ومرَّ مرور الكرام على عُقَدنا وعُبواتنا وألغامنا دون أن نمسَّه بأيِّ أذى، فاطمأنَّ العدو أنَّ الطريق آمنة، ثم دخلتْ آلياته بعد ذلك، فجاءها الموت من كلِّ مكان، وأوقعناهم في كمائن متتالية، والحمد لله على توفيقه.



دبابة ميركافا مقلوبة

دخل فصيلٌ قتالي من قوات العدو إلى شارعٍ في المنطقة الشمالية الغربية لبيت حانون، وكان المجاهدون قد أعدوا كميناً محكماً في المنطقة، حيث تمَّ نصب عبوة شواظ وصاروخ F16 من الحجم الكبير من مخلفات العدو التي لم تنفجر.

تقدَّم فصيل العدو جرافةٌ عسكرية، وغرست كفها في الأرض وأخذت تقلع الطريق، وحين وصلت إلى الصاروخ ألقت بكف الرمال فوقه، كدنا أن نُفجِّر خوفاً من قلع الصاروخ وقطع الأسلاك وعدم القدرة على التفجير بعد ذلك، لكنَّ عناية الله حاضرة، فقد قامت الجرافة بطمِّ الصاروخ بالرمل ثم أكملت المسير.... وتقدمت خلف الجرافة دبابتا ميركافا بعد تأمين الطريق لهما من الجرافة، ونحن نراقب كل ذلك عن طريق الكاميرات التي زرعناها في كل زاوية، تركناهم يتقدمون قليلاً، ثم فجَّرنا عبوة الشواظ في الجرافة المتقدمة، - واترك الجرافة الآن سأرجع لها بعد قليل-، لمَّا أحست دبابة الميركافا التي كانت خلف الجرافة بالخطر أخذت تتراجع للوراء، وأثناء تراجعها توقفت فوق صاروخ F16 تماماً، ففجَّر المجاهدون الصاروخ باسم الله، وعندئذٍ انقطعت الأسلاك وانطفأت الكاميرا من شدة الانفجار، ثم فجأةً اشتغلت الكاميرا، فإذ بنا نرى دبابة الميركافا متفجرة ومحروقة ومقلوبة رأساً على عقب، فصرنا نُكبِّر: الله أكبر، الله أكبر،قلبتْ قلبتْ، اييه على تلك اللحظات، حدِّث عندئذٍ عن الدعاء والضحك والمزاح والحماس والاستهزاء بعد والله...

لم يتحمل المجاهدون أن يشاهدوا المنظر عن طريق الكاميرا فقط، فصعدوا من النفق للأعلى ليروا الميركافا مقلوبةً بأعينهم وليس بالكاميرات، يا الله انفجارٌ ضخم وحفرةٌ في الأرض ومحاولات تغطية من العدو ليُخرج جنوده، واسعافات وسيارات مطافئ من كل



حدبٍ وصوب لينقذوا جنودهم المحروقين، ولكن هيهات، فقد رحلوا إلى جهنم...

أعود للجرافة، بعد الانفجار تراجعت الجرافة للوراء أيضاً، فإذا بها تسقط في ذات الحفرة التي أحدثها انفجار الصاروخ، وتنقلب أيضاً بجانب الميركافا، وبدأ العدو يجمع آلياته لِيُخرجوا الجرافة العالقة والميركافا المقلوبة، وهكذا قضوا نهارهم ذاك حتى غربت الشمس!،



رباط القناصين

(أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ)[1]، والقناصون هم سادة الرمي، وقد يُغيِّرون مجرى المعركة، لم يرتح القناصون عندنا يوماً طيلة الأشهر السابقة، وفي ظلال حرب كانوا يجهزون مرابضهم، وينظفون أسلحتهم، ويتابعون رماياتهم، وبيت حانون تشتهر بالقنص، وفي كل حربٍ لها رماياتٌ لا تُنسى ولا تُخطئ، لذلك هنا كتوصية من المستوى الأعلى للمنظومة الأمنية للعدو بألا يأتي نتنياهو إلى بيت حانون خوفاً من نيران القناصين!!.

لن تصبح قناصاً بمجرد أنك شاهدت فلم قنص، ولا لأنك ماهرٌ في صيد العصافير، بل لا بدَّ أن تمتلك مجموعةً من الصفات التي تحتاج إلى صبرٍ ومصابرة، ولا بدَّ أن تتنقل في المعركة بين الركام والدور المقصوفة، وترابط في مربضك الساعات الطوال والخطر حولك من كلِّ مكان، حتى تصبح قناصاً لدى كتائبنا المظفرة.

كان القناصون يستيقظون قبلنا، ويجهزون أنفسهم، ويخرجون للبحث عن هدفٍ لهم، خروجٌ في البُكور واستعانةٌ بالله، وكان لكلِّ قناص مساعدٌ ورفيق درب، من صفاته أنَّه قناصٌ أيضاً ومدرَّبٌ جيِّداً ذو بَأسٍ وجَلدٍ وعَقلٍ فَذٍّ.

القناص ومساعده زادهم زجاجة ماءٍ فقط، وفي أحسن الأحوال قطعة حلاوة لا يتجاوز طولها أصبع السبابة!، يصليان الصلاة إيماءً وأعينهم ترصد وتراقب الهدف، يجلسون في أماكن مكشوفة غالباً، وقصفٌ رهيبٌ من حولهم وبالقرب منهم، لكنهم لا ينسحبون، وإن انسحبوا فإلى مربضٍ آخر من مرابضهم التي أعدُّوها!!، حتى إذا ما غربت الشمس، وحنَّت الطيور إلى أعشاشها، -ولا طير في بلدنا حينئذٍ إلا الطير الأبابيل التي ترمي معنا- قَفَلَ الرُّماة إلى خنادقهم، ثم جلسوا يتذاكرون فضائل الله عليهم، ويعرضوا بكاميراتهم ما يسَّره الله على أيديهم.

---

(1) صحيح مسلم، حديث رقم 1917.



قد يظنُّ البعض أنَّ جنود العدو فريسةٌ سهلة، لا يا أخي، إنهم يتحصنون بالآليات والدروع والطيران المسير، وكلُّ وسائل الحماية والمراقبة والتكنولوجيا ترافقهم، بل إنْ أخطأتَ أو قصَّرتَ في أيِّ تفصيلٍ فالثمنُ هو حياتُك وحياةُ مُرافقك!!.

أطلق أحد الإخوة القناصين مرةً طلقة فكشفه جهاز كاشف الوسائط على دبابة الميركافا، فقذفت مباشرةً قذيفةً باتجاهه، لكنَّ الله سلمه بأعجوبة، وهذا حصل كثيراً، وحصل غيره من مواقف المخاطرة الكبيرة من القناصين، والله لقد رأيتُ من جُهد القناصين وتعبهم وإرهاقهم ورباطهم ما لا يتصوره أحد، فجزاهم الله عنا كلَّ خير، وحفظ الله أيديهم المتوضأة، وسواعدهم الضاربة، ولا نامت أعين الكسالى!.





سرُّ التوفيق

لا تحسبوا أنَّ هذا البأس الشديد الذي أحدِّثُكم عنه هو وحدَه هو سرُّ التوفيق، لا، بل ينضاف إلى هذا ويسبقُه ويُلازِمُه تضرُّع المجاهدين ولجوؤهم إلى الله ﷻ، وحُسنُ توكلهم عليه، ويقينُهم به، وافتقارُهم إليه، واستمدادُهم القوة منه سبحانه وتعالى.

كُنَّا نعيش في الأنفاق ليلنا ونهارنا، ولا نرى الشمس والدنيا إلا قليلاً، وكما أخبرتكم سابقاً: الأنفاق ليست فنادق، ولا حتى بيوت، الأنفاق كالقبور، ولكنه الدِّين والواجب ورضى الله الذي يهون في سبيله كل شيء، والجنة التي لا تُدرك بالنعيم في الدنيا، بل لا بدَّ من هجر الراحة وامتطاء أسنَّة التعب لبلوغ الغاية.

أُصيب أحد الإخوة في الأنفاق أثناء الحفر والترميم، فذهبتُ لأطمئنَّ عليه في وقتٍ متأخرٍ من الليل، فزرتُه وواسيته، ثم وأنا عائدٌ في ممرِّ النفق إلى العقدة القتالية رأيتُ أحد قيادات المجاهدين يصلي في ممر النفق قيام الليل، فصليتُ معه، فكان يقرأ الفاتحة بصوتٍ خاشع، ثم تلا بعض آيات القرآن، ثم دعا وأنا أُؤمِّن على دعائه، وهذا الرجل من أكثر الرجال صرامةً وحَزماً، لكنَّ مقامَ التهجُّد مقام تذللٍ وخضوعٍ بين يدي الله، فسمعتُه يدعو وحفظتُ دعاءه، قال: «يا ربِّ مِن أجْلِ الأحجار والأطيار والأشجار، يا ربِّ من أجلِ الحُفَّاظ والقُرَّاء والعلماء، يا ربَّ من أجل المحاريب والمآذن والمساجد، يا ربِّ مَن لهذه الترسانة إلا أنت!، يا ربِّ لا تُخيِّب رجاءنا، يا ربِّ أمرتنا بالإعداد فأعددنا، وأمرتنا بالثبات فثبتنا، يا ربِّ سدِّد رمينا واحفظ من تبقى من رجالنا، يا ربِّ حمَّلتني كثيراً فخفِّف عني»، لا تكاد تغيب هذه الكلمات عن بالي والله!!.

أصحاب التهجد والانكسار بين يدي الله هم الذين يفتح الله عليهم، وهم أهل المقامات العالية المحمودة، ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: 79].



جرعة يقين

بعد أنْ تكاثرت الأخبار العبرية بقرب الهجوم البري الشامل على غزة، ومن قبل ذلك القتل الممنهج لكلِّ ما يمتُّ للحياة بِصِلةٍ، ومسلسل النزوح الذي لا ينتهي، يتساءل البعض: هل لا زلنا على أملٍ بالنصر؟!.

أقول: إنَّنا اليوم قد بلغنا حدَّ اليقين لا مجرد الأمل، أننا نقترب من بلوغ الغاية الكبرى وهزيمة المحتل بإذن الله، وإنَّ إرهاب الناس بالقتل والتهجير لن يؤخِّر قدر الله في العدو بالزوال والتتبير.

إنّ من سنة الله في التدافع بين الحق والباطل أن يُنال من الصف المؤمن، وأن يصيبه الأذى والقرح، وأن يعيش الغربة والحصار؛ لئلا يستقر في النفوس أنَّ النصر سهلٌ ميسورٌ في متناول يد القاعد العاجز.

وتأمَّل وتفكَّر لم يُصب المسلمون كما أُصيبوا في أُحُدٍ، فقد كُسرت رباعية النبي ﷺ، وشُجَّ وجهه الشريف، وسال الدم على وجهه الطاهر، وقُتل من أصحابه سبعون، في مقدمتهم عمُّه حمزة رضي الله عنه، ونزلت بهم الشدة حتى أثخنتهم الجراحات، وقاموا على جنازات إخوانهم شهداء، قوافل إِثر قوافل، لم تُدرك عقولُ القوم يومها أنَّ الطريق إلى تهيئة العالم لقوافل الفاتحين قد بدأ بالجراح المُثخنة في أحد، لقد فُتحت مكة من بوابة أُحدٍ!!.

من لم يدرك منا ذلك ويربطه بما يحصل معنا اليوم، فلم يدرك سنن الله في الدعوات، وإنَّ قَدَرَ الله الذي ساق يوسف عليه السلام لمُلك مصر كانت بوابتُه غُربةَ الجبِّ وتجرُّعَ ظُلمته.

نحن في الطريق الصحيح رغم المكر الكبير، وإذا اختلطت عليك الرؤية فأبصرْ وَهْنَ عدوك، ستدرك وقتها أنَّك حقَّقت ما لم تُحقِّقه دولٌ كبرى!.



فأنتَ إلى اليوم ما زلتَ متمسكاً بأرضك في ثباتٍ أسطوري، ومن خلفك مقاومةٌ فتيةٌ تقاتل ببقايا ما تحمل من عتادٍ وعقيدة، تُعيد ترتيب الصفوف وتجييش الجيل، وتدرس ساحة المعركة مع «قيادةٍ وسيطرة»، وتقتل العدو في كل مناطق التوغل والاجتياح، وعلى المستوى العالمي والأممي قضيتُك قد جابت الآفاق بعد أن كانتْ في موتٍ سريري، وقد فُضح الكيان عالمياً وهو في أوج علوِّه واستكبارِه، وهذه بداية انقطاع حبل الناس عنه بإذن الله، والأهم من كلِّ ذلك أنَّك كسرت قواعد اليأس، واكتشفتَ أنَّك أقوى مما كنت تتخيل، بل أقوى من كلِّ وهمٍ حاولوا زرعه فينا بأننا عاجزون ولا نستطيع!!.

أمَّا العدو وكيانُه الغاصب فلم يُرَ أكثرَ منه تفككاً وانهياراً كهذه الأيام، فالمجتمع عنده يسير نحو العسكرة والفلتان، أربعُ مئةِ ألفِ مسلحٍ من المتطرفين باتوا في موضع صنع القرار، وفُتحت لهم كلُّ مساحةٍ لممارسة العربدة بستارٍ ديني، وهذه مقدمةٌ لحربٍ أهلية يحاولون أن يشعلوها في دول الجوار، ولكنها ستشتعل في عقر دارهم بإذن الله، وستهوي بهم نحو الهاوية.

أمَّا جيشهم المُنهك فلم يستطع حسمَ معركةٍ في مناطق حدودية بفِرقٍ تحتل دول وألويةٍ نخبوية في مساحةٍ جغرافية محدودة لا تُرى على خريطة العالم، مقابل فصيلٍ مجاهد لا يملك من الإمكانات عُشر مِعشارَ مَا تُكَدِّسُه تَرسَانَتُهم.

ومن الناحية الأمنية فلأول مرةٍ تبرزُ أزمة خلافاتٍ بين أقطاب المؤسسة الأمنية على العلن والإعلام، واتهاماتٌ وسخريةٌ متبادلة، وتسريبات محاضر اجتماع الكابينت منشورةٌ على مواقع التواصل الاجتماعي.

أمَّا الاقتصاد فهو في تهاوٍ ملحوظ وبسرعة البرق، والتصنيفات الائتمانية للعدو في أسوأ حالاتها، والسياحة قد انضربت، والصناعة والاستثمار قد انطفأت، وباتت الهجرة العكسية السِّمة الغالبة، فأرض إسرائيل صارت طاردةً لا جاذبة، واليهود يهاجرون لانعدام الأمن، وهذا كابوسٌ يُؤرِّق صُنَّاع السياسات والأمن القومي للكيان.

وعلى المستوى العالمي فالكيان اليوم منبوذٌ، واليهودي يفرُّ من الاشتباك في كلِّ محفل، ومظاهراتٌ ضخمة تلفظ الاحتلال وتدعو لإنهائه، وتجوب العواصم الغربية في ظاهرةٍ لم تحدث بهذا الزخم والقوة من قبل، ظاهرةٌ لم تغب عن أهم خطابات قادة الدول في كل محفلٍ رسمي، ظاهرةٌ أسقطت حُكاماً وجاءت بغيرهم.

وعلى المستوى الداخلي فالمؤسسة الدينية «الحريديم» تُهدد بالهجرة في حال فُرض عليهم قانون التجنيد في أبرز خلافٍ جليٍّ بين المؤسسة الدينية والدولة.

في نوفمبر 2023م هدَّد الاحتلال بالدخول البري، ودخل وهجَّر الناس إلى جنوب غزة، وحاصر الناس في غرب غزة وجوَّعهم ومنع عنهم المساعدات!!، ثم انسحب بعد ذلك مُرغماً، وفي مايو 2024م دخل برياً إلى شمال غزة وهجَّر الناس من معسكر جباليا، ثم انسحب بعد ذلك مُرغماً، وفي أكتوبر 2024م دخل برياً إلى شمال غزة مرة أخرى، وزعم أنَّه سيُنفِّذ خطة جنرالات، وأقام حواجز جديدة، وقام بأعظم عملية إبادة في التاريخ ثم انسحب بعد ذلك مُرغَماً، وما زال هكذا يُهدد ويحاول ثم ينسحب ويهرب ﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنفال: 18].





جرعة أمل

قضى الله أنَّ الباطل لا مستقبل له، وأنه مهزومٌ مدحورٌ زاهق، وأنَّ العاقبة والغلبة للمؤمنين المتقين، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر:51]، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗا﴾ [النور:55].

ولكن لا بُدَّ من البذل ودفع الضريبة حتى ننال النصر، فالنصر لا يأتي للنائمين القاعدين، قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٤ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ۝٥ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ۝٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد:4-7].

ولولا هذه السُّنة وهذا التدافعُ بين الحقِّ والباطل، ودفعُ المؤمنين لباطل المبطلين وقتالهم، سيفسد كلُّ شيءٍ في هذه الحياة، وسيسود الكفر والشر، وتُهدَّم دور العبادة،ولا يبقى من يقول الحق أو يدعو إليه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:40]، فما بُني لله معبدٌ ولا عُمِّرَ مسجدٌ إلا بكفاح المؤمنين، فعلينا أن نبذل وأن ندفع ونُدافع عن ديننا وحقِّنا، وهذا عهدنا مع الله ولن نُخْلِفه، ولا يحسَّبن الذين كفروا سبقوا، فواللهِ لنثأرنَّ لكلِّ بيتٍ هُدم، ولكلِّ شابٍّ قُتل، وإنْ قَصُرتْ أعمارُنا فلنتركنَّ بعدنا كتائب لا تتوانى عن نصرة الحق، وأسأل الله أن يجعل لقسمنا هذا برًّا..



إننا لن نخرج من التبعية إلى الإمامة إلا بعد أن نرى أنَّنا نملك النُّور وأنَّ العالم يَعُجُّ بالظلام، وهذه هي الحقيقة، فالعالم الغربي الذي صدَّع رؤوسنا بحقوق المرأة هو الذي ذبحها بأسلحته ودعمه؟!، لقد قتلوا أكثر من عشرة آلاف امرأة في غزة بحضارة الآلة وقوانين المحكمة الدولية!، ثم يأتون بعد ذلك إلى عالمنا الإسلامي بمؤسساتهم التي تريد أن تُعلِّمنا حقوق المرأة والطفل!، لذلك لا تنخدع بهذه الدعاوى التي يُرَوِّجُ من خلالها مجرمو الغرب موبقاتهم وشذوذهم وحربهم على مؤسسة الأسرة، وكذلك لا تنخدع بالمؤسسات الدولية والأمم المتحدة وأذيالها وبرامجها، فكلهم شركاء في الجريمة بوجوهٍ مختلفة.

نحن الآن على مشارف التيه، مشارف الخروج منه وليس الدخول فيه!، ها نحن ننفض عن أجسادنا غبار ترابه، وثبةٌ أو وثبتان وينتهي التيه بإذن الله، وتتضح الرؤية، وننطلق باتجاه الغاية العظمى، لقد كان تيهاً طويلاً ومُظلماً، ألقانا فيه الغربيون والصهيونية العالمية منذ أكثر من مئةٍ وخمسين عاماً، وأخرجنا منه طوفان الأقصى بحمد الله، فأزال غشاوة أبصارنا، وكشف لنا الحقَّ من الباطل، فهنيئاً لمن خرج بعد هذا البلاء بوعيٍ رشيد وإرادةٍ من حديد، فعَرَفَ الوِجْهة وانطلق لمجد أُمَّته، ولم يظاهر عدوه، وتأمل خاتمة سورة القصص لتدرك شيئاً من ذلك الواجب، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:86-88].





جرعة إيمان

كلُّ هذا القَتل، وكلُّ هذه الدماء، دليلٌ على أنَّ الدنيا لا تَزِنُ عند اللهِ جناح بعوضة، فلو لم تكن كذلك لما تأخَّر عِقابُه عن المجرمين، ولا تَأجَّلَ حِسابُه عَن المُعتدين، ولا أَنظَرَ النَّاسَ ليوم القيامة!.

وَحْدَهم الموتى هُمُ الذين عَايشوا هذه الحقيقة؛ فَمِنهُم من نَسِيَ كُلَّ عَذابِ الدُّنيا بغمسةٍ واحدة في الجنة، ومنهم من نسي كلَّ نعيم الدنيا بغمسةٍ واحدة في النار!، إنَّما هي الفتنة والاختبار لمن لا زال في هذه الدنيا، هؤلاء هم الذين ما زال امتحانهم مستمراً، وما زال بلاؤهم ممدوداً!.

إنَّ الذي يجري لا يتحمله إلا نوعان من البشر:

النوع الأول: هو من آمن بالله واليوم الآخر، فهو يزداد بهذه الحوادث والفتن إيماناً، ويعرف أنَّها أيامٌ عابراتٌ توشك أن تنقضي، فهو يرجو ثواب الله والدار الآخرة، وينتظر أن يَلقى أحبابه في دار النعيم، ويُصبِّر نفسه، ويَنظُر في العمل الذي ينبغي أن يعمله لكي يكون مع الفائزين.

والنوع الآخر: من أظلم وقسا قلبُه وتجرَّد عن طبع البشر، بل وعن طبع الحيوان، فتلذذ بقتل الأبرياء وظلمهم وقهرهم، ومن والى هؤلاء الفجرة المجرمين، فهو وإنْ لم يمارس القتل بنفسه لكنه لم يتأثر بالقتل والتقتيل للأبرياء، وإنْ لم يُعَذِّب غيره بيده لكنَّه لم يُشفق على المُعذَّبين، وإنْ لم يقصف بنفسه لكنه لم ينهض لِغَوثِ المقصوفين، هذه الحجارة الصلدة من الظلمة الفجرة وأعوانهم، لا دواء لهم إلا النار، النار التي وقودها الناس والحجارة، وللنَّاس في يوم القيامة مشاهد طويلة؛ يَرون فيها هؤلاء الجبارين الطغاة القساة، غِلاظ القلوب والأكباد



وهم يحترقون في النار، ويُعذَّبون فيها، قد ذهبتْ عنهم الألقاب والمناصب والحُرَّاس والخدم!.

يوم يتجادلون ويتنازعون في النار، هم وأتباعهم من الجيش والشرطة والمخابرات، ويوم يتسابُّون في النار هم وأتباعهم المنافقون في الإعلام والصحافة والثقافة... ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الطور:46]، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر:52]، ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت:55]، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم:48-50]، يوم يتوسَّلون: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾ [غافر:49]، يوم أن ينادوا من ظلموهم وقهروهم وقتلوهم في الدنيا: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ۚ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف:50-51].

وفي الجهة الأخرى سيكون هناك مشهدٌ آخر، وهذا وحده هو الذي يُبرِّد القلوب،ويُسكِّن الجوانح،ويمسح على الضمائر، يوم ﴿يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:10]، ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: 12]، يوم يقول المؤمنون في نعيمهم للكافرين في جحيمهم: ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: 44]، يوم يقول أهل الجنة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: 74]، يوم يتذكر المؤمنون ما كانوا عليه في الدنيا فيقولون: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ

ٱلسَّمُومِ ۝٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [**الطور**:26-28].

يا أهلنا في غزة.. إنَّ من محبة الله لكم وتفضيله إياكم على كثيرٍ من خلقه أنَّه يصطفيكم في جهادٍ وشهادة، ولقد رأيتم كيف مات عشرات الآلاف من الناس في دقائق بل ثوانٍ، لا بقصفٍ من عدوهم، ولا بإقدامٍ سَعَوا فيه، وإنَّما جاءهم زلزالٌ أو دهمهم إعصارٌ أو سيلٌ فكانت نهايتهم، ونسأل الله أن يرحم عباده أجمعين.

ليس من الموت فرار، ولا يتأخر أحدٌ لحظةً عن أجله المكتوب، ولكنَّ الله اصطفاكم لخير نهاية: شهادةٌ في سبيل الله، على يد أعدى أعداء الله، دفاعاً عن مسرى رسول الله، ولا نصير ولا ظهير إلا الله، فما أعظم هذا الاصطفاء.

في يوم القيامة سيودُّ كلُّ الناس أنْ لو كانوا في غزة، وأنْ لو أُحرقوا بنيران العدو، لِمَا يرون من ثواب الله لكم وإكرامه إياكم...





الخاتمة

تمَّ بحمد الله الانتهاء من كتابة المسودة الأولى من كتاب (تحت راية الطوفان.. خندق خباب) في يوم الثلاثاء الموافق 2024/5/21م، الساعة 3:37 فجراً في أنفاق العز القسَّامية، وتم الانتهاء من كتابة مسودة الجزء المضاف للكتاب في يوم الاثنين 2025/7/7م، وأسأل الله أن يجعل ما أكتبه خالصاً لوجهه، وأن ينفع به العباد، وأن يكون في ميزان حسنات والديَّ ومشايخي وإخواني المجاهدين، وقد بثثتُ في الكتاب روحي، وما علَّمني ربِّي من خير، فما وجدتموه صواباً فاقبلوه، وما وجدتموه غير ذلك فاستروه.

أخوكم/ محمد زكي حمد[1]



(1) رضي الله عن أخي سعيد أبي البراء، فهو الذي طبع الكتاب وأدخله على الحاسوب في ليالي الرباط في معركة طوفان الأقصى.



صدقةٌ جارية

قال ﷺ: (إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ)[1]، ونسأل الله أنَّ يكون هذا الكتاب من الصدقة الجارية لكاتبه ومن العلم الذي ينفع الله به، وهذه حسابات وقنوات التواصل لشهيدنا الحبيب محمد زكي حمد، وهي صدقةٌ جاريةٌ أيضاً عن روحه، ادخلوا عليها، واستفيدوا منها، فهي مليئة بالفوائد والفرائد، واذكروه بصالح دعواتكم.

قناة تلجرام مدونة

https://t.me/wathkeir

قناة تلجرام حذيفة

https://t.me/tarateeeeel

قناة تلجرام أزمة كيان

https://t.me/ah00med00

صفحة الفيسبوك محمد زكي حمد

https://www.facebook.com/share/1BKuzeQFZv/

صفحة الفيسبوك الأخرى محمد زكي حمد

https://www.facebook.com/share/19QmPJZ9Yn/

صفحة مدونة يراع

https://www.facebook.com/share/16niQbTvVv/

(1) سنن الترمذي، حديث رقم 1376.



وصية الشهيد لزوجته[1]

وصيتي إلى رفيقة دربي...

أعلم أنكِ تبكينَ عليَّ الآن، لكنْ أرجو منكِ تفضُّلًا أنْ تأخذي نَفَساً عميقاً ثم تقرأي ما كَتبتُه.

لقد رزقك الله بي، فعشُت معكِ حياةً طيبةً جداً، وقد أحسنتِ إليَّ في حبك يا حبيبة، أنا لم أمتْ، صدِّقيني أنا كنتُ حياً معك، والآن ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ هذا الفرق يا قلبي.

لو صحَّ للمرء أن ينطق بعد الموت لقلتُ لك: أنا في جنةٍ واسعة، وقصرٍ أجمل من دارنا التي بنيناها ﴿فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾.

إذا وَصَلتكِ هذه الرسالة فاسجدي شكراً لله، وقولي: الحمد لله الذي شرَّفني باستشهاد زوجي!.

هل تعلمين أنَّ الحياة ستنتهي؟!، وستأتون جميعاً عندنا، وسيقف الكل للحساب، الله هو الذي سيُحاسِب، والناس جميعاً يُحاسَبون... ولأنَّ الله اختارني شهيداً بإذن الله، فسأقفُ شاهداً على أهل الخير أشهد علىخيرهم، وشاهداً على أهل الشر أشهدُ على شرِّهم.

لو تعلمي يا غالية كيف استقبلتنا الملائكة، لقد رحَّبوا بي، وأخذوا بيدي إلى رسول الله ﷺ، وقالوا: هذا من أهل القرآن، لقد ألبسوني الحُليَّ والتيجان، لقد أكرمني الله بالقرآن، لقد جاءتْ سورة البقرة وحَمَلتْني إلى الفردوس الأعلى، وجاءتْ سورةُ آل عمران وظَلَّلَتني، صَدِّقِيني أَنَا في أنعم العيش، فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون.

---

(1) وجدناها في ملفٍ على جهاز اللابتوب، كان قد كتبها وأغلقها بكلمة سر، وأعطى كلمة السر لأخٍ ثقة لتُفتح بعد استشهاده.

بانتظارِكِ سأستقبلكِ ونعيشُ سوياً هنا، يا لله ما أجمل جوار الله!، أوصيكِ بهذي الوصايا يا غاليتي:

1- الزمي طريقنا الذي تعاهدنا عليه، أنتِ زوجة داعية ومجاهد، وأنا أنتظرك في قصور الجنة، وسأطلب من ربي أن يُعجِّل مجيئكِ إليَّ، فادعِي للمجاهدين واحملي قضيتهم، ولا تُردِّدي بعض كلمات المنافقين ضعاف الإيمان، الذين يريدون حياة السِّلم الدائم، ويريدون أن يَعبُدوا المال واللذة، فليس هذا طريقنا يا زوجتي، بل نحن نُتعِبَ أجسادنا، ونُقدِّم محبوباتِ الله على محبوباتِ أنفسنا، ولا تتماشي مع المنافقين والبطَّالين في توجهاتهم وأفكارهم، وتذكري دائماً أنَّ وجهات النظر لا بدَّ أن تكون مرجعيتها قرآنية، فنحن مع الحق ولو كان ضعيفاً، ونبرأ من اليهود ومن يحبهم.

2- أعرفُكِ محافظةً على الصلوات، ما شاء الله عليكِ، لكنِّي أوصيكِ بصلاة الخشوع، والزيادة من الأعمال الصالحة، فأستبشرُ إن كنتِ تُصلِّين بخشوع، وتُصلِّين من الليل بعض الركعات، وتقرئين القرآن بصوتٍ مسموع.

3- الأولاد أمانةٌ عندك، ربِّيهم على القرآن، واختاري لهم شيخاً متقناً ذا خلقٍ حسنٍ، وتابعيهم، واحفظي معهم سور المفصّل، وعلِّميهم على الخشونة، وعلِّميهم اللغة العربية، وأدِّبيهم بالأدب الحسن في (اللفظ واللباس والمظهر)، وادفعي بابني الحبيب زكي إلى حلقات القرآن مع الشيخ: أحمد جميل، ثم إلى ميدان الجهاد، ليتدرب ويُعدَّ نفسه للدفاع عن دينه، أملاً أن يرزقه الله الشهادة في سبيله، ولا تُصغي لأهل الدنيا، فالجهاد هو الطريق لحياةٍ كريمة، وأَوصيه أن يقرأ كتابي (تحت راية الطوفان)، وتذكَّري دورة الأذكار حين طلبتُ منكم أن تحفظوا الأذكار، فاحفظيها جيداً، وحفِّظيها للأولاد، وأوصيكِ أن تسمعي دورة الغزوات للشيخ حازم أبو



إسماعيل، وحافظي على أخلاق ابنتنا ترتيل وحيائها وسِترها... فديتُها روحي.

4- ما قُسم بعدي من مالٍ أو أرضٍ فلا تكوني فيه صلبة، بل من نافسنا على الدنيا تركناها له، وقد تركتُ لكم ما يُغنيكم عن الناس، وإنَّكِ والأولاد لن تمرُّوا على بيتٍ من بيوت البلد إلا ووجدتم ذِكراً طيباً، وأثراً حسناً تنعمون به، وأهلي كرامٌ بفضل الله لا تُهان عندهم المرأة.

5- أُوصيكِ أن تتصدقي من مالي على ما وضَّحتُ لكِ في رسالة الديون التي أرسلتُها لكِ، وأرسلي باستمرار أموالاً لتجهيز المجاهدين وعتادهم وسلاحهم، فهذا بابُ أجرٍ عظيم، وقد عاهدتُك على نصرة الحق، فقولي قبلتُ.

أعلم أني أثقلتُ عليكِ، لكن هذا عهدُ المُحبِّين، وإلى لقاءٍ قريبٍ يا حبيبة القلب.

أُحبكِ





رثاء الشهيد

كتبَ الأخ (أبو صهيب) -أحد أصدقاء الشهيد- رثاءً له بعد استشهاده، فقال:

أوَهكذا يطوي التراب محاسناً ❖ وفضائلاً جلَّتْ عن الإحصاءِ
أوَمثلُ نورِك يا محمدُ ينطفي ❖ وتغيبُ في الأجداثِ دون غِطاءِ
يا تُربُ مهلاً لا تضمَّ رُفاتَه ❖ يا تُربُ أشفقْ لا تَزدْ ببلائي
لو كنتَ تدري من حويتَ لأشفقتْ ❖ ذراتُك العَجمى عن الإهماءِ
هذا الذي حملَ الكتابَ بقلبه ❖ كالبدرِ يكسرُ عتمةَ الظلماءِ
يَهديه نوراً في القلوبِ وبلسمًا ❖ ويُنيرُ درباً حالكاً بضياءِ
فهو القريبُ إذا الخطوبُ تباعدتْ ❖ وهو الأريبُ فحسْبُه إيمائي
ثُلمتْ به الأوطانُ لا مِثْلَ له ❖ أوَهل يُجارَى كوكب الجَوزاءِ
أَرثِيكَ أمْ أُرثي بقيةَ عِزَّةٍ ❖ أبكيكَ أم أبكي صدًى لنقاءِ
صلَّى عليك اللهُ ما طار الندا ❖ أو رتَّل التالون عذبَ دعاءِ
وإلى لقاءٍ يا زكيُّ مُحتَّمٌ ❖ بجوار ربي واليقينُ حُدائي
ولتُبْلِغْ الأحبابَ أشواقاً لهم ❖ والخلدُ موعُدنا غدًا للقاءِ

أبو صهيب

2025-07-13



وكتب الأخ (أبو زاهر) -أحد أصدقاء الشهيد- قصيدة رثاءٍ بمدادٍ من دموعٍ، وأنشده صديقه المقرب (أبو مالك) بشَجنٍ وحُزنٍ عميق وهذا رابط الأنشودة[1]، وقد قال فيه:

بَكَتْ عَيْني عَلَى ذَاكَ الْهَصُورِ ❖ لِفَقْدِ الْحَبْرِ ذِي الْعِلْمِ الْغَزِيرِ
لِفَقْدِ مُجَاهِدٍ أَفْنَى زَمَانًا ❖ يُلَازِمُ عِزَّ هَاتِيكَ الثُّغُورِ
لِفَقْدِ مُعَلِّمِ الْقُرْآنِ دَهْرًا ❖ حَوَى نُورًا بِطَيَّاتِ الصُّدُورِ
لِفَقْدِ مَنَارَةِ الْأَخْلَاقِ حُسْنًا❖ لِفَقْدِ مُكَرَّمٍ عَلَمٍ صَبُورِ
لِفَقْدِ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ أَصْلًا❖ وَفَرْعًا فِي كَبِيرٍ أَوْ صَغِيرِ
لَهُ دَانَتْ مَفَاخِرُ لَيْسَ يَدْنُو ❖ لَهُ بَيْنَ الْبَرِيَّةِ مِنْ نَظِيرِ
زَكِيٌّ حَمْدُهُ فَطِنٌ تَقِيٌّ ❖ مُحَمَّدُ مِنْ زَكِيٍّ مُسْتَنِيرِ
مُحَمَّدُ مِنْ زَكِيٍّ شَعَّ مِنْهُ ❖ سَنَا الْأَنْوَارِ كَالْقَمَرِ الْمُنِيرِ
إِلَيْكَ رِثَاءَ مُشْتَاقٍ مُحِبٍّ ❖ وَلَا يَكْفِي الْمِدَادُ لَدَى السُّطُورِ
وَنَازِلَةٌ وَنَائِبَةٌ أَلَمَّتْ ❖ بِنَا فِي حَادِثٍ جَلَلٍ كَبِيرِ
نَأَيْتَ عَنِ الْأَسَافِلِ فِي رُقِيٍّ ❖ وَتَرْقَى لِلْمَعَالِي فِي الْأُمُورِ
شَرَيْتَ قَلَائِلَ الْأَيَّامِ رُخْصًا ❖ لِتَنْعَمَ فِي جِنَانٍ بِالْكَثِيرِ
وَرُحْتَ تُقَاوِمُ الْأَعْدَاءَ حُرًّا ❖ عَلَى فَرَحٍ وَمِنْهُ إِلَى سُرُورِ
نَقِيٌّ كَالْمَلَاكِ وَكُنْتَ فِينَا ❖ بِمَنْزِلَةِ الْأَمِيرِ مِنَ الْوَزِيرِ
فَمِنْكَ النُّورُ إِنْ نُورًا عَدِمْنَا ❖ وَمِنْكَ الْيَاسَمِينُ مِنَ الزُّهُورِ
وَمِنْكَ الْعَزْمُ إِنْ يَوْمًا فَتَرْنَا ❖ وَمِنْكَ السَّعْدُ لِلرَّجُلِ الْفَقِيرِ

(1) https://drive.google.com/file/d/101MjE0xDeKD04USzEqWXEgoX1yfmnmJt/view?usp=sharing



وَمِـنْكَ الأَقْـحُوَانُ لِكُلِّ مَمْشَى ❖ وَمِنْكَ السَّيْرُ فِي أَبْهَى مَسِيرِ

وَمِـنْكَ تِـلَاوَةٌ بِـلِسَانٍ رَطْبٍ ❖ يُـوَاظِبُ فِي عَشِيٍّ أَوْ بُكُورِ

وَمِنْكَ رِيَـاضُ عِلْمٍ نَـبْتَغِيهَا ❖ وَمِـنْكَ الْفَهْمُ لِلْحَذِقِ الْبَصِيرِ

فَيَا رَبِّـي أَتَـاكَ رَفِـيقُ دَرْبِي ❖ شَـهِـيدًا بَيْنَ أَطْـيَافٍ وَنُورِ

وَمِـقْدَامًا وَمِـعْطَاءً كَـرِيمًا ❖ وَصِـنْدِيدًا عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ

وَنَالَ جَـوَابَ سُـؤْلٍ لَيْـسَ يَخْفَى ❖ أَتَـى مِنْ مُنْكَرٍ أَوْ مِنْ نَكِيرِ

فَـنِلْتَ الْفَـوْزَ مِنْ رَبٍّ رَحِـيمٍ ❖ وَحُـزْتَ الْعَـفْوَ مِـنْ رَبٍّ غَفُورِ





فهرس المحتويات











هَذَا الكِتَابُ الذِي بَينَ يَديكَ هُوَ آيةٌ مِن آياتِ اللهِ ﷻ، فَقَد كَتَبَهُ الشَّهِيدُ بِخَطِّ يَدهِ عَلى أوراقٍ كَانَ يَحمِلُها مَعَه فِي جُعبَتِه العَسكَرِيَّة فِي نِقاطِ الرِّباطِ وكَمائِنِ المَوتِ وَأنفاقِ العِزِّ، وَصَبَغَهُ بِقَلبِه وَرُوحِه ومِدادِ عَرَقِه وَدَمِه، وَلو صَحَّ أَن يَكونَ لِهَذَا الكِتابِ اسمٌ آخرُ لَكانَ: "مِنهاجُ المُسلمِ فِي زَمَن الغُربَةِ".

وَهَذَا الكِتابُ كَفيلٌ بِتغييرِ حَياتِكَ وَإصلاحِ حَالِكَ، وَمُراجَعَتِكَ لِكثيرٍ مِنَ التَّفاصِيلِ وَالأفكَارِ والقَناعَاتِ والتَّصَوُّرَات التِي حَاولَ البَعضُ زِرَاعَتَها بِداخِلِنا لِنَتَّبِعَ دِيناً مُشَوَّهاً غَيرَ دِينِ الإِسلامِ الذِي نَزَل عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَنَكُونَ أُمةً تَابعةً ضَعيفةً ذَليلةً، لا أمةً حَاكمةً قَويَّةً عَزيزةً.

فَاقرَأهُ بِتركيزٍ، وَانوِ بِقراءَتِه العِلمَ وَالعَمَلَ، واقتِفَاءَ أَثَرِ الشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَاللهُ المُوَفِّقُ وَهُوَ خَيرُ مُعينٍ.



تحت راية الطوفان

1447هـ /2025م